

البَاطِنِيَّة
وَمَوْقِفُ ٱلإِسْلَامِ مِنْهُمْ

تأليف

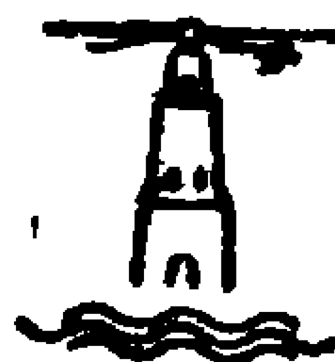
دكتور جميل محمد أبو العلا

عميد كلية اصول الدين

جامعة الأزهر ــ أسيوط

١٩٨٩

الطبعة الأولى



دار المعارف

الناشر : دار المعارف ـــ ١١١٩ كورنيش النيل ـــ القاهرة ج.م.ع.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدمة

فى ضراعة شاكرة لله خشعت جنبات الكون اجلالا لصوت المنادى وهو ينادى للايمان واستيقظت البشرية من غفلتها على ضـوء فجر الاسلام . فتفتحت القلوب وأذعنت العقول ، وسجدت الجباة ، وأشرقت الأرض بنور ربها . فاهتدت البشرية الى بارئها وعرفت حقيقة الخيط الأبيض الذى يربطها بالسماء ويشدها فى رفق ليمزق من حول الرقاب خيوط الضلال والوثنية التى تحلقت من حولها وشدتها وأحكمت وثاقها بأصنام لا تضر ولا تنفع .

واشرقت شمس الاسلام فبددت من سماء الجزيرة العربية دخـان التطاحن والتصارع والقبلية والهمجية ، الذى كثيرا ما أعمى عيون أهل الجزيرة ودفع بهم الى حلبة التصارع بالسيوف وتساقط الرءوس .

وأذابت حرارة الايمان فى قلوبهم خيوط الشرك والتمزق وأعادت الى العيون صافى الرؤيا ووحدت على الحق كلمتهم فأصـبحوا بنعمة الله اخوانا .

الا انه تمشيا مع طبيعة الحياة ما كان لكل العيون أن ترى النور ولا لكل القلوب أن تتفتح على الخير .

(ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) (١) .

فلم تتحمل بعض الطفيليات حرارة شمس الإسلام فاخذت فى التقوقع

---

(١) سورة هود آية (١١٨) .

والكمون تتحين الفرص وتنتهز المناسبات لتنقض على الاسلام ، وظنت أنها وجدت فرصتها بانتقال النعمة المسداة والرحمة المهداة والهادى والمعلم محمد ﷺ الى الرفيق الأعلى فأخذت تتنمر وتطل برءوسها وتجس نبض المسلمين وتلبس لكل موقف لبوسه .

فبينما تكشف فئة عن نفسها وتمنع الزكاة ويكشف هدفهم أبو بكر رضى الله عنه فيقاتلهم ويقتلهم . تتستر فئة أخرى وتلبس ثوب الناصحين وتتحلق حول الصحابة لاذكاء نار الفتنة حول الخلافة ومن أحق بها منهم .

ومن هذا المنطلق وفى هذا الجو الساخن بدأت تطل الفتنة برأسها وتبرعمت الطفيليات ونمت وخرجت عن كمونها تستظل بعد أن أعيتها شمس الاسلام بظلال الخلافات التى نمت واستطالت حول الخلافة .

وساعد على هــذا :

أولا — غياب الرسول الهادى صلوات الله وسلامه عليه وانقطاع الوحى الذى كان يبت فى كل ما يجد من أمور ويبصرهم الى الحق ويرشدهم فقد كان وجود الرسول بينهم قاطعا لكل خلاف مزيلا لكل شبهه .

ثانيا — لم يكن الخلاف على قاعدة من قواعد الاسلام فيحتكمون الى الكتاب والسنة لتقطع الألسنة بل كان فى مسألة طارئة عليهم جديدة على البيئة الاسلامية وهى الخلافة .

ثالثا — وصل الخلاف بين الصحابة أنفسهم الى ذروته حينما تأزم الموقف بين على رضى الله عنه ومعاوية وتشرزم الاصحاب واختلفت الآراء فالى من يرجع الناس وقد كان دواؤهم حينما يختلفون هو الرجوع الى الصحابة أما وقد انقسم الصحابة أنفسهم واختلفوا فى الرأى .

فالى من يرجع الناس لاستلهام الحق فى هذه المسألة وقطع شأفة الخلاف حولها وفى الرجوع الى أحد الطرفين مناصرة له على الآخر وازكاء

لنار الخلاف !! وفى السكوت عنه اثم . فالدماء تراق والأرواح تزهق بغير حـــق ...

وهـــكذا تمزقت النفوس وافرخت ونمت الطفيليات واستظلت بظلال الخلافات . ووجدت لنفسها منفذا بعد أن أعياها التربع والازدهار تحت شمس الاسلام الواضحة فوجدت فرصـــتها فى هذه الخلافات ، فأعدت لنفسها متكأ منها وأخذت تتنمر وشاء القدر أن تشتم فيما تشتم — وهى تتنمر بالاسلام وتتربص به الدوائر — رائحة الدم فىقميص عثمان رضى الله عنه ، اذ رفعه المكر الأموى على المنبر فى جامع دمشق ملطخا بالدم لتبدأ المأساة وليرى الناس الدم ويشموه ، ليحيل بنو أمية بهذا رؤيا النور فى عيون كثيرة الى دم يحمل السيف ويطلب الثأر . وتتصارع الآراء وتتباعد الأفكار ، لتتقارب السيوف وتسقط الرؤوس . ويتسربل الدهاء بسربال المكر والخديعة — ويرفع كتاب الله على أسنة الرماح — طلبا للتحكيم — ويقبل الناس الحكم . وينكشف الغدر وتتفرق الجموع . لتنموا وتتطاول السيوف كالأحداث فتجتث الرقاب وتتحول الخلافة الى ملك عضود .

ويراق الدم الطاهر فى مأساة حزينة على رمال كربلاء تكتب بالدم شهادة الأطفال الأبرياء ويصاب العقل الاموى بصراع الجنون ضـــد البيت النبوى .

ويتابع البغى الأموى اقتطاف ، زهرات البيت الطاهر ويجتثها بسيفه أينما تكون وحيثما تحل ويتلطخ التاريخ الاسلامى بالدم .

ويصدم الشعور العام للمسلمين — وتصطبغ حياة الكثيرين بالاسى — لكثرة ما أريق من الدماء الزكية بسيف البغى وبغير حق ويطوى البيت النبوى على الأسى احزانه .

وتتعاطف القلوب معهم وتتحلق من حولهم الأرواح ...

وفى هـــذا الجو الملبد بالغيوم المصطبغ بالدم يرى المتمردون بدولة الاسلام والحاقدون على نظام الحكم فرصتهم فيندسوا بين صفوف المتشيعين

لآل البيت ويظهروا ما ليس فى قلوبهم وينتهز اسماعيل بن جعفر الصادق هذه الفرصة ويوجهها ضد نظام الحكم وكان قد انتهى عهد الأمويين ألـد أعدائهم وجاء من بعدهم العباسيون ... فاستغل حالة الترف والبذخ التى يعيشها الخلفاء العباسيون ... ووجه اليهم حملة شديدة مستعملا وصية الصادق بالامامة والتفاف الشيعة من حوله سلاحا دينيا وسياسيا لـه للوصول الى أغراضه .

وشاء القدر أن يموت اسماعيل لينقسم البيت العلوى على نفسه وبموت اسماعيل تزداد المأساة عمقا .

فبعد أن كان البيت العلوى وحدة واحد فتجمع بينهم المأساة وتربطهم رابطة الدم يسهرون ويخططون من أجل الحفاظ على حياتهم واسترداد حقهم ويرعون بأنفسهم زهرات البيت الطاهر ويتعهدونها بالرعاية والعناية تمهيدا لامامة المستقبل التى تنتظرهم .

انقسموا على أنفسهم فادعى موسى أخو اسماعيل أن أباه أوصى له بعد موت اسماعيل ، وادعى أنصار اسماعيل أن الامامة مستمرة فى ذرية اسماعيل ولا يجوز تحويلها فهى لابنه محمد من بعده .

وهكذا تفتت الوحدة وتمزقت الكلمة ... وبدلا من أن تنمو زهرات البيت وترعاها وتحرسها حماية الأهل .. تحولت لتبدأ مأساة جـديدة فى رعاية الخدم . وأى خـدم وأية رعاية .. انها رعاية ميمون القداح الديصانى اليهودى الأصل .. ذلكم الذى تعهد محمد بن اسماعيل وأقام نفسه كفيلا له وسترا عليه .. فأخفاه حتى عن العلويين أنفسهم ولف الستر والغموض حياة محمد بن اسماعيل .

لتظهر على السطح حركة واسعة من التأويلات الفاسدة والمبادىء الهدامة التى تشكك فى القرآن وتسقط التكاليف وتبيح المحرمات ينسبها المروجون لها الى محمد بن اسماعيل ، وتتسع حركة التأويل وحـركة التدبير والاعداد ضد نظام الحكم .

مما اقلق هارون الرشيد فبعث العيون ورصد التحركات ليتتبع زعماء الحركة العلوية الجديدة باسم محمد بن اسماعيل .

الا أن الشك والغموض يلفان هذه الحركة فيخفى عن الخاصة والعامة أى دليل على وجود محمد بن اسماعيل ... ويتراكم الشك وتتكثف التهم .

فبينما يرى الكثير من المسلمين أن محمد بن اسماعيل مات ولم يعقب وأن الباطنية ليسوا من أبنائه وانما هم من ابناء ميمون القداح وهو الذى اخفى محمدا حتى لا ينكشـــف أمره نجـــد الباطنية يختلفون فيما بينهم فبينما يعترف بعضهم بموته ويتمسكوا بأنه أنجب وان الباطنية الفاطميين بمصر من أبنائه .

نرى البعض الآخر من الباطنية لا يعترفون بموته بل ويبالغون فى حقه ويدعون انه حى فى بلاد الروم مختفيا عن الطلب يرتب شئون الدعوة . وهو من أولى العزم عندهم وأنه جاء بشريعة جديدة نسخ بها شريعة محمد ﷺ وانه أفضل من الأنبياء والمرسلين الذين سبقوه جميعا . وأنه قائم القيامة الذى أخبر عنه القرآن وكناه بيوم القيامة .

وأنه هو الذى سيحاسب الناس ويضع الموازين ويثيب المطيع ويجازى العاصى ... وهذه المعلومات يعتبرونها من أسرار الدعوة لا يجوز التصريح بها الا للخاصة .

ومن هنا كانت صعوبة البحث فى هذا الموضوع وحساسيته ، وهى تتطلب منا أمرين :

الأول ــ التأكد من صحة هذا النسب او نفيه .

الثانى ــ مقارنة مبادئهم بالمبادىء الاسلامية ومعرفة جـــذورها وبواعثها .

ففى التسرع دون تحر ودقة وغربلة للآراء التاريخية اذا كان أغلبها بدوافع سياسة والحكم بعدم انتمائهم وابعادهم عن البيت النبوى جناية كبرى لو كانوا حقيقة منه وبالعكس تكون جنايتنا افظع فى حق تاريخ

الاسلام والمسلمين والبحث العلمى والأنســاب لو تسرعنا فأضفنا الى سلسلة الشجرة الطاهرة شرزمة من أولاد اليهود .

وعلى الرغم من أهمية هذا العامل الا أنه ليس أساسيا فى الحكم على المبادىء ... فصحة النسب أو كذبه لا تغنينا عن غربلة المبادىء ولا عن الحكم العلمى الذى تفرزه المقارنة وحدها .. فقد يكذب النسب وتصــح المبادىء وقد تكذب المبادىء ويصح النسب فنحن حينما نرفض المبادىء لا نرفضها لأنها ليست نابعة من محمد بن اسماعيل وآل البيت فحســب ولكن لمخالفتها لروح الاسلام .

أما العامل الثانى فهو الأهم والأخطر وهو مقارنة مبادئهم وتقنينها ومطابقتها بالأصــول والمبادىء الاسلامية . فاذا ما وجدنا لها جذورها الاسلامية وتوافقت مع المبادىء الاسلامية أثبتنا ذلك وأن كذب نسبهم . واذا ما تنافرت واختلفت مع المبادىء الاســلامية رفضناها وان صــح نســبهم .

أما العلاقة بين صحة النسب والمبادىء فانها تكشف عن معنى آخر . فاذا ما ثبت كذب النسب وصحة المبادىء فلا تعدو القضية أن تكون انتحالا للنسب ركب موجته طلاب السلطة ليصلوا به الى الحكم .

وفى حالة كذب المبادىء وصحة النسب لا يعدو الأمر أن يكون خطة مرسومة مبيتة لتشويه أعلام آل البيت واسقاط هيبتهم لدى الناس . فهى لعبة سياسية .

أما لو تحققنا كذبهم فى النسب والمبادىء فســتكون اذن الجريمة الكبرى ضد الاسلام والمسلمين قد تحققت بالتآمر على تشويه مبادىء الدين تحت ستار الانتماء الى العترة الطاهرة وهى قمة المأساة .

ولما كانت قضيتنا هى موقف الاسلام منهم .

فقد رايت أنه من الواجب على بادىء ذى بدء أن ألتزم فى قبول اورد أى فكرة او مبدأ فى مجال الحكم عليه لتحديد قربه أو بعده عن روح

الاسلام ان أرده الى نصوص الإسلام المقدسة . فى كتاب الله وسنة نبيه لأتعرف على مدى التطابق والتوافق أو التنافر والاختلاف بينهما .

ولما كان منهج الباطنية هو الابتعاد عن ظاهر النص والاغراق فى التأويلات مع تركيزهم الدائم فى الهجوم على أهل السنة ومنهجهم فى الاسلام ... ومنهج أهل السنة هو التمسك كل التمسك بالنص ومحاولة فهمه فى اطار ما جاء به القرآن فالقرآن يفسر بعضه بعضا أو فى اطار السنة المطهرة لهذا فقد حاولت مقابلة طرفى النقيض ببعضهما لمحاولة فرز المبادىء ومعرفة أصولها أولا ، ثم معرفة مدى توافقها أو تنافرها مع النص الاسلامى . من خلال ما تفرزه مقابلة آرائهم بآراء أهل السنة .. بعيدا عن التعصب أو التجنى اللهم الا ما تجود به معطيات المقابلة من حصاد علمى مبنى على التمحيص والتدقيق حتى لا ننقاد وراء العواطف فنخطىء فى التقرير أو التقدير .

ولهذا فقد قسمت (الكتاب) الى مقدمه وخمسة أبواب واعطيت كل فكرة حقها من البحث حتى لا تطغى فكرة على فكرة او تلتوى بى الطريق دون الوصول الى هدف . أما الأبواب فستأتى تباعا فى الكتاب وأمـــا المقدمة فقد عرضت فيها باختصار شديد لنشأة هذه الفرقة والآن أذكر الدوافع التى جعلتنى أكتب فى هـــذا الموضوع دون غيره وهى كثيرة ابرزها :

اولا : تعســـف الباطنية فى تأويل القرآن الكريم والسنة المطهرة وتحريف النصوص بدعوى أنهم ورثة التأويل الباطنى والأسرار الالهية فى ظل ستار الانتساب الى آل البيت بغية الوصول الى السلطة .

وقد ثبت أنه لا أساس لتأويلاتهم ولا دليل لهم عليها الا الاسفاف والتعنت وهدم الدين . وغيرة منى على كتاب الله وسنة رسوله وحماية لهما من التفسير الباطل والتأويلات الفاسدة التى لا ينهض عليها دليل وتصادم قواعد الإســـلام الأساسية .، وحتى لا تتشوه صورة القرآن الكريم أو تختلط على العامة تأويلاتهم الفاسدة فى تفسير القرآن الكريم ،

خاصة وأن كتبهم فى التأويل بدأت تظهر فى السوق مثل أساس التأويل وتأويل الدعائم .

لكل هذا اخترت بحث هذا الموضوع ليكون سدا فى وجه تأويلاتهم الفاسدة وكشفا لهم ولأغراضهم .

ثانيا : اسباغهم القداسة على المسائل السياسية باستغلال الدين فى الدعوة اليها . وتجميع الجماهير من حولها وتحريكها باسم الدين لخدمة الاغراض السياسية .

ثالثا : اسقاط الباطنية عن أتباعهم التكاليف الشرعية واباحة المحرمات لهم تحت ادعاء كاذب ... أنهم دون غيرهم ورثوا أسرار المعرفة الحقيقية لروح الاسلام وأن ما عداهم جهال وفى ضلال وحتى لا تتوافق هذه الحركة الباطنية الخطيرة مع موجة الالحاد والانحلال التى تجتاح العالم وتقلب موازينه وتهز القيم الدينية فى نفوس الشباب ارى أن الواجب الدينى يحتم على كل من يهمه الين ضرورة البحث والكتابة والتصدى والكشف بكل الوسائل عن حقيقة هذه الفرقة وتجريدها من القناع الزائف الذى تتسربل به لخداع الجماهير ونشر الفساد فى المجتمع الاسلامى .

رابعا : الفرق الاسلامية موضوع علمى وحى عنى بالكتابة فيه القدامى والمحدثون وقد ورد فيه حديث الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه .. ان بنى اسرائيل افترقت على احدى وسبعين فرقة وأن أمتى ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة كلها فى النار الا واحدة وهى الجماعة . وتعتبر الباطنية نفسها أنها الفرقة الناجية ، وأنها الوارثة للنبوة والأسرار الالهية وتتهم غيرها بالخروج والضلال .

لذلك رأيت لزاما على أن أكتب عن هذه الفرقة لأبين حقيقتها وأكشف عن أغراضها وهل هى فرقة اسلامية أم لا ؟ .

خاصة وأنها تختلط فى الفكر الاسلامى بالفرق الاسلامية ... وفى رأيى ضرورة تكاتف الجهود لتنقية الفكر الاسلامى وذلك ببحث كل فرقة

بحثا علميا خاصا بها يوضح نشأتها وحقيقتها ومبادئها واهدافها مع تحديد الفرق الاسلامية وغير الاسلامية وتقريب وجهات النظر بين الفرق الاسلامية بحذف الدخيل من مبادئها وعزلها من غيرها من الفرق الضالة حتى لا يختلط الفكر المنحرف بالفكر الاسلامي ويحسب على الاسلام ما ليس منه .

ونحن لا نوافق على هذا الخلط لا سيما اذا كان وسيلة الى تحريف الدين نفســـه والزيغ فى تأويل نصوصه قرآنا كان أو سنة كما فعلت الباطنية ...

الباب الأول

نشأتهم وأسلوبهم فى الدعوة

الفَصلُ الأوّل

تأثر اسماعيل بالحركات الثورية والفرق الضالة

كان لحالة الترف والبذخ التى اصطبغ بها الحكم الأموى ومن بعده الحكم العباسى وللاضطهاد الذى عاناه أهل البيت بعد مأساة كربلاء الدامية أثره البالغ فى اثارة حقد الكثيرين على نظام الحكم وتنمر القوميات واحياء العصبيات ومن هنا تلاقت رغبات المضطهدين من آل البيت مع الأصوات الثائرة والجماعات الغاضبة على الحكم والحاكمين .

وفى غفلة من الزمن وتحت تراكم البواعث والدوافع السياسية التى مزقت الكيان الداخلى للأمة بين طمع الطامعين وحرص الخائفين تلاقت النوايا المتنافرة والبواعث المختلفة فى قناة واحدة غايتها التخلص من الحكم وظلم الحاكمين .

وتعددت الأسلحة واختلفت الوسائل واستعملت بعض الجماعات فيما استعملت من أسلحة لهدم النظام سلاح الانتماء الى آل البيت والمطالبة بحقوقهم تمويها لأهدافها وكسبا للجماهير .

وشاء القدر ان تجد بعض العناصر الثورية فى اسماعيل بن جعفر الصادق سلاحها لتحقيق مآربها ... وأن يجد هو فيها أداته للوصول الى الامامة .

ومن هنا نشأت حول اسماعيل الذى تنتسب اليه (الاسماعيلية الباطنية) طائفة من الأتباع المتحمسين ذوى الميول والنزعات التى يمكن وصفها بالشيعة المتطرفة ... بمعنى أنها حملتهم الى استخلاص النتائج

الأساسية من مقدمات العرفان الشيعي ... وهي المظهر الالهي في الامامة والايمان بأن لكل أمر ظاهر حقيقة باطنة (١) .

وقد أدى هذا الى ورود بعض الأخبار التاريخية بأن اسماعيل اتصل بالغلاة وبخاصة الخطابية وأن الغلاة اتصلوا به ... وقد وردت بعض الروايات أيضا بأن اسماعيل شرب الخمر فأسقط ابوه امامته فيحياته (٢).

وحول هذا كله تدور المأساة التي كان موضعها صلة اسماعيل بالغلاة وبخاصة أبي الخطاب ورفاقه وهم أصحاب اسماعيل الذين نقم عليهم الامام جعفر واو ظاهرا والذي تركت النقمة في نفسه جرحاً عميقا (٣) .

فقد كان أبو الخطاب من دعاة أبي جعفر في بدء اتصاله به ثم غالي وانحرف وادعى النبوة وزعم أن جعفر بن محمد اله تعالى الله عن قوله : واستحل المحارم كلها ... وكان فيما قال من عرف الامام فقد حل كل شيء حرام عليه فبلغ أمره جعفر بن محمد فلعنه وتبرأ منه (٤) .

وبالرغم من صلة اسماعيل بأبي الخطاب والتي تعرض بسببها لاقسى النكبات الا أنه تبرأ منه حين غالي وحين تبرأ والده منه ... فقد قابله احد دعاة أبي الخطاب وقال له : ما أعجب امركم . فقال له : بأي الأمور تعجب .

قال : يقول لنا ابوك بالأمس ابو الخطاب معدن سرنا وعين علمنا واليوم يلعنه ويأمرنا بالبراءة منه .

فقال : ان أبا الخطاب ممن استودعه الله علمنا ولذلك قال بولايتنا فلما أفسد في دينه قبض الله وديعته فتبرأنا منه فمن اى هذه الأمور تعجب (٥) .

---

(١) تاريخ الفلسفة الحديثة هنرى كوربان ص ١٣٣ .
(٢) نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام د. النشار ص ١٣٣ .
(٣) تاريخ الفلسفة الاسلامية الحديثة هنري كوربان ص ١٣٣ .
(٤) دعائم الاسلام : النعمان ص ٤٩ ، ٥٠ .
(٥) نشأة التفكير الفلسفي : د. النشار ص ٢ ، ٣ ملخصا .

وكما تبرأ جعفر الصادق من أبى الخطاب لمغالاته كره صداقة المفضل لابنه اسماعيل لنفس السبب ...

وقال (للمفضل) : يا كافر يا مشرك . مالك ولابنى تريد قتله (٦).

ويتضح من اجابة اسماعيل على من أنكر عليهما تبرأهما من أبى الخطاب بقوله : أن أبا الخطاب أفسد فى دينه فقبض الله وديعته فتبرأنا منه أن اتصال اسماعيل بأبى الخطاب وغيره من الجماعات الثورية لم يكن الاتصال التافه لشرب الخمر كما اتهموه به ... وانما كان محاولة منه لتجميع الساخطين على الحكم العباسى حوله مستغلا موجة الاستياء الدينى والاجتماعى الذى كان يسود بلاد الخلافة وقتئذ مستعملا حقه وحق العلويين سلاحا سياسيا ضد العباسيين .

وبالطبع أثار هذا المسلك من اسماعيل ومن المحيطين به حفيظة أعدائه من العباسيين كما آثار حقد الموالين لأخيه موسى من الامامية فوجهوا اليه موجة من التهم لابعاده عن الامامة منها (٧) .

١ — أن اسماعيل مات فى حياة أبيه فانتقلت ولاية العهد الى اخيه .

٢ — أن (جعفر) علم أن اسماعيل شرب الخمر (٨) فأسقط امامته (٩) وهو لهذا شرير لا يستأهل شرف الانتساب الى أبيه (١٠) والقصة التى يروونها كدليل على شربه الخمر هى قال عنيه كنت مع جعفر الصادق بباب الخليفة أبى جعفر المنصور بالحيرة حين أتى ببسام واسماعيل بن جعفر ابن محمد فادخلا على أبى جعفر فأخرج بسام مقتولا وأخرج اسماعيل بن

---

(٦) عبيد الله المهدى : د. حسين ابراهيم طه شرف ص ٣٥٢ .
(٧) أصول الاسماعيلية : برنارد لويس ص ١٠٩ .
(٨) انظر فاطمة الزهراء : العقاد ص ٦٠ .
(٩) نشأة التفكير الفلسفى فى الاسلام : د. النشار ص ٣٥٠ ج ٢ .
(١٠) أصول الاسماعيلية : برنارد لويس ص ١٠٨ .

جعفر بن محمد فرفع جعفر رأســه اليه وقال أفعلتها يا فاسق أبشر بالنار (١١) وانصافا للرجل وللحقيقة — نميل الى عدم تصديق ذلك لأن القرائن التاريخية والموضوعية تكذب هذه القصة . فالثابت أن اسماعيل كان عدوا للخليفة وما كان للخليفة أن يترك الفرصة التى واتته للانتقــام من اسماعيل لتمر بهذه السهولة وهذا اليسر دون أن يقيم عليه الحد فى جمع من الناس أو يسجنه ليتخلص منه وليشهر به ، أو أن يقتله كما قتل بسام ويريح نفسه من عدو يود موته فقد جاء بفعل يبيح له أن يقتص منه فكيف يتركه وقد كان يتمنى أن يظفر به حتى أنه انزعج حين أشــيع أن اسماعيل حى وذلك بعد موت اسماعيل .

فبعث الى الصادق وقال له أن اسماعيل فى الأحياء وأنه رئى بالبصرة كما يقول الشهرستانى . فأنفذ الصادق السجل اليه وعليه شهادة عــامله بالمدينة (١٢) فكيف يتركه وقد كان طالبا له حتى بعد التأكد من موته ولو كان فى هذه القصةمسحة من الصدق لما نجى اسماعيل من يد المنصــور ولو كان اسماعيل من الذين يقارفون الخمر وليس له احترامه ومكانته بين أتباعه ولما تخوف والده من مغالاة أتباعه فيه ... ولما أمر أبوه مرارا أن يوضع نعشه على الأرض قبل دفنه حتى يتحقق أتباعه من وفاته (١٣) .

وعلى ضوء هذا أقرر ما يأتى :

أولا : أن اسماعيل كان على صلة بالأوساط المتطرفة والثورية وذلك لتجميعها وتوجيهها ضد العباسيين .

ثانيا : ننفى عن اسماعيل اتهامه بشرب الخمر اذ لم يقم على صــدق القصة التى يروونها دليل . وواضح فيها التلفيق ، اذ لا يعقل أن يتركه الرشيد بعد ضبطه وهو يشرب ثم يتركه بهذه السهولة وقد كان طالبا له ،

---

(١١) أصول الاسماعيلية : برنارد لويس ص ١٠٩ .
(١٢) الملل والنحل : الشهرستانى ص ١٤٤ .
(١٣) نشأة التفكير الفلسفى فى الاسلام د. النشار ص ٣٥٣ .

كما لا يعقل أن يدعى اسماعيل لنفسه الامامة ويهاجم بذخ الحكام وترفهم ثم يقع فى خطأ ابشع من خطأهم فيشرب الخمر لينفر الناس من دعـوته ويصرفهم عنه بهذا الفعل القبيح .

ثالثا : أن جعفر الصادق لم يسقط امامة اسماعيل فقد منحها اياه باختياره ولو أسقطها عنه لأى سبب من الأسباب لوجد النص الصريح الذى يقطع الجدل ويعين صـاحب الحق فان الصادق عاش بعد موت اسماعيل ، ولو أوصى باعطائها لموسى الكاظم أو لغيره لوجد النص بهذا ولعلم به جميع الشيعة ولما وسعهم الاعتراض أو الاختلاف خاصـة وأن صاحب الحق فى نظر الباطنية وهو محمد ابن اسماعيل كان صغيرا لا يتجاوز الثالثة من عمره يوم أن مات والده ولو وجد موسى الكاظم نصا لتولى الأمر دون ضجة أو خلاف .

رابعا : أن طلب المنصور له حين علم بحياته يدل دلالة واضحة على أن الامامة لم تسقط عن اسماعيل والا فما الحامل للخليفة على أن يطلب اسماعيل وقد آلت الولاية الى غيره ...

الفصل الثانى

امامة اسـماعيل

كان لموت جعفر الصادق رضى الله عنه أثره البالغ فى انقسام الشيعة الى فرعين رئيسيين :

الامامية الاثنى عشرية من جهة (وهم أتباع موسى الكاظم) .

والامامية السبعية (الباطنية) أتباع اسماعيل من جهة أخرى .

(وتدعى كل فرقة منهما أن لامامها الزعامة دون الأخرى) .

فلقد غادر الامام جعفر هذا العالم فى ١٤٨/٧٦٥هـ وهو الامـام السادس وله عند جميع الشـيعة مكانته واعتباره ، وتوفى ابنه الأكبر اسماعيل (عام ١٣٥ أو ١٤٥هـ) فى سن مبكرة وكان الامام جعفر على قيد الحياة (١) . واختلفت الاسماعيلية فى موته (بين معترف بموته متمسك بامامة ابنه محمد من بعده وبين منكر لموته مدعيا أنه اختفى حتى لا يقصد بالقتل واظهار موته تقية له وهؤلاء هم غلاة الاسماعيلية ولهم على مدعاهم هذا دلالات منها) .

١ — أن محمدا وهو أخو اسماعيل لأمه وكان وقتها صغيرا قد مضى الى السرير الذى كان اسماعيل نائما عليه ورفع الملاءة فأبصره وقـد فتح عينيه فعدا الى أبيه مفزعا وقال عاش أخى فقال والده أن أولاد الرسول كذا يكون حالهم فى الآخرة (٢) .

---

(١) تاريخ الفلسفة الاسلامية الحديثة : هنرى كوريان ص ١٣٢ .
(٢) انظر الملل والنحل : الشهرستانى ص ١٤٤ .

٢ ـ قول الصادق لو جاءكم أحد بدماغ ابنى هذا (اسماعيل) فلا تشكوا أنه الامام من بعدى (٣) .

٣ ـ حينما رفع الى المنصور أن اسماعيل بن جعفر قد رئى بالبصرة وقد مر على مقعد فدعا له فبرىء باذن الله بعث المنصور الى الصادق أن اسماعيل فى الأحياء وأنه رئى بالبصرة فأنفذ الصادق السجل اليه وعليه شهادة عامله بالمدينة (٤) .

ويورد الشهرستانى على هذا سؤالا يحمله علامات الشك فيقول وما السبب فى الاشهاد على موته وكتب المحضر ولم يعهد ميتا سجل على موته (٥) بمثل هذا الاشهاد لولا الحيطة والتقية (٦) وهكذا تدور الشكوك حول الدوافع التى جعلت الصادق يشهد على موت اسماعيل تمويها على أعدائه ، وخوفا عليه من الغيلة ومن تربص الخلفاء العباسيين به .. كما كانوا يصنعون بالعلويين المرشحين للدعوة (٧) .

وفى زعمهم أن الصادق أراد بهذا أن يبعد الطلب عن اسماعيل وان يخفيه تقيه له من خصومه حتى لا يقصد بالبحث عنه تحت ستار انه مات وبهذا يتفرغ اسماعيل فى السر للدعوة وتجميع دعاته سرا وبعيدا عن أعين الخليفة .

وهذا القول يعوزه الدليل ويبعث على التناقض . اذ لم يرد دليل يؤيد ما يدعونه من أن الصادق أعلن أن اسماعيل هو الامام من بعده ولو جاء أحد بدماغه .

---

(٣) نشأة التفكير الفلسفى : د. النشار ص ٣٥٤ ج ٢ .
(٤) الملل والنحل : الشهرستانى ص ١٤٤ .
(٥) الملل والنحل : الشهرستانى ص ١٤٤ .
(٦) فاطمة الزهراء : العقاد ص ٦١ .
(٧) فاطمة الزهراء : العقاد ص ٦١ .

فى الوقت الذى برز أكثر من دليل يؤيد أن الصادق أكد موته . ففى شهادة عامل المنصور على موته خير دليل وفى اظهار موته وايقاف نعشه أمام العامة أوفى دليل .

وكيف يخفى الصادق اسماعيل ثم يظهر موته تقية له ليتفرغ فى السر لنشر الدعوة ثم يكشف اسماعيل عن نفسه بالبصرة ويدعو لمقعد ...

وهل يقبل العقل تصديق مثل هذه المتناقضات الغريبة التى حاول أن يروجها غلاة الاسماعيلية .

ان النظرة المدققة والموضوعية لما كان يروجه الغلاة حول الأئمة تجعلنا نقتنع بوجهة النظر القائلة بأن الامام جعفر فعل هذا ليس تقية على اسماعيل كما يدعى البعض فان اسماعيل قد مات فعلا فى حياة أبيه وأمر والده أن يوضع نعشه على الأرض مرارا ليتحقق الناس من موته ويقطع الطريق على من ظنوا أنه أعلن موته وأخفاه تقية وحماية له وانما فعل هذا كما يقول الدكتور النشار .. تخوفا من مغالاة الغلاة وان يقول البعض بمهدية اسماعيل وكانت الفكرة منتشرة والغلو ذائعا (٨) فلم يخل عصر الامام جعفر الصادق .. من داعية يفترى على الأئمة العلويين وهم أحياء كما فعل أبو الخطاب الأسدى الذى كان يقول أن أولاد الحسن والحسين أنبياء الله ثم زعم أنهم أرباب وان الامام جعفر اله (٩) .

ويمكننا بعد هذا أن نرد على مزاعم الغلاة الذين لا يعترفون بموت اسماعيل ويزعمون أن والده أخفاه تقية له من القتل . بما يأتى :

١ — أن طلب الصادق من حملة النعش أن يضعوه مرارا أمام الناس حتى يتحقق الناس من حقيقة موت اسماعيل دليل صادق على أنه مات ولم يخفه والده تقية له وهذا فى الوقت نفسه قطع لألسنة الغلاة

---

(٨) نشأة التفكير : د. النشار ص ٣٥٣ .
(٩) فاطمة الزهراء : العقاد ص ٩٢ .

الذين خاف منهم الصادق ومن دعواهم مهدية اسماعيل . ولقد صدق حدسه فقد ادعت طائفة منهم أنه لم يمت وأنه مازال حيا وقد رئى بالبصرة ..

٢ ــ أن كتابة المحضر واشهاد عامل الخليفة عليه من الأخبار التى لا يمكن نكرانها أو التلاعب فيها .

والحامل له على ذلك تخوفه من الغلاة وقد حدث حينما ارسل الخليفة يخبر الصادق بأن اسماعيل حى وقد رؤى بالبصرة فأرسل له السجل وعليه توقيع عامله وما كان للخليفة أن يشك فى عامله الذى شهد على المحضر وما كان لعامله أن يشهد بالكذب .

٣ ــ تناقض أدلتهم اذ كيف يخفى اسماعيل نفسه ويعلن الصادق موته ثم يظهر بالبصرة يدعو لمقعد ويكشف عن نفسه دون مبرر .

٤ ــ أن اختلاف أخوته على الامامة ورفضهم أحقية محمد بن اسماعيل دليل على أنهم متيقنون من موت اسماعيل والا ما طلب أحد منهم الامامة وهو يعلم أن صاحب الحق موجود ويعمل من أجلها فى السر وبهذا تأكد موت اسماعيل فى حياة أبيه .

وبثبوت موت اسماعيل يقع الخلاف فى كيفية انتقال الامامة . أتكون الى ابن اسماعيل (١٠) محمد وكان فى الثالثة من عمره يومها (١١) ؟ أم أن للامام جعفر الحق فى أن يستعمل نفوذه كامام فى نقل الامامة الى ولد آخر من أولاده وهو موسى الكاظم (١٢) وهو ما قالت به الامامية الاثنى عشرية (١٣) .

وتمسك الاسماعيلية (الباطنية) باثبات الامامة لاسماعيل المنصوص

---

(١٠) تاريخ الفلسفة الاسلامية : هنرى كوريان ص ١٣٢ .
(١١) نشأت التفكير : د. النشار ص ٣٦٥ ج ٢ .
(١٢) تاريخ الفلسفة : هنرى كوريان ص ١٣٢ .
(١٣) فاطمة الزهراء : العقاد ص ٦٠ .

عليه فى بدء الأمر (١٤) وفائدة النص عندهم وان كانَ ماتَ قبلَ أبيه هو بقاء الامامة فى عقبة كقصة هارون مع موسى صلوات الله عليهما (١٥) فان النص لا يرجع القهقرى والقول بالبداء محال ولا ينص الامام على واحد من ولده الا بعد السماع من آبائه والتعيين لا يجوز على الابهام والجهالة (١٦) وذلك لأنَ الأمر كان لاسماعيل فى حياة أبيه فلما توفى قبل أبيه جعل جعفر بن محمد الأمر لمحمد بن اسماعيل وكان الحقَ له ولا يجوز غير ذلك لأنها لَا تنتقل من أخ الى أخ بعد الحسن والحسين عليهما السلام ولا تكون الا فى الأعقاب ولم يكنَ لأخوى اسماعيل عبد الله وموسى حق الامامة كما لم يكن لمحمد بن الحنفية حق مع على بن الحسين (١٧) .

وتحويل الامامة لا يجوز لأن الولاية أمر من الله يتلقاه الامام المعصوم (١٨) أما عن كيفية انتقالها اليهم ...

من على بن أبى طالب كرم الله وجهه ثم الحسن ثم الىَ الحسين ثم كيف استقرت فىَ أولَاد الحسينَ دون الحسن ؟ .

فيجيب على ذلك القاضى النعمان : بقوله :

كان على بن أبى طالب أولى الناس بالامامة بعد رسول الله ﷺ لقوله عز وجل السابقون السابقون أولئك المقربون(١٩) فكان على رضى الله عنه أولى بالامامة من الحسن والحسين لأنه السابق فلما قبض كان الحسن عليه السلام أولى بالامامة منَ الحسين بحجة السبق وذلك لقوله « السابقون السابقون » .

---

(١٤) الملل والنحل : الشهرستانى ص ١٤٣ .
(١٥) مقدمة ابنَ خلدون : ابن خلدون ص ٧٠٦ ج ٢ .
(١٦) الملل والنحل : الشهرستانى ص ١٤٣ ، ١٤٤ .
(١٧) فرق الشيعة : النوبختى ص ٨٩ .
(١٨) فاطمة الزهراء والفاطميون : العقاد ص ٦٠ ، ٦١ .
(١٩) سورة الواقعة : آية رقم ١٠ .

فكان الحسن أسبق وأولى بالامامة . فلما حضرته الوفاة لم يجز أن يجعلها فى ولده وأخوه نظيره فى التطهير ولـ ه بذلك وبالسبق فضيلة على ولد الحسين فصارت اليه فلما حضرت الحسين الوفاة لم يجزان يردها الى ولد أخيه دون ولده .

لقوله عز وجل « وأولى الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتـــاب الله » (٢٠) .

فكان ولده أقرب اليه رحما من ولد أخيه وكان أولى بهافأخرجت الآية ولد الحسن وحكمت لولد الحسين فهى فيهم جارية الى يوم القيامة (٢١)

وهذه العقيدة أصل من أصول المذهب فى تسلسل الامامة عنـــد الفاطميين وتدليلا على معتقدهم أولوا قوله تعالى « وجعلها كلمة باقية فى عقبه (٢٢) .

لأن الله سبحانه وتعالى عندهم لا يترك العالم خاليا من امام ظاهر مكشوفة أو باطن مستور تنتقل الامامة اليه بعد أبيه الامام من نسل على بن أبى طالب (٢٣) .

ومن الواضح أن هذا الأساس من أهم الأسس التى بنيت عليها العقيدة الاسماعيلية (عليه قامت الدعوة) ونادى به مؤسسوا الدعـــوة الاســـماعيلية لابعاد أخوى اسماعيل عن الامامة واثباتها لابنه محمد بن اسماعيل وبقائها فى عقبه كما أنها باقية فى عقب الحسين دون ابنـــا الحســـن .

الا أن الشىء الغريب أن أئمة الاسماعيلية أنفسهم لم يحترموا هذا

---

(٢٠) سورة الأحزاب : آية رقم ٦ .
(٢١) دعائم الاسلام : القاضى النعمان ص ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ج ١ .
(٢٢) سورة الزخرف : آية رقم ٢٨ .
(٢٣) أدب مصر الفاطمية : محمد كامل حسين ص ٦٢ .

الأصل الأساسى من أصول العقيدة ولم يتقيدوا به لا فى العصور القديمة ولا فى عصرنا الحديث .

فالمعز لدين الله نص على ولاية « عبد الله » من بعده ولكن « عبد الله » توفى فى حياة أبيه فنص « المعز » مرة أخرى على ولاية ابنه العزيز .

فخالف بذلك الأساس الذى قامت عليه طائفة الاسماعيلية فى أن الامامة لا تنتقل من أخ الى أخ وانما تنتقل من أب الى ابن (٢٤) .

وكما خالف المعز هذا الأصل الأساسى الذى قامت عليه الدعـوة خالف الخليفة المستنصر بالله كما يقول كوربان اذ حول النص بالامامة من ولده نزار الى ابنه اليافع المستعلى .

وقد حدث بعد وفاته أن فريقا بايع المستعلى (وهم أولئك الذين استمروا بالدعوة الفاطمية ويدعون بالمستعلين) .

وفريقا آخر ظل على ولائه للامام نزار (حتى هلك مقتولا مع ولده ٤٨٩ / ١٠٦٩) . وهؤلاء الآخـرون هم اسـماعيلية ايران النزارية « المشرقيون » (٢٥) .

واذا كان عذر المعز أن ابنه قد مات فما عذر المستنصر فى تحويل النص اللهم الا التلاعب وعدم احترام أصول عقيدتهم .

كما حول الحسين الامامة حينما تنازل عن الامامة لسعيد بن الحسين ابن عبيد الله القداح ليكون سترا ومسـتودعا لابنه القائم مما أدى الى انقضاض قرامطة السواد عليه وعلى رأسهم حمدان قرمط أول زعيم للقرامطة وصهره عبدان (٢٦) .

بل أن الفاطمين أنفسهم قد أهملوا السبعات التى تحـدد عـدد

---

(٢٤) طائفة الاسماعيلية : د. محمد كامل حسن ص ١٥٤ .
(٢٥) تاريخ الفلسفة الاسلامية : هنرى كوريان ص ١٥٧ .
(٢٦) نشأة الفكرة الفلسفى : د. النشار ص ٤٢٧ .

الأئمة الظاهرين والمستورين بعد أن تأسس حكمهم فى المغرب ثم فى مصر فكان عدد خلفائهم وهم أئمة ظاهرون بالطبع أكثر من سبعة (٢٧) .

وفى عصرنا الحديث : نص أغاخان الثانى على امامة ابنه شهاب الدين خان ولكن شهاب الدين توفى فى حياة أبيه فنص أغاخان الثانى على ابنه الذى تولى الامامة وعرف بأغاخان الثالث .

وقد رأينا أن أغاخان الثالث يحرم ولديه على خان وصدر الدين خان من الامامة وينص على حفيده « كريم » الذى لقب بأغاخان الرابع وهو الامام الحالى للطائفة .

هذا كله يدلنا على أن هذا الأصل من أصول المذهب الاسماعيلى اصبح نظريا فقط بمجرد أن أصبح للاسماعيلية دولة سياسية وتدخلت التنظيمات السياسية فى العقيدة فكيفتها حسب ما أملته الظروف السياسية (٢٨) .

يقول هنرى كوربان :

وهنا أيضا تكمن دوافع سياسية ذات طابع روحانى تحت تأثير التاريخ الشخصى والمسائل الشخصية ، فواقع الأمر هو أن الانتصار السياسى الذى سجله مجىء السلالة الفاطمية الى الحكم فى القاهرة يبدو كمفارقة اذ أنه الى أى حد يمكن لتجمعات باطنية أن تؤلف وتنظم دولة رسمية . فالسبب الذى أوصل قطيعة القرامطة (٢٩) يشير الى ما حدث من حمدان وعبدان مع الحسين) .

أول الأمر هو نفسه الذى ظهر فيما بعد فى اعلان الاصلاح فى قلعة الموت يشير الى الانشقاق بعد المستنصر) .

ولعل المذهب الاسماعيلى البدائى حسبما نفهم حاليا من النصوص هو الذى حرك هذا الاصلاح بعد تلك الفترة السياسية الفاطمية (٣٠) .

---

(٢٧) الصلة بين التصوف والتشيع : د. الشيبى ص ٢٠١ .
(٢٨) طائفة الاسماعيلية : د. محمد كامل حسين ص ١٥٤ .
(٢٩) تاريخ الفلسفة الاسلامية : هنرى كوربان ص ١٥٧ .
(٣٠) نشأة التفكير الفلسفى : د. النشار ص ٣٥١ .

وهكذا نجد العوامل السـياسية هى التى لعبت دورها فى تجمع الغلاة والجماعات الثورية الغاضبة على العباسيين حول اسماعيل فى حياة أبيه وحياته (باعتباره كما يقول النشار الابن الاكبر للامام (٣١) . اذ حاولت الجماعات الثورية الاتصال به كما حاول هو الاتصال بها ليعد الأمر ... وكان اسماعيل على صلة وثيقة بالأوساط المتطرفة والثورية(٣٢) واستغل اسماعيل هـذه التجمعات ضد العباسيين . واستعمل حـق العلويين الشرعى منهاجا سياسيا له (٣٣) . وهى نفس العوامل والدوافع السياسية التى تجمعت حول محمد بن اسماعيل بعد وفاة اسماعيل ووفاة الصادق بدعوى بقاء الامامة فى عقب اسماعيل وذلك لهدفين أساسيين .

الأول : ابعاد أعمامه عن ساحة العمل .

الثانى : استغلاله فقد كان صغيرا — وتوجيه الدعوة لأغراضهم السياسية متسترين تحت ستار الانتساب الى آل البيت .

وشاء القدر لشعار رفعته وأملته الظروف والدواعى السياسية أن يتهاوى تحت ظروف ودواعى سياسية على يد المعز والمستنصر والحسين واغاخان . وهم بهذا أغنونا عن استخدام أى سلاح لهدم باطلهم فقـد هدموا بأيديهم الأساس الأول الذى قامت عليه عقيدتهم فى الامامة وتصارعوا من أجله مع الامامية الاثنى عشرية من ناحية ومع الفرق الأخرى بدعوى أنهم أصحاب الامامة والوارثون لها ، من ناحية أخرى ولو كانت مبادئهم سـليمة لما وسـعهم أن يهدموا الأسـاس الذى بنوا عليه أحقية محمد ابن اسماعيل فى الامامة دون أعمامه وشنوا الحروب من أجلها . اذ كيف جوزو لأنفسهم أن يحولوا الامامة بعـد النص والتعين وهم لا يعترفون بتحويل النص ؟ .

واذا كان موقفهم من أهم الأسس التى قامت عليها دعوتهم هـو الهدم الا يدعو هذا الى زعزعة الثقة فى مبادئهم ورفضها .

---

(٣١) أصول الاسماعيلية : برنارد لويس ص ١١١ .

(٣٢) أصول الاسماعيلية : برنارد لويس ص ١١١ .

الفصل الثالث

محمد بن اسماعيل وامامته

كان سن محمد بن اسماعيل حين توفى والده ثلاث سنوات وحين توفى جده كان سنه ستة عشر عاما (١) وقد أوصى (اسماعيل) بالامامة لابنه محمد (٢) .

ونظرا لصغر سن محمد أقام الصادق ميمون القداح كفيلا وسترا لمحمد وأخذ ميمون ينتقل مع محمد فى رحلاته .

وكان من أثر تضييق الخلفاء العباسيين على الشيعة أن عمد أئمة الاسماعيلية الى الاختفاء ونشر دعوتهم فى طى الكتمان فاتخذوا مدينة سلمية من أعمال حماة ببلاد الشام مركزا لنشر دعوتهم ومن هذه البلدة الصغيرة أخذ الاسماعيلية يبعثون دعاتهم الى كافة الأقطار الاسلامية (٣) ثم انتقل محمد من سلمية الى الحجاز ومضى عهد المهدى والهادى وفترة كبيرة من عهد الرشيد ومحمد بن اسماعيل آمن فى الحجاز ودعاته يعملون فى سرية وغموض . المبارك من ناحية وميمون من ناحية يقتنصان فلول الخطابية والسلمية الهاشمية والزيدية والامامية نفسها وتسير الدعوة فى خطى مرسومة ولكن هارون يفتح أذنيه ويتلمس الفرص للايقاع بمحمد ابن اسماعيل وهنا رأى محمد أن يدخل فى الدور الهام الذى عرفته الاسماعيلية وهو دور الستر فيهرب من الحجاز متنقلا من مكان الى مكان.

---

(١) نشأة التفكير : د. النشار ص ٣٦٥ وما بعدها .
(٢) الحاكم بأمر الله : محمد عبد الله عنان ص ٥٧ .
(٣) تاريخ الأزهر ص ٥ .

فمن فرغانه الى نيسابور حيث استقر فى قرية من قرى الرى هى سملا وقد نسبت اليه فيما بعد وسميت بمحمد آباد ، وكان يرجو أن يحقق من وراء رحلته هذه ما يأتى :

أولا — اتخاذ دار هجرة وقد أصبحت هذه عقيدة عند الاسماعيلية .

ثانيا — أن يكون بعيداً عن عيون الخليفة فى الحجاز فيستطيع بسهولة أن يثبت دعوته ويبث دعاته .

ثالثا — فشل فى الحجاز أمام عمه القوى موسى الكاظم والامامية فأراد أن يتخذ دارا جديدة .

رابعا — كانت الحجاز مليئة بالعلماء والفقهاء فى عصر الدولة العباسية الزاهر فأراد أن يذهب الى أرض بكر .

خامسا — يبدو أن دعاته كانوا قد انتشروا فى شرق المملكة الاسلامية ونشروا الدعوة هناك فذهب محمد بن اسماعيل الى أرض زرعت له من قبل .

وحين مات محمد بن اسماعيل ادعى قوم من أتباعه أنه مهدى الأمة وأنه تغيب فى بلاد الروم وانه القائم المهدى وانه يبعث برسالة وشريعة جديدة ينسخ بها شريعة محمد ﷺ وان محمد بن اسماعيل من أولى العزم (٤٠) .

ثم حاولت هذه الطائفة أن تعلل نسخ الشريعة الاسلامية بأحاديث منقلية تعتمد على التأويل الباطل نسبوها زورا وبهتانا الى جعفر الصادق .

منها أنه قال : لو قام قائمنا لعلمتم القرآن جديدا .

وأنه قال : بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء .

---

(٤) نشأة التفكير : د. النشار ص ٣٦٨ ج ٢ .

كما أعلنت هذه الطائفة أيضا ان الله جعل لمحمد بن اسماعيل جنة آدم ومعناها الاباحة لجميع ماخلق الله فى هذه الدنيا والدليل النقلى عندهم قال تعالى « فكلا منها رغدا حيث شئتما » (٥) وفى هذا اباحة للدنيا وابطالا لكل تحريم « ولا تقربا هذه الشجرة » (٦) أى موسى بن جعفر وولده من بعده من أدعى منهم الامامة .

ثم ان محمد بن اسماعيل عندهم هو خاتم النبيين « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » (٧) ، (٨) .

هذا وقد لزم عبد الله بن ميمون بعد موت اسماعيل خدمة محمد بن اسماعيل ثم انه سافر مع محمد بن اسماعيل الى مصر فمات محمد بن اسماعيل ولم يكن له ولد (٩) .

ومن الثابت أن محمد بن اسماعيل مات عام ١٩٨هـ أى أنه حضر جانبا من عهد المأمون نفسه (١٠) .

---

(٥) سورة البقرة : آية ٣٥ .
(٦) سورة البقرة : آية ٣٥ .
(٧) سورة الأحزاب : آية ٤٠ .
(٨) نشأة التفكير : د. النشار ص ٣٦٨ ج ٢ .
(٩) اعتقادات فرق المسلمين : ص ٧٧ .
(١٠) نشأة التفكير : د. النشار ص ٣٦٧ .

أئمة الباطنية بعد محمد بن اسماعيل

بعد موت محمد بن اسماعيل وهو فى كهف الستر ظل أئمة الباطنية يخفون انفسهم ولا يظهرون — حتى ظهر عبيد الله بالمغرب وأعلن قيام الدولة الفاطمية . ورغم ما يحيط بهذه الفترة من غموض . الا أن الباطنية يزعمون أن محمد بن اسماعيل أوصى بالامامة من بعده كما يقول محمد عبد الله عنان لولده عبد الله بن محمد بن اسماعيل وهو أول الأئمة الذين يسمون بالخلفاء .

والثانى — هو ولده أحمد بن عبد الله أبو الحسين الملقب بالتقى وتوفى أيضا بسلمية .

والثالث — الحسين بن أحمد أبو عبد الله الملقب بالزكى وقد توفى ببلده عسكر مكرم بخوزستان (وبهذا الامام ينتهى دور الستر ليبدأ دور الظهور بعبيد الله) .

والرابع — هو عبيد الله بن الحسين أبو محمد الملقب بالمهدى أمير المؤمنين وهو أول أئمة الظهور وقد عاد به والده الى سلمية ورزق بولد هو أبو القاسم القائم بأمر الله وكانت وفاته بالمهدية فى ليلة الثلاثاء منتصف ربيع الأول عام ٣٢٢هـ (١١) .

وكان قد عاد من سلمية بعد أن مهد له أبو عبد الله الشيعى وبعد أن صادفت الدعوة الفاطمية فى بلاد المغرب نجاحا كبيرا فبعث أبو عبد الله الشيعى الى عبيد الله المهدى فى (سلمية) يدعوه للحضور الى افريقية مرحب بهذه الدعوة ولقى فى طريقه كثيرا من الصعاب لأن ولاة العباسيين كانوا يتعقبون الاسماعيلية ودعاتهم فى كافة الاقطار الاسلامية .

واستطاع عبد الله المهدى أن ينجو بنفسه حتى وصل أخيرا الى

القيروان حيث سلم عليه أهلها بالخلافة وبايعوه على الطاعة وذكر اسمه فى الخطبة وتلقب بالمهدى أمير المؤمنين (١٢) وعند الحديث عن نسبهم سنتعرض لمناقشة أصل عبيد الله ونسبه بالتفصيل .

والخامس — هو الامام محمد بن عبد الله أبو القاسم الملقب بالقائم بأمر الله وهو ثانى الخلفاء الفاطميين (١٣) .

والسادس — المنصور .

والسابع — المعز لدين الله .

وحتى لا يطول بنا الحديث عن الأئمة اكتفينا بعرض بقيتهم فى شجرة الأئمة ص (٣٧) .
وتوالت الأئمة بعد المعز حتى كان آخرهم العاضد .

وعلى الرغم من اعتقاد الباطنية بأن الامامة مستمرة ولا تنقطع حتى يكتمل عدد الأئمة مائة امام (يكشف الأعظمى عن حقيقة خطيرة لها أهميتها البالغة فى دحض هذا الزعم ويرد بنفسه على نفسه فيقول) .

ان آخر هؤلاء الأئمة قتل عام ٣٦٥هـ بالسم ... وانقطع خبره ولم تعد تصل رسائله الى دعاته فأقام العلماء المنافس نائبا للداعى المقتول خوفا من شتات شمل الجماعة حتى يرد نبأ صحيح من امامهم المستتر من أبناء الطيب (١٤) وبقيت الدعوى موروثة فى أسرة هذا النائب وأعقابه حتى اليوم (١٥) .

---

(١١) الحاكم بأمر الله : محمد عبد الله عنان ص ٥٧ ، ٥٨ .
(١٢) تاريخ الأزهر : ص ٦ .
(١٣) الحاكم بأمر الله : محمد عبد الله عثمان ص ٥٨ .
(١٤) الطيب هو ابن الآمر بالله فر الى اليمن (تأويل الدعائم) ص ٢٢ .
(١٥) تأويل الدعائم : النعمان ص ٢١ ، ٢٢ جـ ١ .

وشهد شاهد من أهلها (١٦) بشهادة واضحة أكدت كذبهم وابطلت دعواهم فى حتمية استمرار الامامة حتى يصل عدد الأئمة الى مائة امام .

وبعد هذا الاعتراف الصريح اقرر ما يأتى :

أولا ــ تحطمت نظريتهم فى حتمية استمرار الامامة وانقطعت سلسلة الأئمة ولم يصل عددهم الى نصف العدد الذى كانوا يعتقدونه .

ثانيا ــ لم تستمر الامامة فى أعقاب اسماعيل كما يدعون كما لم تستمر فى أعقاب من ادعو أنهم فاطميون وانقطع نسبهم وخرجت الامامة منهم الى نائب الامام ثم توارثها أبناءه من بعده حتى الآن .

ثالثا ــ أصبح الآن واضحا أن أئمة الباطنية فى الهند وباكستان واليمن وغيرها الذين يترأسون فرق الباطنية ليسوا من أبناء العلويين ولا من أبناء القداحين ولكنهم من أبناء نائب الامام .

وهو الأمر الذى كانت تصر الباطنية دائما على عدم التصريح به حتى تناقض الاعظمى بنفسه مع نفسه وكشف عن هذه الحقيقة ورد بنفسه على نفسه وعلى الباطنية . وصدق الله العظيم (يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين) (١٧) الا أنه رغم هذا الوضوح لانعدم أن نجد من بين الكتاب من تنتطلى عليه أكاذيب الباطنية وينخدع فى أساليبهم ويحكم لهم بصحة النسب ولهذا وحتى لا ينخدع أحد فى الباطنية سوف نكشف فى الباب التالى عن حقيقة أصلهم ونسبهم .

---

(١٦) سورة يوسف : آية ٢٦ .
(١٧) سورة الحشر : آية ٢ .

شـــجرة الأئمة

علی بن أبی طالب (٤٠ هـ)

الحسن (٤٩هـ) الحسين (٦١ هـ)

علی زين العابدين (٩٤هـ)

محمد (١١٥هـ)

جعفر (١٤٨هـ)

اسماعيل (١٣٨هـ)

محمد (١٩٨هـ)

عبد الله (٢١٢هـ)

أحمد (٢٢٩هـ)

الحسين

عبيد الله (٢٩٧هـ)

القائم (٣٢٢هـ)

المنصور (٣٣٤هـ)

المعز (٣٤١هـ)

العزيز (٣٦٥هـ)

الحاكم (٣٨٦هـ)

الظاهر (٤١١هـ)

المستنصر (٤٢٧هـ)

المستعلی (٤٨٧ هـ) نـــذار

الآمر (٤٩٥هـ) الحافظ (٥٢٤هـ)

الظافر (٥٤٤هـ)

الفائز (٥٤٩هـ)

العاضد (٥٥٥هـ)

للتفرقة بين ائمة المرحلة الأولى وأئمة الظهور آثرنا أن تكتب تاريخ الوفـــاة للمجموعة الأولى حتى عبيد الله وتاريخ تولى الملك للمجموعـــة الثانية .

الفصل الرابع

نسب الباطنية بين المؤيدين والمنكرين

يدور جدل عنيف حول حقيقة نسب الباطنية . وهل هم علويون أم من أبناء القداح فبينما يذهب أهل السـنة وجماهير المسلمين الى أنهم من أبناء المجوس ، يتمسك الباطنية بأنهم علويون من أبناء محمد بن اسماعيل ويرتبون على هذا أحقيتهم فى ارث الامامة والعلم اللدنى وحق التأويل الباطنى ورتبة الشرف على الانسانية ومن ثم كانت قضية تحقيق النسـب قضية أصلية وأصيلة فى البحث بل هى من أهم المواضيع التى يتعرض لها الباحث عن معرفة حقيقة الباطنية اذ باماطة اللثام عن حقيقة النسـب تنكشف نواياهم وتتعرى أغراضهم ولهذا سوف نبدأ بعرض آراء المؤيدين ثم نتبعها بآراء المنكرين لفصل الخطاب حتى ينقطع اللجاج فى هذا الموضوع .

أولا : آراء المؤيدين :

١ ــ يستدل العقاد بمطاردة العباسيين لعبيد الله المهدى الذى هرب الى المغرب واسس الدعوة الفاطمية بها ثم انتقلت على يد حفيده المعز لدين الله الى مصر بأنها أقوى دليل على أن العباسيين أنفسهم كانوا يخشون دعوته وأن مبايعة الشيعة لأبنائه سواء شيعة الديلم فى بغداد أو شيعة الزيدية خاصة فى اليمن ترجح صدق انتسابهم الى السـيدة فاطمة الزهراء (١) .

كما يستدل العقاد أيضا بأن العاضد هم بالخطبة فى بغداد للخلفاء الفاطميين فرده أحد الدهاه من أصحابه عن هذا العزم وقال له :

---

(١) فاطمة الزهراء : العقاد ص ٧٣ .

انك مع خليفة تعتقد أنت واصحابك انه ليس من أهل الخلافة ولو أمرتهم بقتله لقتلوه مستحلين دمه ولكنك اذا أقمت علويا فى الخلافة كان معك من تعتقد انت وأصحابك صحة خلافته فلو أمرهم بقتلك لاستحلوا دمك وقتلوك (٢) ثم يذهب الى أبعد من هذا فيتهم المنكرين للنسب .. بأنهم ضعفوا دعواهم غاية الضعف بنسبة جد الفاطميين الى ديصان الثنوى وهو من أبناء القرن الثالث للميلاد وذهبوا الى التوفيق بين المسيحية والزرادشتية قبل البعثة الاسلامية بنحو أربعة قرون (٣) .

واختلف كل الاختلاف مع العقاد فى ما استنتجه وما وصل اليه من رأى يصحح به النسب والغريب فى الأمر أن العقاد لم يحاول تحليل هذه الاستنتاجات ولم تظهر فى كلماته روح النقد والتمحيص والتحليل التى تعودناها فى كتابات العقاد الذى بنى رأيه على مجرد الاستنتاج .

ولهذا أرفض رأيه وأرد عليه بما يأتى :

أولا : ان مطاردة اى خارج على النظام لا تدل على أنه هو صاحب الحق فالتاريخ ملىء بما كان يقوم به الحكام من مطاردة الخارجين والمفسدين وقطاع الطرق فى بلادهم . ولا يعنى هذا أبدا أن المطاردين هم أصحاب حق فالعقل لا يسلم بهذا ولا يقبله .. فالحق يعتمد على الأدلة والبراهين .. ولا يعتمد على الاستنتاج والتخمين .. وهم لا يملكون دليلا واحدا يجعلهم أصحاب حق .

ومن هنا ولما عجز سعيد عن اثبات حقه أخذ يثير الشغب والفتن ويعمل على قلب نظام الحكم فى السر ولهذا طورد من العباسيين . كما لا يفهم أبدا من مجرد مبايعته من شيعته أنه الامام وصاحب الحق ... فربما كان القوم مخدوعين فى ذلك . وقد حدث فعلا هذا حينما اكتشف القرامطة انه ليس من العلويين وأنه من أبناء القداح خلعوا بيعته وحاربوه .

---

(٢) فاطمة الزهراء : العقاد ص ٧٥ .
(٣) فاطمة الزهراء : العقاد ص ٧٦ .

ثانيا : لو كان العاضد يعتقد أن الفاطميين بمصر أصحاب حق وانه لهذا الاعتقاد عزم على قطع الخطبة عن العباسيين واعلان الخطبة باسم الفاطميين ما تراجع عن عزمه لمجرد قول أحد الدهاة من رعيته لأنه يقدر منذ البداية ما سيترتب على قطع الخطبة عن العباسيين .. اللهم الا اذا كانت الدوافع لقطع الخطبة دوافع سياسية وشخصية تتعلق بعلاقته بالحكام ... والدوافع السياسية والشخصية لا تصلح معيارا لتحديد نية الأفراد أو أساسا تنبنى عليه الانساب ...

ثالثا : أن الفارق الزمنى الكبير بين ديصان وبين ميمون القداح — لا يمنع صحة انتساب ميمون الى ديصان . فكثيرا ما يضاف الى الرجل اسم قبيلته أو جده .. فيقال فلان الهاشمى والعباسى والأموى . ولا يفهم من هذا أنه ابن هاشم مباشرة أو ابن العباس مباشرة . ولكنها تعنى أنه من خلائفه ومنتسب اليه ، وكذلك فى ميمون وديصان فهو ميمون الديصانى . أى من ذريته ومنتسب اليه ولا أشكال من حيث الفارق الزمنى . بل ولا يهمنا هذا التباعد الزمنى مادامت كل الروايات تجمع على انه ديصانى . ولكن الذى يهمنا ونود تأكيده أنه من ذرية ديصان سواءا باعد بينهم الزمن أو تارب فلا أشكال فى هذا . ويكفينا ردا على العقاد فى هذا رده هو بنفسه على نفسه اذ يقول فى نهاية بحثه اننا لا نزعم اننا وقعنا على الدليل القاطع الذى يثبت نسب عبيد الله رأس الدولة الفاطمية(٤)

الدليل الثانى :

يشكك المقريزى والعقاد فى صحة الوثيقة التى كتبها الخلفاء العباسيون وشهد فيها علماء الدولة وفقاؤها بنفى الصلة بين الفاطميين بمصر والعلويين وتكشف عن حقيقة الفاطميين وأنهم من أبناء ميمون القداح (٥) .

---

(٤) فاطمة الزهراء : العقاد ص ٥٨ .
(٥) انظر اتعاظ الحنفاء : ص ١٦ .

يقول العقاد : ان الوثيقة لا قيمة لها منَ الوجهه التاريخية لأن الذين وقعوها من الأشراف العارفين بالانساب قد أكرهوا على توقيعها ومن وقعها من فقهاء القصر والحاشية لم يكن أحد منهم حجة فى مسائل النسب والتاريخ (٦) .

وقد سبقه الى هذا المقريزى اذ يقول : ان العلماء ممن كتبوا فى المحضر انما كتبوا خوفا وتقية (٧) وكانت شهادتهم فى ذلك على السماع لما اشتهر وعرف الناس ببغداد وأهلها انهم من شـيعة بنى العبـاس الطاعنون فى النسب والمتطيرون من بنى على بن ابى طالب ... فنقل عنهم الاخباريون وأهل التاريخ ذلك كما سمعوه ورووه حسب ما نقلوه من غير تدبر (٨) ففى امتناع الرضـى عن الاعتذار وعن أن يكتب طعنا فى نسبهم دليل قوى على صحة النسب (٩) .

كما وأن بنى على ابن أبى طالب كانوا اذ ذاك فى غاية من وفـور العدد وجلال القدر عند شيعتهم فما الحامل لشيعتهم على الاعراض عنهم والدعاء لابن مجوس أو يهودى (١٠) .

وهذا القول من المقريزى والعقاد يعوزه الدليل وتنقصه الحجة اذ لا دليل لهم على أن الخليفة العباسى أكره العلماء والفقهاء والوجهاء على كتابة الوثيقة . فالذين وقعوها من أكابر العلماء ولا يستطيع الحاكم اكراههم والتاريخ يشهد بهذا كما لم يشهد التاريخ بأن الحاكم العباسى كـان ظالما ... ولو سلمنا جدلا أن الحاكم أكره بعض العلماء على كتابة الوثيقة فهل أكره جميع العلماء والاخباريين وأهل التاريخ وضغط على الشعب

---

(٦) فاطمة الزهراء : العقاد ص ٧٣ .
(٧) اتعاظ الحنفاء : المقريزى .
(٨) خطط المرقيزى : المقريزى ص ٢٠ ج ٢ .
(٩) اتعاظ الحنفاء : المقريزى ص ٣٧ .
(١٠) خطط المقريزى : المقريزى ص ٢٠ ج ٢ .

كله بحيث أخذ رفض النسب الفاطمى صورة شبه اجماعية فاين كـــان العلويون وشيعتهم حين تركوا للعلماء والفقهاء وللشعب حرية التهجم على النسب الفاطمى ورفضه حتى شاع هذا الخبر وانتشر ، وكتب له الذيوع دون اعتراض ؟

وهل سكتو لأنهم كانوا يعلمون أن الفاطميين بمصر لا تربطهم بهم صلة نسب حقيقى وانما هو ادعاء ... ؟

هذا ما حدث فعلا فان كثيرا من العلويين وقعوا على الوثيقة وأعلنوا أنهم لا صلة لهم بالفاطميين بمصر .

وأما عدم توقيع الرضى وعدم طعنه فى نسب الفاطميين بمصر فقد أوضحه هو بنفسه فى رده على والده وهـــو خوفه من اغتيال الحـــكام المصريين له وقد كانوا مشهورين بهذا (١١) والذى ذكر هذا وأوضحه المقريزى فهو دليل عليه وليس له .

الدليل الثالث : يؤكد ايفانوف أن ميمون القداح وولده عبد الله لم يكونا أصل الفاطميين ولم تجمعهم بهم أى صلة رحم .. كما يؤكد أنهم لم يكونا ديصانيين أو زنادقة (١٢) . وهو بهذه المغالطة المكشوفة يحاول أن ينفى صلة ميمون وولده بالفاطميين من حيث النسب كما ينفى عن ميمون وابنه أن يكونا ديصانيين أو زنادقة ولم يقدم لنا دليلا واحدا يؤيد ما أوصله الى هذا الاستنتاج لهذا تشتت مع القضية ولم يقدم الدليل .

كما حـــاول المؤرخ الهندى (مأمور) أن يوفق بين وجهات النظر والآراء المتعارضة التى تشد نسب الباطنية تارة الى محمد بن اســـماعيل وتارة الى ميمون القداح .

فيقول ان محمد المكتوم (وهو محمد بن اسماعيل) كان يخفى نفسه

---

(١١) انظر المرجع السابق ص ٢١ جـ ٢ .
(١٢) الحاكم بأمر الله : عنان ص ٦٥ ، ٦٦ ملخصا .

ويتعاطى طب العيون مداراة لحقيقته وأن اسم ميمون كان من الأسماء التى انتحلها فى حالة استتاره والقداحة هى لقب الطبيب الذى يعالج العيون (١٣) »

و (مأمور) بهذا يحـاول أن ينفى وجود شخصية مسـتقلة لميمون نميمون ومحمد بن اسماعيل شخص واحد هو محمد بن اسماعيل وهو الذى كان يتستر بهذا الاسم تقية له ومداراة ولكن الواقع يهدم نظرية مأمور مقد كان لميمون وجوده الفعلى وكان خادما للصادق ثم تكفل بتربية محمد ابن اسماعيل وهو الذى أخفاه من وجه العباسيين . وأمام هذه الحقيقة الدامغة نجد الأستاذ (كب) يرد على مأمور هادما وجهة نظره فيقول : ان مأمورا وضع قضيته موضعا ضعيفا جدا حين جعل هذا الدفاع هو الدفاع الأخير عن صحة نسب الفاطميين (١٤) .

وبهذا يسقط القناع الزائف حول دعوى المؤيدين للنسب وتتهافت أدلتهم ويتضح أنهم أدعياء وليس لهم صلة بالعلويين .

وحتى تتكشف الحقائق وتنجلى الأمور أكثر نعرض آراء المنكرين للنسب .

آراء المنكرين للنسب :

بعد أن عرضـنا آراء المؤيدين للنسب وكشفنا عما فى آرائهم من مغالطات وتهافت وسطحية حيث لم يقدموا دليلا واحدا يثبت صحة انتساب الباطنية الفاطميين الى محمد بن اسماعيل من قريب أو من بعيد . نعرض الآن آراء المنكرين للنسب .

وفيها نتتبع حياة ميمون القداح الذى أشرف عـلى تربية محمد بن اسماعيل وأخفاه حتى عن العلويين أنفسهم فأحاط بحياة محمد الغموض وبنيه ميمون التهم والشكوك ... واختلطت حياة ميمون وبنيه بحياة محمد ابن اسماعيل واصطبغ المذهب الباطنى بلون ميمون وبنيه .

---

(١٣) فاطمة الزهراء : العقاد ص ٦٣ .

(١٤) أصول الاسماعيلية : لويس ص ٨١ .

ثم نتتبع نشأة ذرية ميمون والظروف التى أحاطت بهم . ونحسم القول فيما اذا كان محمد بن اسماعيل أنجب كما تدعى الباطنية ! ولم ينجب كما يذهب أهل السنة وأكثر المسلمين وأن الباطنية ليسوا من ذريته وانما هم من ذرية ميمون .

ونستعرض فيما يأتى آراء المنكرين لنعرف حقيقة ميمون وبنيه .

نشأ ميمون فى الأهواز (١٥) وكان له مذهب فى الغلو كما يقول المقريزى (١٦) وهو الذى تنسب اليه الفرقة المعروفة بالميمونية (١٧) فولد ميمون عبد الله وكان عبد الله عالما بجميع الشرائع والسنن والمذاهب (١٨) ولما أشتد الطلب عليه . انتقل فنزل معسكر مكرم فهوجم به فهرب منه فنقضت له داران فى موضع يعرف بسباط أبى نوح فبنيت احداهما مسجدا والأخرى تركت خرابا ... وصار الى البصرة فنزل على قوم من أولاد عقيل ابن أبى طالب فهوجم بها هناك ثم هرب الى سلمية بترب حمص (١٩) ليخفى أمره فولد له بها ابن يقال له أحمد ومات عبد الله بن ميمون ... فقام من بعده ابنه أحمد هذا فى ترتيب الدعوة وبعث بالحسين الأهوازى داعيه الى العراق فلقى حمدان ابن الأشعث قرمط بسواد الكوفة ، وولد لأحمد بن عبد الله بن ميمون القداح ولدان هما الحسين ومحمد المعروف بأبى الشلعلع (٢٠) فلما مات أحمد خلفه بسلمية الحسين فى الدعوة (٢١) وتزوج (الحسين) امراة يهودية من نساء سلمية كان لها ابن من يهودى حداد مات وتركه لها فرباه الحسين وأدبه وعلمه ثم مات عن غير ولد فعهد

---

(١٥) الفرق بين الفرق : البغدادى ص ٢٨٢ .
(١٦) خطط المقريزى : ابن النديم ص ١٨ جـ ٢ .
(١٧) الفهرست : ابن النديم ص ١٨٧ .
(١٨) خطط المقريزى : المقريزى ص ١٨ جـ ٢ .
(١٩) الفهرست : ابن النديم ص ١٨٧ .
(٢٠) اتعاظ الحنفاء : المقريزى ص ٢٥ .
(٢١) خطط المقريزى : المقريزى ص ١٩ جـ ٢ .

الى ابن امراته هذا فكان هو عبيد الله (٢٢) الذى أسس فيما بعد الدولة الفاطمية بالمغرب وكان فى هذه الفترة يعمل صباغا بسلمية (٢٣) .

ولما مات الحسين قام بعده أخوه أبو الشلعلع وبعث بداعيين الى المغرب وهما أبو عبيد الله وأخوه العباس فنزلا فى البربر ودعوها (٢٤) واشتهر سعيد (عبيد الله) بعد موت عمه وكثر ماله فطالبه السلطان ففر من سلمية يريد المغرب وكان على مصر عيسى النوشرى فورد عليه كتاب الخليفة ببغداد بالقبض عليه ففاته وصار بسلجماسة فى ذى التخار فبعث المعتضد من بغداد فى طلبه فأخذ وحبس (٢٥) .

ولما سمع أبو عبيد الله باعتقاله حشد جمعا كثيرا من كتاب وغيرها وقصد سلجماسة لاستنقاذه فلما بلغ اليسع وصولهم قتل المهدى فى السجن فلما دنت العساكر من البلد هرب اليســـع (وكان واليا على سلجماسة) . فدخل أبو عبد الله الى السجن فوجد المهدى مقتولا وعنده رجل من أصحابه كان يخدمه فخاف أبو عبد الله أن ينتقض عليه ما دبره من الأمر ان عرفت العساكر بقتل المهدى فأخرج الرجل الى العساكر وقال هذا هو المهدى (٢٦) . وقيل لم يمت . وأخرجه أبو عبيد الله الشيعى من محبسه فتسمى حينئذ بعبيد الله وتكنى بأبى محمد وتلقب بالمهدى وادعى انه امام علوى من ولد محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق وسمى ابنه وكناه أبا القاسم (٢٧) .

وغير اسمه ونسبه فقال : أنا عبيد الله بن الحسين بن محمد بن

---

(٢٢) اتعاظ الحنفاء : المقريزى ص ٢٩ .
(٢٣) البداية والنهاية : ابن كثير ص ١٦١ جـ ١١ .
(٢٤) خطط المقريزى : المقريزى ص ١٨ .
(٢٥) خطط المقريزى : المقريزى ص ١٨ جـ٢ .
(٢٥) وفيات الأعيان : ابن خلكان ص ٣٢٦ .
(٢٧) خطط المقريزى : المقريزى ص ١٨ جـ ٢ .

اسماعيل بن جعفر الصادق (٢٨) ولم يدع سعيد هذا المسمى عبيد الله نسبه الى على بن أبى طالب الا بعد هروبه من « سلمية » وأباؤه منْ قبله لم يدعوا هذا النسب وانما كانوا يظهرون التشيع والعلم وأنهم يدعون الى الى الامام محمد بن اسماعيل بن جعفر وأنه حى لم يمت (٢٩) ولما ذهب الى المغرب ادعى انه من ولد محمد بن اسماعيل . فصدقه على ذلك طـائفة كبيرة من البربر وغيرهم من الجهلة وصارت له دولة فملك مدينة «سلجماسة» ثم ابتنى مدينة سماها « المهدية » (٣٠) ويذهب البغدادى الى أن دعوى سعيد الانتساب الى محمد بنْ اسماعيل دعوة كاذبة . لأن محمد بن اسماعيل مات ولم يعقب عند علماء الانساب (٣١) (ومات فى سفره بمصر) ولم يكن له ولد الا أن جاريته كانت حملت منه وكانت لعبد الله بن ميمون أيضـا جارية قد حملت منه فقتل عبد الله جارية محمد بن اسماعيل فلما ولـدت الجارية قال الناس انه ولد لمحمد بن اسماعيل بن ولما كبر علمه الزندقة وقال للناس انّ الامامة صارت الى ابنه هذا وساعده على ذلك بقية من اولاد ملوك العجم من المجوس لما كان فى قلوبهم من عداوة الدين الاسلامى والمسلمين وأضلوا بذلك خلقا كثيرا واستولى من ذلك القبيل جماعة منهم على المغرب ومصر واسكندرية وانتشرت دعاتهم فى البلاد (٣٢) .

ويتضح من هذا أن سعيدا ليس من ولد محمد بن اسماعيل ويؤكد هذه الحقيقة اليمانى فيقول لم يكن لمحمد بن اسماعيل ولد ولا عرف ذلك من الناس أحد (٣٣) وانما هو سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح الديصانى البونى الأهوازى وأصله من المجوس (٣٤) وكان باطنيا

---

(٢٨) الحاكم بأمر الله : محمد عبد الله عنان ص ٥١ .
(٢٩) التبصير : الاسفرايينى ص ٨١ .
(٢٩) اتعاظ الحنفاء : المقريزى ص ٢٩ .
(٣٠) البداية والنهاية : ابن كثير ص ١٦١ جـ ١١ .
(٣١) الفرق بين الفرق : البغدادى ص ٢٨٢ .
(٣٢) اعتقادات فرق المسلمين : الرازى ص ٧٧ .
(٣٣) كشف أسرار الباطنية : اليمانى ص ١٨ ١٩ .
(٣٤) خطط المقريزى : ص ١٩ جـ ٢ .

خبيثا حريصا على ازالة ملة الاسلام (٣٥) . بل ويؤكد ابن كثير أنه يهوديا ادعى أنه أسلم ثم سافر الى « سلمية » (٣٦) ويكشف الستر عن حقيقة اجابته على عبدان حينما اعترض على امامته وذكره ان الامامة لمحمد بن اسماعيل . فرد عليه سعيد بقوله محمد بن اسماعيل لا أصل له ولم يكن الامام غير أبى وهو ولد ميمون بن ديصان وأنا أقوم مقامه (٣٧) .

فقد كانت اجابته كاشفة عن حقيقة أصله ولم يستطع أن يداور أو يناور مع عبدان لأن عبدان من المؤسسين للدعوة وهو أول من يعرف أصل سعيد . ولو لم يكن سعيد من ولد القداح لما رفض عبدان امامته ولما اعترض عليه . ولذا فاننا نجد اليمانى يشتد عليهم وينفى كل صلة تربطهم بعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه فيقول :

وانتحالهم اليه انتحال كاذب وليس لهم فى ذلك برهان وأهل الشرف ينكرون ذلك فانهم لم يجدوا لهم فى الشرف أصلا مذكورا ولا عرفوا لهم فى كتاب الشجرة نسبا مشهورا بل الكل يقصيهم عن الشرف وينفيهم عن النسب الا من دخل معهم فى كفرهم وضلالتهم فانهم يشهدون لهم بالزور (٣٨) وسوف تتضح معالم هذه القضية بعد الانتهاء من عرض آراء المنكرين .

وذهب الى نفى النسب أيضا . دى ساس . ودوزى . وهامر . وكاترمير . وكويرد . وبلوشيه ودى خوية ... فهم يعتبرون الاسماعيلية والقرمطية والفاطمية أسماء مختلفة لحركة واحدة بدأت منذ أن وجدت جماعة منفصلة تتحمل ادعاءات الامام اسماعيل ضد اخوته ... أعاد تنظيمها العبقرى الماكر عبد الله بن ميمون القداح المارق عن الاسلام الذى تألق نجمه خلال القرن الثالث الهجرى . وجعل للاسماعيلية عقيدة

---

(٣٥) الحاكم بأمر الله : عنان ص ٥١ .
(٣٦) البداية والنهاية : ابن كثير ص ١٦١ ج ١١ .
(٣٧) نهاية الارب عبد الله المهدى : د. النشار ص ٤٢٧ .

وطبيعة تنظيمية خاصة ، ويتفق هؤلاء فى هذا اتفاقا تاما ولكن دى مساس ، وبلوشية يرجحان رغم هذا أن الفاطميين علويون حقا وهو ترجيح يرفضه دورى وكاترمير وكويرد ودى خوبة (٣٩) .

وينقل لنا لويس رأى ماسنيون فيقول الخلفاء الفاطميون من نسل ميمون القداح ، ويؤكد ماسينون مع هذا أهمية التفويض فى العقيدة الاسماعيلية الذى يجعل الوارث الحقيقى التلميذ لا الابن الطبيعى . وعلى هذا فالخلفاء الفاطميون علويون بالتفويض وعبد الله بن ميمون القداح بتفويض محمد بن اسماعيل ابن ووارث له (٤٠) ويرى جويدى أن الخلفاء الفاطميين هم أحفاد عبد الله وأن دعوتهم جزء من الحركة القرمطية (٤١) .

وهناك روايات أخرى كثيرة يستدل بها المنكرون للنسب نقتطف منها ما يأتى :

أولا — عدم قدرتهم على اثبات نسبهم فمع ما كانوا يظهرون لم يكن لهم جسارة أن يذكروا لهم نسبا على منبر ولا فى مجمع بين الناس سوى ما يشيعون من أنهم من آل رسول الله ﷺ بغير نسب ينتسبونه تمويها على العامة (٤٢) وحينما تنقطع بهم شجرة النسب يقولون : بأنه ابن الأئمة المستورين من ولد اسماعيل بن جعفر الصادق فاذا سألهم سائل عن هؤلاء المستورين حادوا عن الجواب (٤٣) . ولا أدل على هذا من هروب المعز لدين الله من الرد على سؤال ابن طباطبا حين قدم مصر وسأله ابن طباطبا الى من ينتسب مولانا فقال المعز سنعقد مجلسا ونجمعكم ونسرد عليكم نسبنا فلما استقر المعز بالقصر جمع الناس فى

(٣٨) كشف أسرار الباطنية : اليمانى ص ١٨ .
(٣٩) أصول الاسماعيلية : لويس ص ٧٩ .
(٤٠) أصول الاسماعيلية : لويس ص ٨٠ .
(٤١) أصول الاسماعيلية : لويس ص ٨١ .
(٤٢) اتعاظ الحنفاء : المقريزى ص ٢٩
(٤٣) كشف أسرار الباطنية : اليمانى ص ١٨ ، ١٩ .

مجلس عام وجلس لهم وقال هل بقى من رؤسائكم احد فقالوا لم يبق معتبر فسل عند ذلك نصف سيفه وقال هذا نسبى . ونشر عليهم ذهبا كثيرا وقال هذا حسبى فقالوا جميعا سمعنا وأطعنا (٤٤) .

ويميل العقاد الى تكذيب هذه القصة مستندا الى أن ابن طباطبا الذى قيل أنه سأل « المعز » عن نسبه عند وصوله الى مصر قد توفى قبل مقدم « المعز » اليها بأربع عشرة سنة . « الا أنه يعود فينقل عن ابن خلكان ايضا » أن ابن خلكان صاحب القصة هذا الذى ذكر تاريخ وفاته لم يكذب القصة بل قال لعله أمير آخر (٤٢) والحجة فيها قول بن خلكان لأنه صاحب الروايتين .

ويروى أيضا عن المعز أنه أحضر بين يديه الزاهد العابد الورع الناسك التقى أبو بكر النابلسى فقال له المعز بلغنى أنك قلت لو أن معى عشرة اسهم لرميت الروم بتسعة ورميت المصريين بسهم فقال ما قلت هـذا .

فظن أنه رجع عن قوله فقال له : كيف قلت . قال : قلت ينبغى أن نرميكم بتسعة ثم نرميهم بالعاشر . قال : ولم ؟ قال : لأنكم غيرتم دين الأمـة وقتلتم الصـالحين وأطفأتم نور الآلهية وادعيتم ما ليس لكم فأمر باشهاره فى أول يوم ثم ضرب فى اليوم الثانى بالسياط ضربا شديدا مبرحا ثم أمر بسلخه فى اليوم الثالث فجيىء بيهودى فجعل يسلخه وهـو يقرأ القرآن قال اليهودى : فأخذتنى رقة عليه فلما بلغت تلقاء قلبه طعنته بالسكين فمات رحمه الله (٤٦) وكما تهرب المعز من الجواب تهرب نزار ابن معد أيضا .

حين ارسل فنا خسرو بن الحسن الديلمى من بغداد الى نزار بن معد رسولا يقول له نريد أن تعرف ممن أنت ؟ »

---

(٤٤) وفيات الأعيان : ابن خلكان ص ٣٫٢٦ .
(٤٥) فاطمة الزهراء : العقاد ص ٦٤ .
(٤٦) البداية والنهاية : ابن كثير ص ٢٨٤ ج ١١ .

فقال نزار فى رده : نزار العزيز بن معد المعز لدين الله بن اسماعيل المنصور بالله بن محمد القائم بأمر الله ابن عبيد الله المهدى بن الأئمة المتحنين أو قال المستضعفين (٤٧) . ويؤكد ابن خلكان أن أكثر أهل العلم لا يصححون نسب عبيد الله والد خلفاء مصر حتى أن العزيز فى أول ولايته صعد المنبر يوم الجمعة فوجد هناك ورقة فيها .

انا سمعنا نسبا منكرا — يتلى على المنبر فى الجامع
ان كنت فيما تدعى صادقا — فاذكر أبا بعد الأب الرابع
وان ترد تحقيق ما قلته — مانسب لنا نفسك كالطائع
أو فدع الأنساب مستورة — وأدخل بنا فى النسب الواسع
فان أنساب بنى هاشم — يقصر عنها طمع الطامع (٤٨)

فقرأها العزيز ولم يتكلم ...

ثانيا — وينقل المقريزى لنا رواية أخرى عن أبى الحسن هلال بن ابراهيم الصابى وابنه غرس الدولة محمد فى تاريخهما أن القادر بالله عقد مجلسا أحضر فيه الطاهر أبا أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن ابراهيم بن موسى بن جعفر الصادق ، وابنه أبا القاسم عليا المرتضى وجماعة من القضاة والشهود والفقهاء وأبرز اليهم أبيات الشريف الرضى أبى الحسن محمد بن أبى أحمد الحسين التى أولها .

ما مقامى على الهوان وعندى — مقول صارم وأنف حمى
واباء محلى بى عن الضيم — كما راع طائر وحشى
أى عذر له الى المجد أن ذل — غلام فى غمده المشرفى
أحمل الضيم فى بلاد الأعادى — وبمصر الخليفة العلوى

---

(٤٧) اتعاظ الحنفاء : المقريزى ص ٣١ .
(٤٨) النجوم الزاهرة : أبو المحاسن ص ٢١٦ .

من أبوه أبى ومولاه مــولا ى اذا ضـامنى البعيد القصى
لف عرقى بعرقه سـيدا النـا س جميعـا محمـد وعـلى
ان جوعى بذلك الربع شـبع وأرامى بذلك الظـل رى
مثل من يركب الظـلام وقـد أسـدى وخلفه هلال مضىء

وقال الحاجب للنقيب أحمد قل لولدك محمد أى هوان قد أقام فيه عندنا وأى ضيم لقى من جهتنا وأى ذل أصابه فى مملكتنا وما الذى يعمل معه صاحب مصر لو مضى اليه أكان يصنع اليه أكثر من صنيعنا ألم نوله النقابة ؟ ألم نوله المظالم ؟ ألم نستخلفه على الحرمين والحجاز وجعلناه أمير الحج فهل كان يحصل من صاحب مصر أكثر من هـذا ما تظنه كان يكون لو حصل عنده الا واحدا من أبناء الطالبين بمصر .

فقال النقيب اما هذا الشعر فمما لم نسمعه منه ولا رأيناه بخطه ولا يبعد أن يكون بعض أعدائه نحله اياه وعزاه اليه فقال القادر ان كان كذلك فليكتب الآن محضرا يتضمن القدح فى أنساب ولاة مصر ويكتب محمد خطه فيه فكتب محضرا بذلك شهد فيه جميع من حضر المجلس ومنهم النقيبُ أبو أحمد وابنه المرتضى ، وحمل المحضر الى الرضى ليكتب فيه خطه . حمله أبوه وأخوه فامتنع وقال : لا أكتب وأخاف دعاة صاحب مصر وأنكر الشعر وكتب بخطه انه ليس بشعره ولا يعرفه فأجبره أبوه ان يسطر خطه فى المحضر فلم يفعل وقال :

أخاف دعاة المصريين وغيلتهم فانهم معروفون بذلك فقـال أبـوه يا عجبا أتخـاف من بينك وبينه ستمائة فرسخ ولا تخاف من بينك وبينه مائة ذراع (٤٩) .

---

(٤٩) اتعاظ الحنفاء : المقريزى ص ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ .

وصورة المحضر كالآتى :

هذا ما شهد به الشهود أن معد بن اسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد منتسب الى ديصان بن سعيد الذى ينسب اليه الديصانية وأن هذا الناجم بمصر وهو منصور بن نزار الملقب بالحاكم حكم الله عليه بالبوار والدمار ابن معد بن اسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد لا أسعده الله . وأن من تقدمه من سلفه الأرجاس الأنجاس . عليهم لعنة الله ولعنة اللاعنين أدعياء خوارج لانسب لهم فى ولد على بن أبى طالب رضى الله عنه . وأن ما ادعوه من الانتساب اليه زور وباطل وأن هذا الناجم فى مصر هو وسلفه كفار زنادقة ملحدون معطلون وللاسلام جاحدون أباحوا الفروج وأحلوا الخمور وسبوا الأنبياء ادعو الربوبية .

وكتب فى ربيع الأول ستة اثنين وأربعمائة (٥٠) وقد كتب فى المحضر خلق كثير .

فمن العلويين : المرتضى والرضى وابن الأزرق الموسوى وأبو طاهر ابن أبى الطيب ومحمد بن محمد بن عمر وابن أبى يعلى .

ومن القضاة : أبو محمد الاكفانى وأبو القاسم الجزرى . وأبو العباس ابن الشبورى ومن الفقهاء أبو حامد الاسفراييني . وأبو محمد بن الكسفلى . وأبو الحسن القدورى . وأبو عبد الله الضميرى . وأبو عبد الله البيضاوى وأبو على ابن خلكان .

ومن الشهود : أبو القاسم التنوخى وكتب فيه خلق كثير .

هذه عبارة أبى الفرج بن الجوزى (٥١) ولم يكن الخليفة القادر بقادر على اكراه أمثال هؤلاء الموقعين من أئمة العلم على القول على خلاف ما يعلمون بل لو حاول ذلك لفقد كرسى الحكم فى الحال لأنهم كانوا أهل الحل والعقد فى الدولة مع عظم منازلهم بين الأمة .

---

(٥٠) كشف أسرار الباطنية : مقدمة زاهد الكوثرى ص ٦ .
(٥١) البداية والنهاية : ابن كثير ص ٣٤٦ جـ ١١ .

فما نقضوه هو المنقوض وما أبرموه كان هو المبرم فى ذلك العهد على أن القادر بالله لم يوصم فى التاريخ بظلم ولا عدوان . بل يذكر بالدين والتقوى فمن ظن بهؤلاء العلماء أنهم ينصاعون للاشارة من ظالم فقد ظلمهم وجهل مقدارهم فى الاستقامة (٥٢) .

فدل ذلك دلالة قوية ظاهرة على أنهم ليسوا من أهل البيت كما نص عليه سادة الفقهاء (٥٣) .

رأى برنارد لويس فى نسبهم :

يرتكز رأى لويس على عقيدتين لدى الباطنية .

الأولى : الأبوة الروحانية .

فالحركة الباطنية بتعويلها الشديد على النواحى الباطنية للاشياء دون المادية الظاهرة تعتبر العلاقة المادية بين الأب والابن .. أقل أهمية من العلاقة الروحية بين المعلم والتلميذ .. وينتج عن هذه العقيدة أن التلميذ أحـــرى بأن يكون الابن والوارث الحقيقى وليس ابن النســب الطبيعى (٥٤) ويؤيد لويس ما ذهب اليه بنصين النص الأول ينقله عن صاحب تبصرة العوام اذ يقول :

الاسماعيلية يقولون أن المسيح كان ابن يوسف النجار وأن قــول القرآن بأنه ليس للمسيح أب انما ارادوا ليس له أب تعليمى أى معلم (٥٥) والنص الثانى لرشيد الدين المؤرخ الفارسى الكبير .

يقول رشيد الدين . بعد وفاة جعفر الصادق أودع ميمون القداح ولده عبد الله الى محمد بن اسماعيل قائلا : ان الأبوة الجسمانية تكون من

---

(٥٢) كشف أسرار الباطنية : مقدمة زاهد الكثرى ص ٨ .
(٥٣) البداية والنهاية : ابن كثير ص ٣٤٦ جـ ١١ .
(٥٤) انظر أصول الاسماعيلية : لويس ص ١١٧ .
(٥٥) انظر أصول الاسماعيلية : لويس ص ١٢٠ .

ولادة الطفل المادية ليس غير بينما تكون الأبوه الروحية من ملازمة شخص لآخر معين ... فنقول فلانا ابن فلان لأنه تخرج عليه أفلا يكون الـذى يتلقى العلم والمعرفة اللذين هما جوهر الحياة الروحية من رجل آخر هو ابنه الحقيقى .. فأنا مثلا انجبنى محمد بن اسماعيل روحيا ثم أصبحت بما كشف لى من أسرار العلم أهلا لأن انتسـب اليه وان اعتبر نفسى ابنه .. ثم أنهى كلامه بقوله . عبد الله هو ابن محمد بن اسماعيل ووارثه الذى لا يتقدم عليه أحد . وقد أودعته اياى لأنشئه وأعصمه من مكـائد اعدائه ولما بلغ عبد الله السابعة عشر من العمر نادى ميمون القـداح بامامته ولم يعترض الشيعة على ذلك .

وتوضـح هـذه العبارة استخدام الاسماعيلية لهذه العقيدة فى أغراضهم العملية وتكشف عن أهميتها فى انشاء السلالة الفاطمية (٥٦).

العقيدة الثانية : التفريق بين الامام المستودع والامام المستقر .

يقول كلام بير « الامام المستودع هو ابن الامام وأكبر أبنائه . ان كان له كثير والعارف بأسرار الامامة كلها وأعظم أهل زمانه مادام قائما بالأمر الا أنه لا حق له فى تفويض الامامة الى ذريته الذين يكونون سـادة ولا يكونون أئمة أبدا .

أما الامام المستقر ، فهو يتمتع بامتيازات الامامة كلها وله الحـق فى أن يفوضها لا خلافة ... ومما يتصل اتصالا قريبا بعقيدة الامام المستودع ما يصح أن نطلق عليه عقيدة الامام الحفيظ أثناء الظروف الخطيرة (٥٧).

ولقد أخطأ لويس فى نقله عن كلام بير تعريف الامام المستودع مما جعل د. النشار يرفض تعريف كلام بير الذى نقله عنه لويس لأنه اعتبر الامام المستودع ابنا للامام ومن صلبه وهو بهذا يهدم أساس نظريته التى

---

(٥٦) أصول الاسماعيلية : لويس ص ١٢١ .

(٥٧) أصول الاسماعيلية : لويس ص ١٤٦ .

تجعل الامام المستودع حفيظا فقط على الامامة وليس ابنا صلبيا للامام . ولهذا يدخل النشار تعديلا على التعريف ليتوافق مع النظرية فيقول : ان الامام المستودع هو الامام الذى يتلقى الامامة ويزاولها وله كل حقوقها ولكنه لا يستطيع أن ينتلها الى أبنائه (٥٨) فالامام المستودع كما يقول العقاد يحمل أمانة الامامة لضرورة موقوته ثم يردها الى صاحبها ولا حق له فى التوجيه (٥٩) .

والامام المستقر هو الامام الذى يتلقى الامامة ويزاولها ثم ينقلها الى ابنائه من بعده (٦٠) ومن هذا المنطلق وعلى هذا الأساس . بنى لويس رأيه ثم أعلن حكمه فقال : ولعلنا لا نكون متسرعين فى الحكم اذا زعمنا أن أبناء الأئمة الروحيين ولا سيما القداحين منهم قد مثلوا دور الامام المستودع أو الامام الحفيظ ... وكان سعيد وعبيد الله هو آخر امام فى دور الخطر ، آخر القداحين ثم خلفه بعد وفاته أبو القاسم محمد القائم . ولم يكن له ولد . ولكنه كان الامام المستقر الذى كان يعمل من أجله سعيد (٦١) .

ولم يكتف لويس بما وصل اليه من البحث بل بنى رأيه على بينة أخرى نبهه لها صديقه م. هـ. الأعظمى من كتاب (دينى اسماعيل سرى) هو غاية المواليد .

هذه البينة تشير الى أن ميمون القداح قام بدور الامام المستودع فى حياة محمد بن اسماعيل كما قام عبيد الله (سعيد) بدور الامام المستودع بعد غيبة على بن الحسين بن أحمد وهذا اعتراف صريح منهم بأن من القداحين من قام بدور الامامة ...

---

(٥٨) نشأة التفكير : النشار ص ٤٨٤ .
(٥٩) فاطمة الزهراء : العقاد ص ٦٥ .
(٦٠) نشأة التفكير : النشار ص ٤٨٤ .
(٦١) أصول الاسماعيلية : لويس ص ١٢٧ .

ونقتطف من هذا النص السرى الذى نشره لويس ما يكشف عن هذه الحقائق يقول لويس نقلا عن غاية المواليد . أن الصادق أودع حجته المنصوبة بين يديه ميمون القداح (نظرا لصغر سن محمد عن تحمل أمانة الامامة) وأقامه سترا عليه وقدمه بين يديه واستكلفه اياه الى بلوغه أشده ولما بلغ أشده تسلم وديعته ثم جرى الأمر فى عقبه ... كما وأن عليا بن الحسين حينما أظهر الغيبة واستخلف حجته سعيد الخير (عبيد الله) الملقب بالمهدى ... فثبت الدعوة وأقامها ثم لما وفاه الأجل سلم الوديعة الى مستقرها وتسلمها محمد بن على القائم بأمر الله وجرت الامامة فى عقبه ... كما يشير لويس الى أن صديقه الأعظمى أخبره بأن أمثال هذه العبارة وأرده فى كتب اسماعيلية باطنية أخرى يملكها وتضيف بعض هذه العبارات الى العبارة السابقة أن سعيد (عبيد الله) نفسه من ولد القداح .

ويتضح بجلاء أن مضمون هذه الفقرة المقتبسة يجعل لمسألة نسب الفاطميين أساسا جديدا اذ أنها أقرت صراحة أن المهدى عبيد الله لم يكن علويا (٦٢) ورغم وضوح الموقف الا أننا لا نعدم أن نرى من يتعصب للنظرية الاسماعيلية ويدافع عنها ولو بالكذب المفضوح .

فبالرغم من تصريحات الأعظمى وكشفه عن حقيقة سعيد . يذهب ايفانوف الى موافقة الجمهور الكبير من الاسماعيلية بأن سعيد الخير هو ابن الحسين الاسماعيلى وشقيق على بن الحسين ، وعم القائم ويؤكد ايفانوف انه لم يحدث قط أن الامامة انتقلت الى شخص ليس من سلالة على (٦٣) .

ويحسم لويس الرد ويؤكد ما ذهب اليه من أن سعيد من ولد القداح وأن بعض القداحين قد تحملوا مسئولية الامامة وأنها لم تكن مقصورة

---

(٦٢) أصول الاسماعيلية : لويس ص ١١٩ .
(٦٣) نشأة التفكير الفلسفى : د. النشار ص ٤٨٩ .

على العلويين فيقول : ولكن مهما بلغت هذه الاعتراضات من قوةالحجة فانها تنتقض وتتلاشى اذا ما قارنا نصنا السالف بكتابات الدروز ... اذ نجد فيها اتفاقا تاما ومطابقات كاملة .

حيث تذكر الكتابات الدرزية سبعة أئمة من اسماعيل الى عبيد الله المهدى وتضيف لبعضهم أنهم من ولد ميمون القداح . ومن هذا يبدوا أن القائمة قد شملت الأئمة المستقرين ، وهم الأئمة العلويون الدائمون والائمة القداحون الحفاظ . وتبين الكتابات الدرزية بجلاء أن المهدى (سعيد) نفسه من الجماعة الثانية (القداحين) (٦٤) .

وبهذا الحسم ينهى لويس المشكلة ويسجل أن سعيد ليس من ذرية محمد بن اسماعيل وانما هو من أبناء القداح .

ويقتنع بما وصل اليه لويس فى هذا الدكتور النشار ويعتبره انهاءا للمشكلة فيقول : وينبغى أن نقرر أنه من خلال التحليل البارع الذى قدمه لويس تكاد تكون مشكلة النسب الفاطمى قد حلت ومن المؤكد أن عبيد الله المهدى كان قداحيا وأنه تولى حجابة الامام وحجته ثم أعلن مهديته أيضا وانه احتمل المخاطر فى سبيل اقامة الدولة الفاطمية سواء فعل هذا لنفسه هو أو لابن الامام الصغير الذى أخذه معه دون أهله (حين فر من سلمية) ... والحل الصحيح للمسألة ان عبيد الله المهدى أعلن مهديته لكى يحمى الامام الصغير (٦٥) .

ورغم اقتناعى الكامل بالدور العظيم الذى قام به لويس فى كشفه عن حقيقة النسب بأدلة علمية ومقنعة . ومن خلال ما يعتقد به الباطنية أنفسهم الا أننى أختلف معه فى جزئية وهى . أنه اذا ما ثبت أن عبيد الله المهدى ليس علويا بل من ابناء القداح وأنه أعلن مهدية نفسه وعرض

---

(٦٤) أصول الاسماعيلية : لويس ص ١٣٠ ملخصا .
(٦٥) نشأة التفكير الفلسفى : د. النشار ص ٤٩٣ .

نفسه للمخاطر من أجل بناء الدولة ... فهل يعقل بعد هذا أن يسلم الأمر لطفل صغير علوى يبقيه معه ويعمل من أجله ؟ ومن الذى يضمن لنا أن هذا الطفل علوى ؟ ... وعن أى المصادر عرف لويس هذا ؟ .. أليس عن مصادر اسماعيلية وهى نفس المصادر التى كانت تؤكد أن القائم من نسل سعيد كما كانت . تقول أن عبيد الله علوى الا أنهم أمام الحجج القوية والأدلة الباهرة ومحاربة أهل السنة لهم اعترفوا اخيرا أن عبيد الله قداحيا ، وكذبوا انفسهم بأنفسهم .

واعترفوا صراحة بأن سعيدا لم يكن علويا ، وانما هو من أبناء القداحين وهى نفس النتيجة التى أثبتها أهل السنة وجماهير المسلمين .

ونحن نطمئن الى هذا ، ونقرر أن سعيدا وبنيه والفاطميين جميعا ليسوا علويين وانما هم من أبناء القداحين . ونعزز ما وصلنا اليه بما يأتى :

أولا – حينما أعلن سعيد مهديته بعد تنازل على الحسين ابن أحمد له ليكون مستودعا وسترا لابنه القائم ثار القرامطة ورفض حمدان وعبدان امامة سعيد ثم ذهبا اليه يذكرانه أن الامامة لمحمد بن اسماعيل وذريته .. مهاجم وكشف عن نفسه وخلع ولاءة لمحمد بن اسماعيل وقال :

أن محمد بن اسماعيل لا اصل له ولم يكن الامام غير أبى وهو من ولد ميمون بن ديصان وأنا أقوم مقامه .

ورغم أن الدكتور النشار هو الذى كشف عن هذه الحقيقة (فى كتابه نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام ص ٢٤٧ جـ ٢) الا أنه يحاول أن يبرر خروجهم هذا على سعيد بأنهم كانوا لا يؤمنون الا بامامة محمد بن اسماعيل . أى أن رفضهم لسعيد لم يكن لأنه قداحى وانما لاعتقادهم أن الامامة لا تكون الا لمحمد بن اسماعيل واختلف مع الدكتور النشار فى هـذا .

فهذا القــول لا يقبله العقل ويرفضه الواقع اذ لم يعترض حمدان وعبدان على امامة على بن الحسين وكانوا يعملون معه ــ ولكنهم رفضوا امامة سعيد حينما تنازل له على . لعلمهم بأن ســعيدا من أبناء القداح فهو لا يستحق عندهم شرف الامامة اما عدم اعتراضهم على امامة على بن الحسين فلأنهم على ما أعتقد لم يكونوا على بينة من حقيقة أمره اذ كان من أئمة الستر ولا يعرف عنه الا الخواص . أما سعيد فقد كان معروفا لحمدان وعبدان وللدعاة ولهذا اعترضوا عليه .

والغريب أن الدكتور النشار هو الذى كشف عن هذه الحقيقة أيضا (فى كتابه نشأة الفكر الفلسفى ص ٤٣١ جـ ٢) .

وذلك فى الحوار الذى دار بين عبدان وعلى بن عبد الله بن ميمون بعد رفض حمدان وعبدان امامة سعيد واعلان خروجهما من الدعوة .

يقول الدكتور النشار أن عبدان أخبر عليا بأنهم قاطعوا الدعــوة الاسماعيلية وأنهم لم يعودوا فيها وان أباه كان قد غرهم وادعى نسبه الى عقيل بن أبى طالب كذبا . ودعا الى المهدى فكنا نعمل لذلك فلما تبينا أنه لا أصل له . وعرفنا أن أباك من ولد ميمون بن ديصان وأنه صاحب الأمر تبنا الى الله مما تحملنا وحسبنا ما كفرنا أبوك أفتريد أن تردنا كفارا أنصرف عنا الى موضعك .

وهذا واضح الدلالة على أنهم انخدعوا فيه وفى أبيه حينما زعم انه من النسل الطاهر فلما انكشــف نسبه رفضوه ورفضوا دعواه فى الامامة . ولو كانوا من الجامدين عند حد الاعتقاد بامامة محمد بن اسماعيل ارفضوا أيضا امامة على ولكنهم لم يرفضوها لعدم علمهم بحقيقته لانه كان من أئمة الستر . ورفضوا امامة سعيد لعلمهم أنه من أبناء ميمون القداح .

ثانيا ــ اختلاف أبو عبد الله الشيعى واخوه العباسى مع ســعيد والتدبير لقتله على الرغم من أنهم ضحوا بأرواحهم من أجل الدعوة ومن

اجل المهدى ولو كان سعيد هو المهدى الذى مهد له ابو عبد الله وبذل له نفسه ما تآمر عليه ، ولما قال للناس هو وأخوه كما أورد ذلك المقريزى (فى اتعاظ الحنفا ص ٦٧ جـ) أن هذا ليس بالذى كنا نعتقد طاعته وندعوا اليه .

كل هذا يؤكدما مارواه ابن خلكان من أن أبا عبد الله الشيعى حينما ذهب لانقاذ المهدى من السجن فى سلجماسة وجده مقتولا ووجد خادما عنده فخاف أن يصرح بهذا الأمر امام الجيش حتى لا ينصرف الجيش عنه لأن صاحب الدعوة والذى جمعه من أجله مات فأخفى الخبر واتفق مع الخادم الذى هو سعيد على كتمان الخبر لحين تدبيره أمره وأخرجه الى الناس على أنه المهدى وكان يبكى كما يقول المقريزى وهو يقدمه للناس وفسر المقريزى بكاءه بشدة فرحه . ورغم أن البكاء يكون أحيانا من شدة الفرح الا أن هذا البكاء لم يكن لفرحه ولكن لفقده الامام — ولتوليه الامر لهذا الخادم خوفا من الجيوش ومن نقض الأمر فهو بكاء الحسرة .

ولذا نجد أبا عبد الله يرفض سعيدا ويتهمه بأنه لم يكن المهدى ويصرح بذلك هو وأخوه العباس . فيقتلهما سعيد .

واستخلاصا مما سبق يمكننا الآن أن نصل الى نتيجة حاسمة فى مشكلة النسب وهى أن سعيد كان من خلائف القداح بل ولا نقف عند حد أبعاد سعيد عن البيت العلوى ثم نثبتها لغيره من الخلفاء . أو أن نتوقف بعد ابعاد سعيد عن النسب العلوى بين الاثبات وعدمه لبقية الخلفاء كما حدث من لويس (فى كتاب أصول الاسماعيلية) حيث انه توقف بعد سعيد وقال :

انه لم يثبت بعد أن سائر الخلفاء الفاطميين كانوا من ذريته (أى سعيد) الجسمانية بل ونقرر أن سعيد وذريته والخلفاء الذين حكموا مصر من خلائف القداح للقرائن الآتية :

١ ــ منذ أن دخل محمد بن اسماعيل كهف الستر وكل الأخبار والمعلومات التى تخرج عنه سواء ما يخص العقيدة أو النسل تخرج عن طريق البيت القداحى فهم الذين فرضوا من حوله الستر فلا يعرف عنه أحد شيئا غيرهم حتى العلويين أنفسهم . ولما كان الباطنية يتمسكون بصحة نسب « سعيد » بل ويؤكدون نسبه لمحمد بن اسمعيل ويرتبون عليه صحة نسب الخلفاء الفاطميين فى مصر وقد ثبت كذبهم فى نسب « سعيد » وظهر انه من أبناء القداح ولا تربطه بمحمد بن اسماعيل أى رابطة من نسب .

ألا يدعو هذا الى الشك فى كل أقوالهم ويؤكد تسترهم فى النسب ويبعث على الشك فى فرضهم السرية من حول محمد بن اسماعيل . اذ على فرض أنه أنجب فمن الذى يضمن لنا أنهم حافظو على ولده ولم يقتلوه أو يعزلوه ويولوا السلطة أبناءهم خاصة والسرية تلفهم وتلف أعمالهم .

بل ويؤكد هذا أنهم حينما أظهروا الدعوة تولى الامامة « سعيد » وهو من ولد القداح وادعى انه من ولد محمد بن اسماعيل ، واذا كان هذا حالهم فى دور الظهور . فكيف بهم فى دور الستر . ألا يدعو كل هذا الى تأكيد كذبهم ورفض أقوالهم . والذى أود تأكيده أن هذه الحقيقة ليست وليدة الاستنتاج فقط ولكنها ترتكز على ركائز وأدله من مذهبهم . فالباطنية يتمسكون كل التمسك بأن القائم من نسل سعيد والأئمة الفاطميون من نسل القائم .

واذا كان قد ثبت أن سعيدا ليس من نسل محمد بن اسماعيل بالأدلة وباعترافهم . فقد ثبت بالتالى أن الأئمة الفاطميين جميعا ليسوا من نسل محمد بن اسماعيل ولكنهم من نسل القداح . وليس هناك مبرر لشك وليس فيما اذا كان سائر الخلفاء من نسل سعيد أم لا فان القرائن واضحة وهم الذين اعترفوا بهذا .

وبهذا يكون قد ثبت بما لا يدع مجالا للشك أن الفاطميين جميعا من ذرية القداح ولا علاقة لهم من قريب أو من بعيد بالبيت العلوى ... واذا ما قد ثبت هذا وتأكد فمن الذى أسس هذه الدعوة الخبيثة وما هى أهدافها ؟

الفصل الخامس

المؤسسون للدعــوة

أنشأها اسماعيل وأستاذه وهادية أبو الخطاب ومعاصرون آخرون (١) منهم ميمون بن ديصان المعروف بالقداح وكان مولى لجعفر الصـــادق وكان من الأهواز ومنهم محمد بن الحسين الملقب بدندان (٢) وعبد الله ابن ميمون القداح وجماعة كانوا يدعون الجهاريجه (٣) ويبدو أن أبا الخطاب أول من تأثر به اســماعيل وأثر في الحركة الاسماعيلية . حتى أن أغلب المصـــادر تعتبـــر أبا الخطـــاب أول من نظم حركة ذات طابع باطنى خاص (٤) .

فعند جويدى . أول باعث للحركة كان أبا الخطاب (٥) والنوبختى يرى أن الاسماعيلية هم الخطابية أصحاب أبى الخطاب محمد بن أبى زينب الأسدى الاجدع (٦) .

ومن هذا يتضح أن أبا الخطاب لعب الدور الأساسى والأول فى تلوين الحركة الاسماعيلية وشدها الى دائرة الغلو وذلك فى بدء اتصاله باسماعيل ولكنه غالى وزعم أنه نبى وأن جعفرا اله فلعنه جعفر وتبرأ هو واسماعيل منه وبعد موت اسماعيل أخذت تبرز صورة ميمون القـــداح

---

(١) أصول الاسماعيلية : لويس ص ٨١ .
(٢) الفرق بين الفرق : البغدادى ص ٢٨٢ .
(٣) التبصـــير : الاسفراينى ص ٨٣ .
(٤) أصول الاسماعيلية : لويس ص ٩٨ .
(٥) أصول الاسماعيلية : لويس ص ٨١ .
(٦) فرق الشيعة : النوبختى ص ٨٧ .

ككفيل وستر لمحمد بن اسماعيل — اذ أرسل جعفر الصادق حفيده محمد ابن اسماعيل فى صحبة أبى شاكر ميمون الديصانى المعروف بميمون القداح الى طبرستان (٧) وأقامه سترا عليه وقدمه بين يديه واستكفله اياه حتى بلوغه أشده ولما بلغ أشده تسلم وديعته (٨) وأخذ (ميمون) ينتقل مع امامه محمد بن اسماعيل الى طبرستان وغيرها متخذا نفســه حجة له وقد قبض المنصور فى أواخر أيامه على ميمون وسجنه وفى السجن اجتمع مع جمـاعة من وجوه الشـيعة واتفقوا على نشر المذهب بعد خروجهم من السجن (٩) وشاء القدر أن يجمع بين عبد الله بن ميمون ومحمد بن الحسين المعروف بدندان والجهاريجة وميمون بن ديصان واجتمعوا كلهم فى سجن والى العراق ووضـعوا مذهب الباطنية (١٠) ثم ظهـرت دعوتهم بعد خلاصهم من السجن من جهة المعروف بدندان وابتدأ بالدعوة بناحية (توز) فدخل فى دينه جماعة من أكراد الجبل مع أهل الجبل المعروف بالبدين ثم رحل ميمون بن ديصان الى ناحية المغرب وانتسب فى تلك الناحية الى عقيل بن أبى طالب وزعم أنه من نسله (١١) .

ودعوة الباطنية ظهرت أولا فى زمان المأمون وانتشرت فى زمـان المعتصـم (١٢) ولما اشتد ضغط العباسيين عليهم اضـطروا للاختفاء وصبغوا دعوتهم بالسرية .

ثم أعاد تنظيمها العبقرى الماكر عبد الله بن ميمون القداح المارق عن الاسلام الذى تألق نجمه فى القرن الثالث .

ولأهمية الدور الذى لعبه عبد الله بن ميمون القداح ووالده سنوجز القول عنهما فيما يأتى .

---

(٧) أصول الاسماعيلية : لويس ص ١٢١ .
(٨) أصول الاسماعيلية : لويس ص ١٢٨ ، ١٢٩ .
(٩) نشأة التفكير : د. النشار ص ٣٥٨ .
(١٠) التبصـير : الاسفرايني ص ٨٣ .
(١١) الفرق بين الفرق : البغدادى ص ٢٨٢ .
(١٢) الفرق بين الفرق : البغدادى ص ٢٨٤ .

ميمون القــداح

هو أبو شاكر ميمون (الديصانى) المعروف بالقداح وكان مولى لجعفر الصادق وكان من الأهواز (١٣) من أهل قوزح العباسى (من زرية ديصان) الثنوى الذى ينسب اليه الثنوية وهو مذهب يعتقدون فيه بوجود خالقين أحدهما يخلق النور والآخر يخلق الظلمة ٠ والى ميمون تنســب فرقة الميمونية (١٤) وهى التى أظهرت أتباع أبى الخطاب محمد بن أبى زينب الذى دعا الى ألوهية عــلى بن أبى طالب رضى الله عنه (١٥) وميمون هذا من المؤسسين لدعوة الباطنية فى سجن العراق (١٦) وبعــد خروجه من السجن أخذ ينتقل مع امامه محمد بن اسماعيل فذهب معه الى فلسطين وهناك أظهر التنسك والتعبد ثم قصد سوريا وطبرستان (١٧) وهو الذى أشرف على تربية محمد بن اسماعيل وصحبه فى تنقلاته ليعده للامامة يقول محمد عبد الله عنان : وكتم الصادق منزلة ابن ابنه وأقام له ميمون القداح وابنه عبد الله بن ميمون كفلاء وكتم أمر ذلك عن الخــاص والعام الا على المخلصين العارفين (١٨) ٠

وتثبيتاً لامامة محمد بن اسماعيل كما يقول النشار أخذ يؤول الآيات القرآنية بما يتفق مع عقيدته فى امامة اسماعيل وابنه محمد ويسبغ عليهما القداسة التى أضفتها الامامية على أئمتها ، وقد غالى كثيرا فى ذكر فضائل هذين الامامين (١٩) وأخيرا فان الصورة التى قدمتها الفرق لميمون القداح

---

(١٣) الفرق : البغدادى ص ٢٨٢ ٠
(١٤) اتعاظ الحنفاء : المقريزى ص ٢٣ ، ٢٤ ٠
(١٥) الفهرست : ابن النديم ص ١٨٦ ٠
(١٦) التبصير : الاسفراينى ص ١٨٢ ٠
(١٧) نشأت التفكير : د٠ النشار ص ٣٥٨ ٠
(١٨) الحاكم بأمر الله : محمد عبد الله عنان ص ٦٤ ٠
(١٩) نشأة التفكير : د٠ النشار ص ٣٥٩ ٠

كما يعرضها د. النشار هى أنه كان محدثا شيعيا عند الامامية . حجـــه ونائبا وسترا للامام محمد بن اسماعيل عند الاسماعيلية ثنويا ديصانيا عند أهل السنة والجماعة (٢٠) .

ويدافع ايفانوف عن عبد الله ابن ميمون وميمون كما يقول عنه محمد اللهعبد الله عنان بأنهما لم يكونا ديصانيين أو زنديقيين (٢١) .

مستندا فى هذا الى ما ورد فى كتاب الكافى (٢٢) فى أصول الدين لأبى جعفر الكلينى من أحاديث كثيرة رويت عن عبد الله بن ميمون القداح ثم ينقل ايفانوف تراجم الاحاديث التى وردت فى الكافى برواية عبد الله بن ميمون ووالده ميمون القداح والتى رواها عبد الله منسوبة الى والده ميمون ثم ينفى عنه تهمة الزندقة (٢٣) ويحذو حذوه د. النشار ويدافع عن ميمون وينفى عنه تهمة انشاء مذهبه لهدم الاسلام فيقول : وهذا خطأ كبير فميمون كان مولى للباقر ولجعفر الصادق ووثق به الامام الأخير وكان من رواة حديثه ويبدوا أنه اختص باسماعيل وأحبه وكان اسماعيل على علم وخير كبير ثم اختص بابنه محمد بن اسماعيل (٢٤) .

واختلف مع الدكتور النشار فى هذا فليست كثرة رواية الحديث من ميمون وابنه دليل على نفى تهمة الزندقة أو التدبير ضد الاسلام كما يدعى ايفانوف والدكتور النشار ، فكثرة روايتهما عن الامام جعفر لا تعنى صدقهما ولا تنفى التهمة عنهما بل ربما تكون كثرتها سلاحا استخدمه ميمون وابنه ضد الاسلام بغرس مبادىء تتنافى مع روح الاسلام باسم آل البيت . ولكن

---

(٢٠) نشأة الفكر : د. النشار ص ٣٦٠ .
(٢١) الحاكم بأمر الله : محمد عبد الله عنان ص ٦٦ .
(٢٢) الكافى كتاب حديث عن الشيعة بمثابة التجارى عن أهـل السـنة .
(٢٣) الحاكم بأمر الله : محمد عبد الله عنان ص ٦٩ .
(٢٤) نشأة التفكير : د. النشار ص ٣٥٧ .

الذى يعنى به البحث العلمى هو التحقق من صحة هذه الأحاديث من حيث الرواية وعدم الضعف فى الناقلين وهل تتوافق وروح الاسلام أم لا .

فاذا ثبتت صحتها وتوافقت مع روح الاسلام . فهى على الأقل تعبر عن صدقها فيما روياه وربما تنفى التهمة عنهما . اما اذا لم تتوافق وروح الاسلام فقد تبعث على الشك فى صدقها أولاً وفى تدبيرهما ثانيا لتشويه صورة الاسلام من خلال ما يبثونه من مبادىء مخالفة لروحه وجوهره .

والثابت من البحث أن أغلب هذه الأحاديث مطعون فيه وكلها تمثل النزعة الباطنية وأحقية الائمة ووجوب اتباعهم والتعلم منهم .

وهى نفس القضايا التى يدور فيها الجدل بينهم وبين أهل السنة . بل أن أهل السنة ينكرون أغلب هذه الأحاديث ويعتبرونها من الاحاديث الموضوعة والمكذوبة على جعفر الصادق وفى هذا يقول أبن تيمية أنهم ماكذبوه على امام أكثر من كذبهم على جعفر الصادق (٢٥) .

وفى رأى أن كثرة الرواية ليست هى المعيار السليم لنفى التهمة ولكن صدق الرواية ومطابقتها لروح الاسلام هو الذى يؤكد صدق ميمون وينفى عنه التهمة هذا وبالبحث ثبت كذب الرواية وكذب ميمون .

وبتحليل دفاع النشار تظهر روح التحيز والتبرير ونفى التهمة اذ يقول ولم يكن يرمى (أى ميمون) الى سلخ المسلمين باطنيا من العقيدة الاسلامية بل الى سـلخهم من عقيدتى أهل السنة والجماعة وعقيـدة الامامية (٢٦) .

وبهذه البساطة يحاول أن يصور لنا النشار ميمون فى صورة مختلفة وهى أنه لم يضع مذهبا يهدم به الاسلام ولكنه كان يرى أن يتسلخ الناس من

---

(٢٥) منهاج السنة : ابن تيمية ص
(٢٦) نشاة الفكر : د. النشار ص ٣٦٠ .

عقيدة أهل السنة ، وكأن عقيدة أهل السنة لاصله لها بالاسلام ثم يقدم دليلا آخر يؤكد تحيزه ويكشف عن التناقض بين عباراته اد يعود ويرد على نفسه بنفسه فيقول من المحتمل وقد كان الرجل عارفا بالمذاهب الفلسفية والغنوصية والأديان أن يحاول تدعيم امامة اسماعيل وابنه بمختلف العناصر (٢٧) .

هذا فضلا عن دفاعه المستميت عن ميمون وابنه خلال الفصل الذى عقده فى كتابه نشأة الفكر والذى تحدث فيه عن الباطنية .

عبد الله بن ميمون ويعرف بالقداح :

وكان من أهل قورح العباسى بقرب مدينة الأهواز (٢٨) وكان ظهوره فى سنة ست وسبعين ومائتين للهجرة النبوية (٢٩) سلمه أبوه أمانة الدعوة بعد أن بقى الأب حجة مدة قصيرة لعبد الله الرضى فلما مات الأب ورث الابن رتبه حجة الامام وكان أبوه أحد الدعاة الحرم الأربعة وكان باب الأبواب وقد سار عبد الله بن ميمون بالدعوة سيرا حثيثا مستخدما كل بادرة يراها وكل مجموعة يقابلها (٣٠) وقد اتسع علمه وكثرت معارفه وكاد أن يطلع على جميع مقالات الخليقة (٣١) فهو من واضعى رسائل اخوان الصفا (٣٢) . وكان من أحبار اليهود وأهل الفلسفة الذين عرفوا جميع المذاهب وكان صائغا يخدم شيعة اسماعيل بن جعفر الصادق (٣٣) .

---

(٢٧) نشأة الفكر : د. النشار ص ٣٥٨.
(٢٨) الفهرست : ابن النديم ص ١٨٦ .
(٢٩) كشف أسرار الباطنية : اليمانى ص ١٦ ، ١٧ .
(٣٠) نشأة الفكر : د. النشار ص ٣٨٣ .
(٣١) سوسته سليمان : جرجس بن نوفل ص ٢١٤ .
(٣٢) رسالة الأصول والاحكام : ابن زهرة ص ١٢١ ضمن خمس رسائل اسماعيلية لعارف تامر .
(٣٣) كشف أسرار الباطنية : اليمانى ص ١٧ .

وكان أخبث من أبيه واعلم بالحيل فعمل أبوابا عظيمه من المكر والخديعة على بطلان الاسلام وكان عارفا عالما بجميع الشرائع والسنن وجميع علوم المذاهب كلها فرتب ما صنعه من المكر فى سبع دعوات .

يتدرج الانسان فيها من واحدة الى أخرى حتى ينتهى الى الأخيرة فيبقى فيها حتى يتعرى عن جميع الاديان ويصل الى التعطيل والاباحة ولا يرجو ثوابا ولا يخشى عقابا ويقول أنه على هدى هو وأهل مذهبه وغيرهم ضال .

وكان عبد الله بن ميمون يريد بهذا فى الباطن أن يجعل المخدوعين أمة له يستمد من أموالهم بالمكر والخديعة وأما فى الظاهر فانه يدعو الى الامام من آل البيت محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ليجمع الناس بهذه الحيلة (٣٤) وادعى عبد الله أنه نبى مدة طويلة وكان يظهر الشعابيز ويذكر أن الأرض تطوى له فيمضى الى من أحب فى أقرب مدة وكان يخبر بالأحداث الكائنات فى البلدان الشاسعة وكان له مساعدون فى مواضع يرغبهم ويحسن اليهم ويعاونونه على نواميسه ومعهم طيور يطلقونها من المواضع المتفرقة الى الموضع الذى فيه بيته فيخبر من حضره بما يكون فيتموه ذلك عليهم (٣٥) .

وانتشر عبد الله بن ميمون ورجاله يدعون للامام الاسماعيلى والامام فى كهف الستر لا يعلم اسمه الا الأقربون الدعاة الحرم الأربعة (٣٦) .

ويبدو أنه انتهز فرصة تجميع العناصر الخارجة على الاسلام والشعوبيين كما يقول النشار وفى سهولة نادرة وبعين ساهرة وضع عبد الله بن ميمون يده فى أيدى هؤلاء الشعوبيين الملتمسين للفرص . أى

---

(٣٤) اتعاظ الحنفاء : المقريزى ص ٢٤ ، ٢٥ .
(٣٥) الفهرست : ابن النديم ص ١٨٧ .
(٣٦) نشأة التفكير : د. النشار ص ٣٨٥ .

فرص كانت للقضاء على العرب والاسلام جميعا واتخذ المذهب الاسماعيلى والتصوف ستارا له فكان الدعاة يتسترون بالزهد والتقشف (٣٧) .

ولذا اعتبره العقاد . واضع النظام كله ومرتب الدرجات ومصطنع التخفى والتنكر لبلوغ مقصده باسم اسماعيل (٣٨) .

وعندما كثر أتباعه وتكشفت دعوته كما يقول المقريزى اظهر ما عليه من التعطيل والاباحة والمكر والخديعة فثارت به الشيعة والمعتزلة (٣٩).

وهجموا عليه بمعسكر مكرم اذ كان يسكن فى أسباط أبى نوح فنقضت له داران فى سباط أبى نوح فبنيت احداهما مسجدا والأخرى خراب .., وصار الى البصرة فنزل على قوم من أولاد عقيل بن ابى طالب فلبث بها هناك ثم هرب الى سلمية بقرب حمص واشترى هناك ضياعا وبث الدعاة الى سواد الكوفة فأجابه من هذا الموضع رجل يعرف بحمدان قرمط بن الأشعث (٤٠) .

---

(٣٧) نشأة الفكر : د. النشار ص ٣٨٥ .
(٣٨) فاطمة الزهراء : العقاد ص ٨٢ .
(٣٩) اتعاظ الحنفاء : المقريزى ص ٢٥ .
(٤٠) الفهرست : ابن النديم ص ١٨٧ .

الفصل السادس

ألقاب الباطنية

١ ـ الباطنية :

تعددت ألقاب الباطنية وكثرت أسـماؤهم فهم كما يقول المقدسى أصناف وفرق مختلفة ويعزو المقدسى هذا التعدد والاختلاف الى دعوة كل ناجم منهم الى نفسه وعامتهم يظهرون الامامة ويدعون للقرآن تأويلا باطنا (١) .

وبينما يرجع البغدادى بدء ظهورهم الى أيام المأمون يرى المقدسى فيما ينقل من روايات أن بدء أمرهم ظهر فى أيام أبى مسلم (ثم يعزو هذا) الى أن الخرمية احتالوا فى ازالة الملك الى العجم فموهوا هذا النحلة وزينوها للجهال ودعو اليها فى السر ومحصول أمرهم التعطيل والالحاد (٣) ولقبوا (بالباطنية) لدعواهم أن لظواهر القرآن والأخبار بواطن تجرى فى الظاهر مجرى اللب من القشرة (٤) لأنه لابد لكل محسوس من ظاهر وباطن فظاهر ما تقع الحواس عليه وباطنه ما يحويه ويحيط العلم به (٥) .

فالشىء الواحد له معنى فى ظاهرة ومعنى فى باطنه فجعل عز وجل ظاهرة معجزة رسوله وباطنه معجزة الأئمة من أهل بيته لا يوجد الا عندهم

---

(١) البدء والتاريخ : المقدسى ص ١٣٣ جـ ٥ .
(٢) الفرق بين الفرق : البغدادى ص ٢٦٥ .
(٣) البدء والتاريخ : المقدسى ص ١٣٤ جـ ٥ .
(٤) فضائح الباطنية : الغزالى ص ١١ .
(٥) أساس التأويل : النعمان ص ٢٨ .

ولا يستطيع أحد أن يأتى بظاهر الكتاب غير محمد ﷺ ، ولا أن يأتى بباطنه غير الأئمة من ذريته وهو علم متوافر بينهم مستودع فيهم يخاطبون كل قوم منه بمقدار ما يفهمون (٦) ومن ارتقى الى علم الباطن انحط عنه التكليف واستراح من أعبائه وهم المرادون بقوله تعالى (ونضع عنهم اصرهم والأغلال التى كانت عليهم (٧) .

٢ ـ الاسماعيلية :

هؤلاء ساقوا الإمامة الى جعفر وزعموا أن الامام بعده ابنه اسماعيل . وافترق هؤلاء فرقتين . فرقة منتظره لاسماعيل بن جعفر مع اتفاق أصحاب التواريخ على موت اسماعيل فى حياة أبيه (٨) وانكرت هذه الفرقة موت اسماعيل فى حياة أبيه وقالوا كان ذلك على جهة التلبيس من أبيه على الناس لأنه خاف فغيبه عنهم . وزعموا أن اسماعيل لا يموت حتى يملك الأرض ويقوم بأمر الناس وأنه القائم لأن أباه أشار اليه بالامامة بعده وقلدهم ذلك له وأخبرهم أنه صاحب الحق والامام لا يقول الا الحق فلما ظهر موته علمنا أنه قد صدق وأنه القائم وأنه لم يمت . وهذه الفرقة هى الاسماعيلية الخالصة (٩) .

وفرقة قالت : كان الامام بعد جعفر سبطه محمد بن اسماعيل بن جعفر حيث ان جعفرا نصب ابنه اسماعيل للامامة بعده فلما مات اسماعيل فى حياة أبيه علمنا أنه انما نصب ابنه اسماعيل للدلالة على امامة ابنه محمد بن اسماعيل والى هذا القول مالت الاسماعيلية الباطنية (١٠)وتغلب اسم الاسماعيلية عليهم مرجعه انتماؤهم الى اسماعيل بن جعفر الصادق

---

(٦) أساس التأويل : النعمان ص ٣١ ، ٣٢ .
(٧) فضائح الباطنية : الغزالى ص ١٢ .
(٨) الفرق بين الفرق : البغدادى ص ٦٢ ، ٦٣ .
(٩) فرق الشيعة : النوبختى ص ٨٩ .
(١٠) الفرق بين الفرق : البغدادى ص ٦٣ .

وقولهم انه هو الامام بعد أبيه . وبهذا الاسم يتميزون عن أبناء السيدة فاطمة الأخرين (١١) .

٣ ـ السبعية :

وقد سمو بهذا الاسم لاعتقادهم أن أدوار الامامة سبعة وأن الانتهاء الى السابع هو آخر الدور وهو المراد بالقيامة وأن تعاقب الأدوار لا آخر لـه (١٢) .

ويقولون أن الدور التام سبعة بدليل أن السموات والأرضين سبع وأيام الأسبوع والأعضاء سبع .

والدور التام للأنبياء أيضا سبعة :

فالأول . آدم	ع . م	ووصيه	شيث	
والثانى . نوح	ع . م	ووصيه	سام	
والثالث ابراهيم	ع . م	ووصيه	اسماعيل واسحاق	
والرابع موسى	ع . م	ووصيه	هارون	
والخامس عيسى	ع . م	ووصيه	شمعون	
والسادس محمد	ع . م	ووصيه	على رضى الله عنه	

(وفى نسخة القاهرة السابع محمد بن اسماعيل) .

والامام الأول على والثانى الحسن والثالث الحسين والربع زين العابدين والخامس محمد الباقر واسادس جعفر الصادق والسابع اسماعيل ابن جعفر . والمقصود بالبعثة والرسالة هو أن يلحق الجثمانيون بالروحانيين فلما انتهت النبوة من الابن الى محمد بن اسماعيل ارتفع التكليف الظاهر عن الناس (١٣) .

---

(١١) فاطمة الزهراء والفاطميون : العقاد ص ٦٨ .
(١٢) فضائح الباطنية : الغزالى ص ١٦ .
(١٣) اعتقادات فرق المسلمين : الرازى ص ٨٠ ، ٨١ .

٤ ـ التعليمية :

لقبوا بها لأن مبدأ مذهبهم ابطال الرأى وتصرف العقول ودعوة الخلق الى التعليم من الامام المعصوم وأنه لا مدرك للعلوم الا بالتعليم (١٤) .

٥ ـ الخرمية :

لقبوا بهذا اللقب لأن حاصل مذهبهم كما يقول الغزالى راجع الى طى بساط التكليف وحط أعباء الشرع عن المتعبدين « وخرم » لفظ أعجمى ينبىء عن الشىء المستلذ المستطاب الذى يرتاح الانسان الى مشاهدته ويهتز لرؤيته (١٥) .

ويقول البغدادى أن هؤلاء صنفان :

صـنف منهم كانوا قبل دولة الاسـلام كالمزدكية الذين استباحوا المحرمات وزعموا أن الناس شركاء فى الأموال والنساء ودامت فتنة هؤلاء الى أن قتلهم آنو شروان فى زمانه .

٦ ـ الخرمدينية :

ظهروا فى دولة الاسلام وهم فريقان ، بابكية ومازيارية وكلتاهما معروفة بالمحمرة ، فالبابكية . اتباع بابك الخرمى الذى ظهر فى جبل البدين بناحية آذربيجان (١٦) ويقول المقدسى انه كان لغير رشده وأن أمه كانت امرأة عوراء فقيرة من قرى اذربيجان فشغف بها رجل من نبط السـواد يقال له عبد الله فحملت منه وقتل الرجل وبابك حمل فوضعته أمه وجعلت تتكسب عليه الى أن بلغ مبلغ السعى وصار غلاما حذورا واستأجره أهل قريته على سرحهم بطعام بطنه وكسوه ظهره (١٧) ويقول ابن خلدون وهو

---

(١٤) انظر فضائح الباطنية للغزالى .

(١٥) فضائح الباطنية : الغزالى ص ١٤ ملخصا .

(١٦) الفرق بين الفرق : البغدادى ص ٢٦٦ .

(١٧) البدء والتاريخ : المقدسي ص ٥١ جـ ٦ .

فارسي مجوسي الأصل دخل في الاسلام وتسمى الحسن وكان قوى النفس شديد البطش صعب المراس وحدثته نفسه الخبيثة بأن يسترجع ملك فارس ودينها فاستعصم بجبل البدين من أصل الران (١٨) .

وكذا أتباعه كما يقول البغدادى استباحوا المحرمات وقتلوا الكثيرين من المسلمين وجهز اليه خلفاء بنى العباس جيوشا كثيرة مع أفشين الحاجب ومحمد بن يوسف الثغرى وأبى دلف العجلى (١٩) فهزم الأفشين جيش بابك وقتل من الخرمية أتباع بابك نحو الألف ثم هرب بابك الى موقان ثم التقيا مرة أخرى فى سنة ٢٢٢هـ فهزم الأفشين هزيمة منكرة ونجا بابك فلم يزل الأفشين يتحيل له حتى أسره فى جبال أرمينية ثم أخذه الى المعتصم وفى سنة ٢٢٣هـ أمر المعتصم بقطع أطرافه وصلبه (٢٠) .

وتختلف رواية البغدادى عن اليعقوبى اذ يتهم فيها البغدادى الافشين بممالأة بابك . فيقول : أخذ بابك وأخوه اسحاق بن ابراهيم وصلبا بسر من رأى فى أيام المعتصم واتهم الأفشين الحاجب بممالأة بابك فى حربه وقتل لاجل ذلك (٢١) .

وقد بقى من البابكية جماعة يقال أن لهم ليلة يجتمعون فيها رجالهم ونساؤهم ويطفئون سروجهم وشموعهم ثم يتناهبون النساء فيثب كل رجل الى امرأة يظفر بها (٢٢) والبابكية ينسبون أصل دينهم الى أمير لهم فى الجاهلية اسمه شروين (٢٣) وكانوا يدعون نبوته (٢٤) ويزعمون أن أباه كان من الزنج وأمه بنت أحد ملوك الفرس ويزعمون أن شروين كان أفضل

---

(١٨) العبر : ابن خلدون .
(١٩) الفرق بين الفرق : البغدادى ص ٢٦٧ .
(٢٠) مروج الذهب : ص ٥٥ جـ ٤ .
(٢١) الفرق بين الفرق : البغدادى ص ٢٦٨ .
(٢٢) فضائح الباطنية : الغزالى ص ١٥ .
(٢٣) الفرق بين الفرق : البغدادى ص ٢٦٩ .
(٢٤) فضائح الباطنية : الغزالى ص ١٥ .

من محمد ومن سائر الأنبياء وقد بنوا فى جبلهم مساجد للمسلمين يؤذن فيها المسلمون وهم يعلمون أولادهم القرآن لكنهم لا يصلون فى السر ولا يصومون فى شهر رمضان ولا يرون جهاد الكفار (٢٥) .

(المذيارية (المحمرة) هم أتباع مازيار :

ومازيار . أصله فارسى واسمه الأصلى مازيار بن قارون بندار ودخل فى الاسلام وتسمى محمدا وكان صاحب جبال طبرستان واصطنعه المأمون وفى سنة ٢٢٤هـ فى عهد المعتصم أعلن العصيان بطبرستان وخلع المعتصم فكتب لمعتصم الى عبد الله بن طاهر بن الحسين يأمره بحربه فسير اليه عمه الحسن فكانت له حروب كثيرة ومازال حتى أسرة وحمله الى سامرا فأقر على الافشين انه حرضه على الخروج والعصيان (٢٦) .

ويقول البغدادى أن مازيار هو الذى أظهر دين المحمرة (٢٧) وقيل لقبوا بالمحمرة لأنهم صبغوا الثياب بالحمرة أيام بابك ولبسوها وقيل سببه أنهم يقررون أن كل من خالفهم من الفرق وأهل الحق حمير (٢٨) .

٧ ــ الصباحية :

وهم أتباع الحسن الصباح (٢٩) وهو الحسن بن محمد بن جعفر بن محمد الصباح الحميرى (٣٠) . ولما كانت الباطنية تعتقد أن الجنة هى الدعوة والدخول فيها هو الدخول فى الجنة كما اتضح هذا فى أقوالهم ومعتقداتهم الفاسدة .

---

(٢٥) الفرق : البغدادى ص ٢٦٩ .
(٢٦) مروج الذهب : اليعقوبى ص ٦١ جـ ٤ .
(٢٧) الفرق : البغدادى ص ٢٦٨ .
(٢٨) فضائح الباطنية : الغزالى ص ١٧ .
(٢٩) اعتقادات فرق المسلمين : الرازى ص ٨٧ .
(٣٠) فاطمة الزهراء : العقاد ص ١٢٨ .

أراد الصباح أن يطبق هذا عمليا فعمل حديقة فى (قلعة الموت)(٣١) وكان اذا اجتمع الناس اليه أخذ يرغبهم فى الدعوة ويمنيهم بالجنة ثم يخدعهم ويدير عليهم دواخين الحشيش كما يقــول العقاد ثم يدخلهم الى حديقة عمرت بمجالس الطــرب التى يتغنى فيها القيان وتتلاعب فيهـــا الراقصات ثم يخرجهم منها وهم فى غيبوبة المخدر . ويوقع فى وهمهم ساعة يستيقظون أنه نقلهم الى جنة الفردوس وأنه قادر على مراجعتهم اليها حيث شاء (٣٢) .

٨ ــ المباركية :

وكــان المبــارك كوفيا وهو مؤسس المباركية وهى الفرقة الأولى الموسومة باسم الاسماعيلية (٣٣) وكان المبارك خادما مخلصا لاسماعيل وأخيه وأحب ابنه محمد بن اسماعيل فلما مات الامام جعفر عمل على تثبيت الامامة لابن سيده محمد ومن المحتمل أنه اتصل بالغلاة بالكوفة وبخاصة أنه كان كوفيا ليقوى الدعوة الجديدة وقد بقى اسم المباركية فى التاريخ مختلطا أحيانا باسم الاســــماعيلية الحديثة وأحيانا أخرى باسم الباطنية ومازال للمباركية انصارها فى سلطان بوهرا (٣٤) .

٩ ــ الخطابية : هم أتباع الخطاب بن زينب الأسدى .

والخطابية من أخطر الغلاة لأنهم كانوا يعتقدون أن الامامة فى أولاد على الى أن انتهت الى جعفر الصادق ويزعمون أن الأئمة كانوا آلهة وكان أبو الخطاب يزعم أولا أن الأئمة أنبياء ثم زعم أنهم آلهة وان اولاد الحسن والحسين كانوا أبناء الله وأحباؤه وكان يقول جعفر اله فلما بلغ ذلك جعفر لعنه وطرده (٣٥) .

---

(٣١) قلعة الموت من نواحى قزوين : (الكامل : ابن الأثير ص ٣١٦ جـ٧) .

(٣٢) فاطمة الزهراء : العقاد ص ١١٣ .

(٣٣) نشأة التفكير : د. النشار ص ٣٥٥ .

(٣٤) نشأة التفكير : د. النشار ص ٣٥٥ .

(٣٥) الفرق : البغدادى ص ٢٤٧ .

وكان كما يقول النعمان من أجل دعاة (جعفر) فأصابه ما أصاب المغيره (أحد دعاة جعفر الخارجين) فكفر وادعى النبوة وزعم أن جعفر ابن محمد اله تعالى الله عن قوله واستحل المحارم ورخص فيها وكان اصحابه كلما ثقل عليهم أداء الفريضة أتوه وقالوا : يا أبا الخطاب خففه علينا فيأمرهم بتركها حتى تركوا جميع الفرائض واستحلوا جميع المحارم وارتكبوا المحظورات وأباح لهم أن يشهد بعضهم لبعض بالزور وقال من عرف الامام فقد حل له كل شىء كان حراما عليه فبلغ أمره جعفر بن محمد عليه السلام فلعنه وتبرأ منه (٣٦) .

ويبدو أن أبا الخطاب بعد براءة جعفر الصادق منه بالغ فادعى الألوهية يقول البغدادى وكان ابو الخطاب يدعى بعد ذلك الألوهية لنفسه وزعم أتباعه أن جعفرا اله غير أن أبا الخطاب أفضل منه وافضل من على (٣٧) .

ثم ان ابا الخطاب نصب خيمة فى كناسة الكوفة ودعا فيها أتباعه الى عبادة جعفر ثم خرج أبو على والى الكوفة فى أيام المنصور فبعث اليه المنصور بعيسى بن موسى فى جيش فأسروه فصلب فى كناسة الكوفة (٣٨)

١٠ ــ المقنعية :

هم أتباع مقنع وكان من أصحاب أبى مسلم وادعى بعده النبوة وعظم أمره واجتمع عليه خلق عظيم ثم ادعى الألوهية وقتل عاقبه الأمر (٣٩) .

وكان قد خرج كما يقول اليمانى . فيما وراء النهر وله أخبار شنيعة وكان حكيما فيلسوفا ملعونا ذكروا أنه عمل قمرا بالطلسم يطلع فى السنة

---

(٣٦) دعائم الاسلام : النعمان ص ٤٩ ، ٥٠ .
(٣٧) الفرق : البغدادى ص ٢٤٧ .
(٣٨) الفرق : البغدادى ص ٢٤٨ .
(٣٩) اعتقادات فرق المسلمين : الرازى ص ٧٩ ، ٨٠ .

أربعين ليلة ولقد كنت أكذب ذلك حتى صححه لى جماعة من أهل خراسان وذكروا انه بنى حصنا وعمل فيه لولبا فكان المسلمون اذا أتوا لقتاله قذفوا بالحجارة ولا يدرون من أين يقذفون فمال اليه خلق كثير حتى بعث الله عليهم غلاما حكيما فأمر المسلمين أن يحفروا حول الحصن فوقعو على اللولب فأخرجوه ودخلوا عليه فقتلوه وقيل أنه أحرق قبل دخولهم عليه فأمكن الله سبحانه وتعالى منه (٤٠) .

١١ ـ الناصرية :

وهم أتباع ناصر خسرو وقد كان شاعرا وضل بسببه خلق كثير (٤١)

١٢ ـ سليمان بوهره :

توجد هذه الفرقة فى الهند وباكستان ويدعون أنهم وحدهم متصلين بالامام الحقيقى المستتر ورئيس هذه الفرقة يعيش فى اليمن ونائبه فى الهند (٤٢) .

١٣ ـ البهرة (الخوجة) :

مقرها باكستان وامامها أغاخان .

١٤ ـ القرامطة :

لقبوا بذلك نسبة الى رجل يقال له حمدان بن الأشعث ويلقب بقرمط لقصر كان فى متنه وساقه وكان قرمط هذا أكار أبقارا فى القرية المعروفة بغس بهرام ورأس قرمط وكان داهية (٤٣) واليه تنسب القرامطة (٤٤).

---

(٤٠) كشف أسرار الباطنية : اليمانى ص ٢١ .
(٤١) اعتقادات فرق المسلمين : الرازى ص ٧٨ .
(٤٢) تأويل الدعائم : النعمان ص ٢٥ مقدمى الأعظمى .
(٤٣) الفهرست ابن النديم ص ١٨٧ .
(٤٤) الفرق البغدادى ص ٢٨٢ .

وتمشيا مع مبادىء الدعوة وضرورة انتشارها فى جميع أجزاء الأرض وبلاد العالم أرسل عبد الله بن ميمون كما يقول الدكتور حسن ابراهيم وهو فى الأهواز أحد دعاته وهو الحسين الأهوازى الى سواد الكوفة حيث لقى حمدان بن الأشعث المعروف بقرمط (٤٥) .

وبينما يصور لنا الغزالى صورة اللقاء بينهما وكأنها تمت مصادفة فى الطريق اذ صادف الحسين الأهوازى حمدان (وهو متوجه الى قريته وبين يديه بقر يسوقها ودار بينهما حديث عن الزهد والتقشف انتهى الى موافقة حمدان على اتباعه (٤٦) .

نرى الطبرى وابن الأثير يرويان رواية أخرى أقرب الى روح الدعوة الباطنية .

يقول الطبرى : ان الحسين بعد أن أرسله عبد الله بن ميمون الى سواد الكوفة . فكان بموضع يقال له النهرين يظهر الزهد والتقشف ويخصف الخوص ويأكل من كسب يده ويكثر الصلاة فأقام على ذلك مدة وكان اذا قعد اليه انسان ذاكره أمر الدين وزهده فى الدنيا وأعلمه أن الصلاة المفروضة على الناس خمسون صلاة فى كل يوم وليلة حتى فشى ذلك بموضعه ثم أعلمهم أنه يدعو الى أمام من أهل بيت الرسول فلم يزل على ذلك يقعد اليه الجماعة فيخبرهم من ذلك بما يتعلق به قلوبهم (٤٧). وكان يقعد الى بقال هناك فجاء قوم يطلبون منه رجلا يحفظ عليهم ما اخترموا من نخلهم فدلهم عليه (٤٨ ثم مرض فمكث مطروحا على الطريق وكان فى القرية رجل يحمل على أثوار له أحمر العينين شديد حمرتهما وكان أهل القرية يسمونه كرميته لحمرة عينيه وهو بالنبطية أحمر العينين فكلم البقال

---

(٤٥) تاريخ الاسلام : حسن ابراهيم ص ١٩٦ .
(٤٦) فضائح الباطنية : الغزالى ص ١٥ .
(٤٧) تاريخ الطبرى : الطبرى ص ٢٣ جـ ١٠ .
(٤٨) الكامل لابن الأثير : ابن الاثير ص ٤٤٥ جـ ٧ .

كرميته هذا فى أن يحمل هذا العليل الى منزله ودعا القرية الى أمره ووصف لهم مذهبه فأجابه أهل تلك الناحية . وكان يأخذ من الرجل اذا دخل فى دينه دينارا ويزعم أنه يأخذه للامام فمكث بذلك يدعو أهل تلك القرى فيجيبونه واتخذ اثنى عشر نقيبا أمرهم أن يدعو الناس الى دينهم وقال لهم أنتم كحوارى عيسى ابن مريم فانشغل أكره تلك الناحية عن أعمالهم بما رسم لهم من الخمسين صلاة التى ذكر أنها مفروضة عليهم (٤٩) وكان للهيصم فى تلك الناحية ضياع فرأى تقصير الاكره فى عمارتها فسأل عن ذلك فأخبر بخبر الرجل فأخذه وحبسه وحلف أن يقتله لما اطلع على مذهبه وأغلق باب البيت عليه وجعل مفتاح البيت تحت وسادته واشتغل بالشرب فسمع بعض من فى الدار من الجوارى بمساعته فرقت للرجل فلما نام الهيصم أخذت المفتاح وفتحت الباب وأخرجته ثم اعادت المفتاح الى مكانه فلما أصبح الهيصم فتح الباب ليقتله فلم يجده (٥٠) وشاع الخبر ففتن به أهل تلك الناحية وقالوا رفع ثم ظهر فى موضع آخر ولقى جماعة من أصحابه وغيرهم فسألوه عن قصته فقال ليس يمكن أحدا أن يبدأنى بسوء ولا يقدر على ذلك منى فعظم فى أعينهم ثم خاف على نفسه فخرج الى ناحية الشام (٥١) .

وأقام قرمط (حمدان) بكلوازى ونصب له عبد الله بن ميمون رجلين من ولد يكاتبانه من الطالقان وذلك فى سنة احدى وستين ومائتين (٥٢) فبنى مركزا للدعوة والوعظ فدخل فى دعوته كثير من الناس وقد فرض الضرائب على أتباعه يصرف منها على الفقراء والتأسيسات وقد روى عنه انه جمع من أتباعه أموالا كثيرة ووزعها على المحتاجين من القرامطة حتى لم يبق بينهم فقير ولذلك يمكن أن يعدوا من أول الجمعيات الاشتراكية وكان

---

(٤٩) تاريخ الطبرى : الطبرى ص ٢٣ ، ٢٤ جـ ١٠ .
(٥٠) الكامل لابن الأثير : ابن الأثير ص ٤٤٦ جـ ٧ .
(٥١) تاريخ الطبرى : الطبرى ص ٢٤ ، ٢٥ جـ ١٠ .
(٥٢) الفهرست لابن النديم : ابن النديم ص ١٨٧ .

دعاتهم يدعون الى مؤاخـاة النـاس على اختـلاف دياناتهم وطبقاتهم وأجناسهم (٥٣) وكان حمدان قرمط على رأس هذه النقابات وقد اشتهر كثير من رؤساء النقابات ومن يحملون على عاتقهم مسئولية الطبقات الفقيرة العاملة (٥٤) وكان من أكبر دعاة حمدان عبدان الذى صـادفت الدعوة الاسماعيلية على يده كثيرا من النجاح حتى أن أبا سعيد الجنابى مؤسس دولة القرامطة فى البحرين وذكرويه ابن مهروية زعيم قرامطة الشمال أى شمال غربى بلاد العراق وبادية السماوة وبعض بلاد الشام قد أخذ الدعوة عنه ..

ولم يلبث حمدان قرمط أن اختفى وقتل عبدان على اثر انقضاضه على أبناء القداح عام ٢٨٠ هجرية (٥٥) . وذلك لما تنازل الامام الحسين عن الامامة لسعيد بن الحسين بن عبد الله القداح ليكون سترا ومستودعا لابنه القـائم .

انتقض قرامطة السواد وعلى رأسهم حمدان قرمط أول زعيم للقرامطة وصهره عبدان المؤلف والداعية القرمطى المشهور (٥٦) .

فانضم زكروية وأولاده الى سعيد وقتلوا حمدان وعبدان (٥٧) وتحول نشاط القرامطة نحو الشمال على يد زكروية ونحو الجنوب على يد أبى سعيد الجنابى (٥٨) .

ومن خلال هذا العرض يتضح أن للباطنية ألقابا كثيرة ويرجـع هذا فى رأى الى ما يأتى :

---

(٥٣) ظهر الاسلام : أحمد أمين ص ١٣٢ جـ ٤ .
(٥٤) نشأة الفكر : د. النشار ص ٤٢٠ جـ ٢ .
(٥٥) تاريخ الاسلام السياسى : حسن ابراهيم ص ١٩٧
(٥٦) نشأة الفكر : د. النشار ص ٤٢٧ جـ ٢ .
(٥٧) نشأة الفكر : د. النشار ص ٤٣٣ جـ ٢ .
(٥٨) تاريخ الاسلام : حسن ابراهيم ص ١٩٧ .

١ ــ الغموض الذى أحاط بمحمد بن اسماعيل .

٢ ــ عدم التصريح بتفاصيل الدعوة الا للخاصة .

٣ ــ سرية الحــركة .

كل هذا ساعد على أن تلصق الدعوة باسم المتصــدين لنشرها فى الأقطار والبلاد ومن هنا تعددت أسماء الدعوة واقترنت بأسماء الدعاة ــ ولكنها رغم تعددها لا تختلف من حيث المبادىء والأسس لدعوتهم الباطنية . وهم لهذا ورغم تعدد ألقابهم فرقة واحدة هى الباطنية .

الفصل السابع

تأثر الباطنية بالفرق الضالة والمذاهب الهدامة

تعددت الآراء واختلفت وجهات النظر حول تأثر الباطنية بغيرهم ورغم تعدد الآراء واختلاف وجهات النظر فان الكل يجمع على أنهم تأثروا بالفرق الضالة والمذاهب الهدامة .

فبينما يرى الشهرستانى أن الاسماعيلية القديمة خلطوا كلامهم بكلام الفلاسفة (١) يروى البغدادى ما رآه أصحاب التواريخ من أن الذين وضعوا أساس دين الباطنية كانوا من أولاد المجوس وكانوا مائلين الى دين أسلافهم ولم يجسروا على اظهاره خوفا من سيوف المسلمين (٢) ويجمع بين هذين السببين الغزالى حين يرجع أصولهم الى أنه قد نجح جماعة من المجوس والمزدكية وشرذمة من الثنوية الملحدين وطائفة كبيرة من ملحدى الفلاسفة المتقدمين وضربوا سهام الرأى فى استنباط تدبير يخفف عنهم ما نابهم من استيلاء أهل الدين وينفس عنهم كربة ما دهاهم من أمر المسلمين حتى أضربوا السنتهم عن النطق بما هو معتقدهم (٣) .

ولما كانت شوكة الاسلام قوية ولا مطمع لهم فى حرب المسلمين وقتالهم ولا سبيل الى استنزالهم عما أصروا عليه الا بمكر واحتيال كما يتحدث عنهم الغزالى .

---

(١) الملل والنحل : الشهرستانى ص ١٤٤ .
(٢) الفرق بين الفرق : البغدادى ص ٢٨٤ .
(٣) فضائح الباطنية : الغزالى ص ١٨ .

لجأوا الى انتحال عقيدة طائفة من فرق المسلمين وهى أردأهم عقولا وأسخفهم رأيا وألينهم عريكة وأطوعهم للتصديق بالأكاذيب المزخرفة وهم الرافضة وتحصنوا بالانتساب اليهم والاعتزاء الى أهل البيت (٤) وبهذا سهل عليهم أن يستغلوا انتسابهم الى أهل البيت فوضعوا كما يقول الاسفراييني قواعد على موافقة أساس (مذهبهم) حتى تغتر به الأغمار وذلك أن الثنوية قالوا أن للعالم صانعين أحدهما النور ويكون منه الخيرات والمنافع والآخر الظلمة ويكون منه الشرور والمضار (٥) .

ويحدد البغدادى أوجه الشبه بينهم وبين المجوس فى أصول معتقدهم فيقول : وقولهم (ان الأول والثانى يدبران العالم) هو بعينه قول المجوس باضافة الحوادث لصانعين أحدهما قديم والآخر محدث الا أن الباطنية عبرت عن الصانعين بالأول والثانى وعبرت المجوس عنهما بيزدان وأهرمن . فهذا هو الذى يدور فى قلوب الباطنية ووضعوا أساسا يؤدى اليه (٦) . ثم غيرت الباطنية عبارتهم فقالوا أن الله تعالى خلق النفس وكان الله هو الأول والنفس هو الثانى وربما قالوا :

العقل هو الأول والنفس هو الثانى وزعموا أن هذين يدبران العالم بتدبير الكواكب السبعة والطبائع الأربعة ، وهذا بعينه قول المجوس حيث قالوا مدبر العالم اثنان أحدهما قديم والآخر حادث حدث من فكرته الا أن المجوس قالوا هما « يزدان وأهرمن » .

والباطنية قالوا هما العقل والنفس (٧) ولا يرتضى النشار أن يكون مذهب الباطنية ثنوى وان كان يميل الى قول الشهرستانى وهو انهم متأثرون بأقوال الفلاسفة فيقول :

---

(٤) فضائح الباطنية : الغزالى ص ١٨ ، ١٩ .
(٥) التبصير فى الدين : الاسترايني ص ٨٥ .
(٦) الفرق بين الفرق : البغدادى ص ٢٨٤ .
(٧) التبصير فى الدين : الاسترايتى ص ٨٥ .

انه مذهب غير ثنوى قطعا . حقا أنه تأثر بالمجوسية أو الثنوية فى بعض جزيئاته ولكن جوهر المذهب ليس مجوسيا ويبدو أنه من الخطأ الشديد أن ترد العقائد الاسماعيلية الى مصدر واحد لقد أخذت مادتها من الفلسفة اليونانية كما صورها المسلمون مزيجا من فلسفات أفلوطين وأرسطو والفيثاغورية الجديدة وعقائد مسيحية ويهودية ولا شك أن بعض العناصر المجوسية دخلت فى خلال هذا ولكن القول بأن نظرية العقل الكلى هى نظرية ثنوية فليس بحقيقى . انها نظرية أفلاطونية محدثة استخدمها دعاة الاسماعيلية كما استخدموا نظرية الفيض الأفلاطونية . أما أهم المصادر الاسماعيلية فى مختلف صورها فهو الفيثاغورية المحدثة مختلطة بأفلاطونية (٨) .

ويحدد لنا البغدادى السمات التى اعتبرها دلالات على تأثر الباطنية بالمجوسية والتى ألمح اليها د. النشار فى كلامه اذ ذكر أن هناك بعض المؤثرات ولكنها ليست جوهر المذهب . وأهم هذه السمات ما يأتى :

١ ــ لما لم يمكنهم اظهار عبادة النيران فاحتالوا بأن قالوا للمسلمين ينبغى أن تجمر المساجد كلها وأن تكون فى كل مسجد مجمرة يوضع عليها الند والعود فى كل حال وكانت البرامكة قد زينوا للرشيد أن يتخذ فى جوف الكعبة مجمرة يتبخر عليها العود أبدا . فعلم الرشيد أنهم أرادوا من ذلك عبادة النار فى الكعبة . وأن تصير الكعبة بيت نار فكان ذلك أحد أسباب قبض الرشيد على البرامكة .

٢ ــ أن الباطنية لما تأولت أصول الدين على الشرك احتالت أيضا لتأويل أحكام الشريعة على وجوه تؤدى الى رفع الشريعة أو الى مثل أحكام المجوس والذى يدل على أن هذا مرادهم بتأويل الشريعة أنهم قد أباحوا لأتباعهم نكاح البنات والأخوات وأباحوا شرب الخمر وجميع الملذات .

---

(٨) نشأة التفكير ص ٤٠٢ .

٣ ـــ يؤكد ذلك أن الغلام الذى ظهر منهم بالبحرين والاحساء بعد سليمان بن الحسن القرمطى سن لأتباعه اللواط وأوجب قتل الغـــلام الذى يمتنع على من يريد الفجور به وأمر بقطع يد من أطفأ ناراً بيده وبقطع لسان من أطفأها بنفخة وهذا الغلام هو المعروف بابن أبى زكريا الطامى . وكان ظهوره فى سنة تسع عشرة وثلاثمائة وطالت فتنته الى أن سلط الله تعالى عليه من ذبحه على فراشه .

٤ ــ ويؤكد ما قلناه ميل الباطنية الى دين المجوس .

انا لا نجد على ظهر الأرض مجوسيا الا وهو مؤيد لهم منتظر لظهورهم على الديار يظنون أن الملك يعود اليهم بذلك وربما استدل أغمارهم على ذلك بما يرويه المجوس عن زرادشت أنه قال لكشتاسف : ان الملك يزول عن الفرس الى الروم واليونانية ثم يعود الى الفرس . ثم يزول عن الفرس الى العرب ثم يعود الى الفرس وساعده جاماسب المنجم على ذلك وزعم أن الملك يعـــود الى العجم لتمام ألف وخمســـمائة سنة من وقت ظهور زرادشت (٩) .

ولا شك أن الشعوبية والمجوسية كانت تطل برأسها ويقول ابن رزام .. وقد كان قبل بنى القداح قريب ممن يتعصب للمجوسية ودولتها ويجتهد لردها فى أوقات منها بالمجاهرة ومنها بالحيلة سرا فأحدثوا بذلك فى الاسلام حوادث منكرة (١٠) .

وينقل لنا البغدادى رأيا آخر فى تأثرهم فيقول :

ومنهم من نسب الباطنية الى الصابئين الذين هم بحران ، واستدل على ذلك بأن حمدان قرمط داعية الباطنية بعد ميمون بين ديصان كان من الصـــابئة الحرانية واســـتدل أيضـــا بأن صابئة حران يكتمون أديانهم ولا يظهرونها الا لمن كان منهم .

---

(٩) الفرق بين الفرق : البغدادى ص ٢٨٥ ، ٢٨٦ .
(١٠) نشأة التفكير : د. النشار ص ٣٨٣ .

والباطنية أيضا لا يظهرون دينهم الا لمن كان منهم بعد أحلافهم اياه على أن لا يذكر أسرارهم لغيرهم (١١) .

ثم يذكر البغدادى ما وصل اليه من رأى فيهم فيقول : الذى يصح عندى من دين الباطنية انهم دهرية زنادقة يقولون بقدم العالم وينكرون الرسل والشرائع ويميلون الى استباحة كل ما يميل اليه الطبع .

ثم يستدل على قوله بما جاء فى رسالة عبيد الله القيروانى الى سليمان بن الحسن بن سعيد الجنابى (أبو طاهر) والتى أوصاه فيها بأن قال له : ادع الناس بأن تتقرب اليهم بما يميلون اليه وأوهم كل واحد منهم بأنك منهم فمن آنست منه رشدا فاكشف له الغطاء واذا ظفرت بالفلسفى فاحتفظ به فعلى الفلاسفة معولنا وانا واياهم مجمعون على رد نواميس الأنبياء وعلى القول بقدم العالم لولا ما يخالفنا فيه بعضهم من أن للعالم مدبرا لا نعرفه وذكر فى هذا الكتاب ابطال القول بالمعاد والعقاب وذكر أيضا أن الجنة نعيم وان العذاب انما هو اشتغال أصحاب الشرائع بالصلاة والصيام والحج والجهاد .

وقال أيضا فى هذه الرسالة : أن أهل الشرائع يعبدون الها لا يعرفونه ولا يحصلون منه الا على اسم بلا جسم . وقال فيها أيضا : تتدبر كلام الدهرية فانهم منا ونحن منهم وفى هذا تحقيق نسبة الباطنية الى الدهرية والذى يؤكد هذا أن المجوس يدعون نبوة زرادشت ونزول الوحى عليه من الله وان الصابئين يدعون نبوة هرمس والياس . ورويتوس وأفلاطن وجماعة من الفلاسفة وسائر أصحاب الشرائع كل صنف منهم مقرون بنزول الوحى من السماء على الذين أقروا بنبوتهم ويقولون : ان ذلك شامل للأمر والنهى والخبر عن عاقبة ما بعد الموت وعن ثواب وعقاب وجنة ونار يكون فيها الجزاء عن الأعمال السالفة . والباطنية يرفضون المعجزات وينكرون نزول الملائكة من السماء بالوحى والأمر

---

(١١) الفرق بين الفرق : البغدادى ص ٢٩٤ .

والنهى بل ينكرون أن يكون فى السماء ملك . وانما يتأولون الملائكة على دعاتهم الى بدعتهم ويتأولون الشـــياطين على مخالفيهم والأبالسة على مخالفيهم ولهذا ولما يقولونه بقدم العالم بنسبهم البغدادى الى الدهرية .

والواقع أن الباطنية كما يكشف البحث الحديث قد تأثرت بالمذاهب الفلسفية واقتبست منها ويتناول الدكتور محمد كامل حســين أفكــارهم ويردها الى مصادرها الأصلية ويكشف عن الاقتباس فيها فيقول :

نظرية المثل والممثول . (الباطن والظاهر) .

هذه النظرية وان كانت قد صبغت بالصبغة الاسلامية فانها هى نظرية المثل الأفلاطونية القديمة ادخلوها فى عقيدتهم بعد أن غيروا فيها (١٢) وقد وصلت اليهم من أثر الحركة الواسعة للترجمة فى عصر المأمون .

وجاء الاسماعيلية وأخذوا فكرة التأويل مما نقل الى العرب من آثار هؤلاء الفلاسفة ولكنهم صبغوا تأويلاتهم بالصبغة الاسلامية كعادتهم فى كل ما أخذوه عن العلوم والفلسفة الأجنبية ومع ذلك فقد ظهرت فى تأويلاتهم آثار هذه العلوم والفلسفة كما ظهر تأثرهم بالعقائد والأديان القديمة التى غمرت العالم قبل ظهور الاسلام وبعده (١٣) .

فهى مزيج من مجموعة المذاهب والديانات القديمة التى عرفت وانتشرت فى الأقطار الاسلامية منذ زمن بعيد بتأثير امتزاج المســلمين بغيرهم من الشعوب المختلفة واستطاع الفاطميون أن يخضعوا هذه المذاهب والآراء القديمة لآراء اسلامية ويصبغوها بالصبغة الاسلامية . فالباحث يمكن ن يتعقب أكثر عقائد الفاطميين ويردها الى أصولها القديمة فمثلا قال المصريون القدماء بأن روح الملوك تنتقل الى العالم العلوى وتصبح من الآلهة . والفاطميون يقولون بأن روح الامام تصبح ملكا من الملائكة وعقلا من العقول الروحانية المدبرة لعالم الكون والفساد .

---

(١٢) الفرق بين الفرق : البغدادى ص ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ .
(١٣) انظر أدب مصر : محمد كامل حسين ص٨ ٢ .

وذهب بعض فلاسفة اليونان الى أن الانسان لا يستطيع أن يرى شيئا الا بمساعدة ضوء الشمس أو القمر أو الشعل فقال الفاطميون : ان العقل البشرى فى تبصره لا يستطيع الوصول الى معرفة شىء وادراكه الا بمساعدة خارجية تأتيه من الأئمة . ومن أقوال الفلاسفة اليونان أيضا : أن النفس كانت صفحة بيضاء فاذا حلت فى جسم نقش عليها ما اكتسبه الانسان ان خيرا فخير وان شرا فشر فقال الفاطميون بهذه المقالة وأخذ الفاطميون عن الايرانيين والبابلية القديمة عقيدة الأدوار السبعة ، وعن الأفلاطونية الحديثة مذهب الابداع وظهور النفس الكلية عن العقل الكلى وخلق العالم بواسطة الكلمة (١٤) .

وهى أيضا أفلاطونية محدثة واضحة ونظرية الفيض المشهورة وان كان يعبر عنها بالانبجاس الا أن الكرمانى الداعية الاسماعيلى المشـــهور يستخدم نفس النظرية ويعبر عن الفيض بالابداع والانبعاث ونرى الأفلاطونية واضحة فى كتاب راحة العقل (١٥) مع خلاف هو أن الأفلاطونية الحديثة جعلت الكلمة هى العقل الكلى على حين قال الاسماعيلية بأن الكلمة هى السابق والتالى أى القلم واللوح وانها كلمة « كن » من قوله تعـــالى (انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول . له كن فيكون) (١٦) .

كما أخذ الاسماعيلية عن الافلاطونية الحديثة الفبوضات ومراتبها بأن جعلها الاسماعيلية الحدود الروحانية والجسمانية وأخذوا عن الأفلاطونية نظرية المثل .. وعن الفيثاغوريين من القدماء ومذهبهم فى التوحيد وجعل الاعداد أصولا لعقائدهم بل كان نظام دعوتهم هو نظام الفيثاغورية عينها وهـــكذا (١٧) . ويرى النوبختى أن عقائد الاسماعيلية تضاهى ثالوث النصارى الله ومريم والمسيح (١٨) وأيضا أدخل الاسماعيليون كما أصبحوا

---

(١٤) أدب مصر الفاطمية : محمد كامل حسن ص ٣٥ ، ٣٦ .
(١٥) نشأت التفكير : د. النشار ص ٤٠١ .
(١٦) سورة يس : آية رقم ٨٢ .
(١٧) أدب مصر : محمد كامل حسين : ص ٣٥ ، ٣٦ .
(١٨) فرق الشيعة : النوبيخى ص ٧٤ .

يسمون منذ ذلك الحين على مر الزمن فى مبادئهم كثيرا من الآراء السرية التى أخذوها عن الأفكار المجوسية (١٩) وهكذا يستطيع الباحث أن يرد كثير من الآراء والعقائد الفاطمية الى أصولها الأولى على الرغم من صبغ هذه الآراء والعقائد بالصبغه الاسلامية حتى ليتوهم الباحث فى كتبهم أن عقائدهم اسلامية ولم يطرأ عليها أى علم دخيل (٢٠) .

وبهذا وبشهادة أكبر صديق لهم وهو الدكتور محمد كامل حسين الذى قام بنشر أكبر قدر من كتبهم يتضح أن الأساس الذى قامت عليه نظرية الاسماعيلية الباطنية لا ينتمى للاسلام وانما هو فتات من موائد شتى نجمع عناصره بين المجوسية والأفلاطونية والفيثاغورية ومختلف العناصر والآراء التى لا تتصل بالاسلام من قريب أو بعيد . بل تتنافر مع مبادئه وأسسه .

ولهذا فاننى أنفى صلة المبادىء والأسس الاسماعيلية بالاسلام وأؤكد أن حركتهم كانت تستهدف الاسلام بالتشويه والهدم وهى فى أصلها مجوسية وان جمعت بين عناصرها ومكوناتها من مختلف الديانات والمذاهب . لأنها جمعت ما جمعت ولفقت ما لفقت لتشويه صورة الاسلام واستهدفت الدخول على العامة تحت لواء الانتساب الى آل البيت .

وهذا من أخبث أساليبهم فى الدعوة وهو ما سنوضحه فى الفصل التالى .

---

(١٩) مختصر تاريخ العرب ص ٤٨١ .

(٢٠) أدب مصر الفاطمية : محمد كامل حسين ص ٣٦ .

الفصل الثامن

اساليب الباطنية فى الدعوة ومراتبها

رتب الفاطميون لدعوتهم نظاما دقيقا محكما لا أكاد أجـد له مثيلا فى تاريخ الدول والدعوات حتى فى عصرنا هذا الذى عـرف فيه للدعاية قدرها ومكانتها ولعل الفاطميين هم أول من أقاموا للدعاية مناصب رسمية فى دولتهم . بناءا على تطبيق نظرية المثال والممثول عندهم .

أخذوا هذه النظم من المشاهدات المحسوسات من نظام دورة الفلك وتقسيم السنة الى شهور وأيام وساعات فالسنة اثنا عشر والشهر ثلاثون يوما واليوم أربع وعشرون ســـاعة منها اثنتا عشرة بالنهار واثنتا عشرة بالليل فكذلك قسمت مراتب الدعوة فالسنة التى تجمع الشهور والأيام مثل على النبى فى عصره أو الامام الذى يجمع جميع مراتب الدعوة والاثنتا عشر شهرا مثل رؤساء الدعوة فى الجزائر ويسمون حجج الجزائر ولكل هؤلاء الحجج ثلاثون داعية أو نقيبا ولكل داع من هؤلاء الدعاة أربعة وعشرون داعيا ماذونا أو مكاسرا .

ولكل رتبه من هذه المراتب عمل خاص به .

فالمأذون والمكاسر هو الداعى الذى يشكك المســلمين فى عقائدهم المذهبية ويوقع الوهم فى نفوس المتدينين بأنهم على ضلال ولا يزال بهم حتى يطلبوا اليه ان يدلهم على الصواب المبين ولكنه يحاورهم ويداورهم حتى اذا وثق من اقتناعهم بأنهم على ضلال احالهم على الداعى أو النقيب الذى يبدأ بمفاتحتهم بأسرار الدين شيئا فشيئا بعد أن يأخذ عليهم العهود

والمواثيق وهكذا يصبح المستجيب او الطالب فى زمرة الدعوة ومن ذلك يتبين أن الداعى المأذون هو الذى يكاسر الناس بأن يمطرهم بأسـئلة لا يستطيعون الاجابة عنها ولذلك يشترط فى من يتولى هذه المرتبة أن يكون على علم وافر بمذاهب الفرق الاسلامية جميعها وموضع الضعف فى كل مذهب من المذاهب وأن يكون متمكنا من أصول مذهبه وأن يكون لسنا مجادلا والصفات التى يجب توافرها فى الداعى عندهم لخصها الدكتور محمد كامل حسين فى الآتى : سعة العلم والثقافة وشدة التقوى والورع والعمل بأحكام الشريعة وأن يكون حسن السياسة مع من يتصل بهم ولا سيما أتباعه وهذه المرتبة هى أقل مراتب الدعوة (١) .

ويضيف الدكتور النشار الى هذه العوامل عوامل أخرى مساعدة أيضا وهى :

كان السحر والشعوذة منتشرة فى أوساط الغلاة فكان على الدعاة اتقانها واستخدامها حتى يموهوا على عوام الناس كما استخدموا ايضا الحيل الهندسية وما لا يسبر غورة الجماهير الغافلة ، واستخدم الدعاة كل شىء كان فى متناولهم حتى الفلسفة اليونانية وبخاصة الجزء الخاص منها بالأسرار الفلسفية الأفلاطونية وفلسفة الفيثاغورية الحديثة .

بل استخدم الدعاة الاسماعيليون المذهب الفيضى فدخل أيضا فى أعماق المذهب الاسماعيلى مزيج من الآراء والمعتقدات أراد به الدعاة أن يشيعوا به رغبات ومعتقدات المزيج الغريب من البشر الذى حاولوا جذبهم الى مولاهم الآسماعيلى ...

وقد حدث هذا فى سرية تامة لم يعرف لها التاريخ مثيلا وقد دعا هذا الى تعدد أسماء المذهب الاسماعيلى (٢) .

---

(١) انظر أدب مصر الفاطمية : محمد كامل حسين ص ٣٨ وما بعدها .
(٢) نشأة التفكير : د. النشار ص ٣٨٧ .

ونظرا لكثرة تعرضنا للمصطلحات الاسماعيلية ونحن نعرض تدرجهم في مراتب الدعوة وحتى يسهل على القارىء معرفة مصطلحاتهم نعرض هنا في ايجاز اهم المصطلحات كما يصورها الكرماني في كتابه راحة العقل . يقول الكرماني :

الناطق : هو الرسول من أولى العزم .

الوصى : هو الوزير الأيمن للناطق .

الامام : هو ومن بعده (من الأئمة) يعتبر كل منهم هاديا فى زمنه .

باب الأبواب أو داعى الدعاة : هو دون الحجة وفوق الدعاة .

داعى البلاغ : هو يلى داعى الدعاة وأعلى من بقية الدعاة .

الداعى المطلق : يلى داعى البلاغ وهو النائب عن الامام فى دور الاستتار .

المكاسر : هو التالى للمأذون فى دور الستر .

المستجيب : هو المؤمن الكامل (٣) .

(٣) راحة العقل : حميد الدين الكرمانى ص ١٣٢ .

مراتب الدعوة عند الباطنية

الأولى : الزرق والتفرس :

وفى معنى الزرق والتفرس قالوا : ينبغى أن يكون الداعى فطنا ذكيا صحيح الحدس صادق الفراسة متفطنا للبواطن بالنظر الى الشمائل والظواهر .

وليكن قادرا على ثلاثة أمور :

الأول : وهو اهمها أن يميز بين من يجوز أن يطمع فى استدراجه ويوثق بلين عريكته لقبول ما يلقى اليه على خلاف معتقده فرب رجل جمود على ما سمعه لا يمكن أن ينتزع من نفسه ما يرسخ فيه فلا يضيع كلامه مع مثل هذا وليقطع طعمه منه . وليلتمس من فيه انفعال وتأثر بما يلقى اليه من كلام (٤) ولهذا قالوا فى وصاياهم للدعاة الى بدعتهم · لا تتكلموا فى بيت فيه سراج . يعنون بالسراج من يعرف علم الكـلام ووجوه النظر والمقاييس .

وقالوا أيضا لدعاتهم لا تطرحوا بذركم فى أرض سبخه وأرادوا بذلك منع دعاتهم من اظهار بدعتهم عند من لا تؤثر فيهم بدعتهم كما لا يؤثر البذر فى الأرض السبخه شيئا (٥) ·

الثانى : أن يكون مشتعل الحدس ذكى الخاطر فى تعبير الظواهر وردها الى الباطن اما اشتقاقا من لفظها أو تلقيا من عددها أو تشبيها لها بما يناسبها وبالجملة فاذا لم يقبل المستجيب منه تكذيب القرآن والسنة فينبغى أن يستخرج من قلبه معناه الذى فهمه ويترك معه اللفظ منزلا على معنى يناسب هذه البدعة فانه لو شافهه بالتكذيب لم يقبل منه .

---

(٤) فضائح الباطنية : الغزالى ص ٢١ ، ٢٢ .
(٥) الفـــرق : البغدادى ص ٢٩٨ .

الثالث : ألا يدعو كل واحد الى مسلك واحد بل يبحث أولا عن معتقده وما اليه ميل طبعه ومذهبه فان رآه مائلا الى الزهد والتقشف والتنظيف دعاة الى الطاعة والانقياد واتباع الأمر (٦) .

كما حدث من الأهوازى حينما التقى بحمدأن قرمط ودخل عليه وعلى قومه من باب التقشف ولبس فيهم ثوب التقوى والورع حتى انخدعوا به ومالوا اليه .

وكان من حيلهم أنهم اذا وجدوا شخصا يألف اليهم يبدأون معه بأسئلة تشككه كما يقول البغدادى فى معانى العبادات وعلل الفرائض ويشككه فيها ومن رآه ذا مجون وخلاعة قال له العبادات بله وحماقة وانما الفطنة فى نيل اللذات .

ومن رآه شاكا فى دينه أو فى المعاد والثواب والعقاب طوع له نفى ذلك وحمله على استباحة المحرمات .

ومن رآه من غلاة الرفض السبئية والبنائية والمغيرية والمنصورية والخطابية لم يحتج معه الى تأويل الآيات والأخبار لانهم يتأولونها معهم على وفق ضلالتهم .

ومن رآه من الرافضة زيديا أو اماميا مائلا الى الطعن فى أخبار الصحابة دخل عليه من جهة شتم الصحابة وزين له بغض بنى تيم لأن أبا بكر منهم وبغض بنى عدى لأن عمر بن الخطاب كان منهم وحثه على بغض بنى أمية لأن منهم عثمان ومعاوية .

ومن رآه الداعى مائلا الى أبى بكر وعمر مدحهما عنده وقال ان لهما حظا فى تأويل الشريعة ولهذا استصحب النبى أبا بكر الى الغار ثم الى المدينة وأفضى اليه فى الغار تأويل شريعته .

---

(٦) فضائح الباطنية : الغزالى ص ٢٢ ، ٢٣ .

ويعدد البغدادى الأصناف التى تنخدع فى حيل الباطنية وهم ثلاث أصـناف :

أحدها : العامة الذين قلت بصائرهم بأصول العلم والنظر كالنبط والأكراد وأولاد المجوس .

والصنف الثانى : الشعورية الذين يرون تفضيل العجم على العرب ويتمنون عود الملك الى العجم .

والصنف الثالث : اغتام بنى ربيعة من أجل غيظهم على مضر لخروج النبى ﷺ منهم ولهذا قال عبد الله بن حازم المسلمى فى خطبته بخرسـان ان ربيعة لم تزل غضبى على الله منذ بعث نبيه من مضر ومن أجل حسـد ربيعة لمضر بايعت بنو حنيفة مسيلمة الكذاب طمعا فى أن يكون فى بنى ربيعة نبى (٧) .

ويرى الاسفراييني أنهم يحتالون أول ما يحتالون على السـلاطين والعوام الذين لا خبرة لهم فى العلوم وتقبيح العلماء فى أعين العوام ، يقولون للواحد منهم ان علماءكم لا يعرفون شيئا ولو شئتم جربتموهم وعرفتم من حالهم ما يقولون سلوهم لم وجب غسل الوجه فى الوضوء والحدث يخرج من موضـع آخر وأى حكيم وأى عاقل يستحسن مثل ذلك . ولم وجب غسل جميع البدن من قطرة منى خرجت منه ؟ ولم يجب على كثير من الحدث والبول يخرج منه الا غسل أعضاء من البدن (٨) .

واذا ظفر بواحد من السلاطين والمحتسبين قالوا له : وضعت هذه الشريعة للحمير والعوام وأنتم من جملة الخواص ينبغى أن يكون لدينكم خاصية تخالف دينهم ويقولون أن النبى ﷺ لم يكن نبيا ولا رسولا ولكنه حكيما أراد أن يستعبد العوام فكلفهم هذه التكاليف ولابد للخواص أن يتميزوا عنهم ولا ينقادون لشيء لا أصل له (٩) .

---

(٧) انظر الفرق : البغدادى ص ٢٩٩ وما بعدها .
(٨) التبصير فى الدين : الاسفراينى ص ٨٦ .
(٩) التبصير فى الدين : الاسترابنى ص ٨٦ .

الثانية ــ التانيس :

وهى تزين ما عليه الانسان من مذهبه فى عينة ثم سؤاله بعد ذلك عن تأويل ما هو عليه وتشكيكه فى أصول دينه (١٠) وقد رسموا للدعاة والمأذونين أن يجعلوا مبيتهم كل يوم عند واحد من المستجبين .

وكانوا يجتهدون (زيادة فى التمويه) فى استصحاب من له صوت طيب فى قراءة القرآن ليقرأ عندهم زمانا . ثم يتبع الداعى ذلك كله بشىء من الكلام الرقيق وأطراف المواعظ اللطيفة الآخذة بمجامع القلوب ثم يردف ذلك بالطعن فى السلاطين وعلماء الزمان وجهل العوام ويذكر أن الفرج منتظر من كل ذلك ببركة أهل بيت رسول الله ﷺ . وهو فيما بين ذلك يبكى أحيانا ويتنفس الصعداء اذا ذكر آية أو خبرا ذكر أن لله أسرارا فى كلماته لا يطلع عليها الا من اجتباه الله وميزه بمزيد لطفه (١١) .

والثالثة ــ التشكيك :

بعد أن يأنس فى المستجيب أمانة القرب منه والتعليق به يبدأ كما يقول الغزالى فى تغيير اعتقاد المستجيب بأن يزلزل عقيدته فيما هو مصمم عليه ويبدؤن بالسؤال عن الحكمة فى مقررات الشرائع وغوامض المسائل .

فيقول : ما معنى « الر » و (كهيعص) و (حم عسق) الى غير ذلك من أوائل السور .

ويقال : أترى أن تعيين هذه الحروف جرى وفاقا بسبق اللسان أو قصد تعيينها لأسرار هى تحتها لم تصادف فى غيرها ؟

وما عندى ان ذلك يكون هزلا وعبثا بلا فائدة (١٢) ثم يستدرج الداعى المستجيب فيشككه فى الأحكام قائلا له :

---

(١٠) الفــرق : البغدادى ص ٣٠١ .
(١١) فضائح الباطنية : الغزالى ص ٢٤ .
(١٢) فضائح الباطنية : الغزالى ص ٢٥ .

وما معنى رمى الجمار والعدو بين الصفا والمروة ولم كانت الحائض تقضى الصيام ولا تقضى الصـــلاة وما بال الجنب يغتسل من ماء دافق ولا يغتسل من البول النجس الكثير القذر (١٣) .

ثم ينتقل ليشككه فى أخبار القرآن فيقول . ما بال أبواب الجنـــة ثمانية وأبواب النار سبعة ؟ وما معنى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وقوله عليها تسعة عشر (١٤) وما بال الله خلق الدنيا فى ستة أيام أعجز عن خلقها فى ساعة واحدة وما معنى الصراط المضروب فى القرآن الكريم والكاتبين والحافظين وما لنا لا نراهما أخاف أن نكابره ونجاحده حتى أولى العيون وأقام علينا الشهود وقيد ذلك فى القرطاس بالكتابة وكيف يصح تبديل جلد مذنب بجلد لم يذنب حتى يعذب . وما معنى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وما ابليس وما الشياطين وما وصفوا به وأين مستقرهم وما مقدار قدرهم وما يأجوج ومأجوج وهاروت وماروت وأين مستقرهم . وما سبعة أبواب النار وما ثمانية أبواب الجنة وما شجرة الزقوم النابته فى الجحيم وما دابة الأرض ورؤس الشياطين والشـــجرة الملعونة فى القرآن . والتين والزيتون وما الخنس الكنس وما معنى الم المص وما معنى كهيعص وحمعسق . ولم جعلت السموات سبعا والأرض سبعا والمثانى من القرآن سبع آيات ولم فجرت العيون اثنتي عشرة عينا ولم جعلت الشهور اثنى عشر شهرا (١٥) أجرى ذلك وفقا بحكم سبق اللسان أو قصدا لهذا التقيد ليخيل أن تحته سرا وانه نفسه سر ليس يطلع عليه الا الأنبياء : والأئمة الراسخون فى العلم وما عندى أن ذلك يخلو عن سر وينفك من مائدة كامنة والعجب من غفلة الخلق عنها لا يشمرون عن ساق الجد فى طلبها (١٦) .

---

(١٣) سوسنة سليمان : جرجس ابن نوفل ص ٢١٩ .
(١٤) فضائح الباطنية : الغزالى ص ٢٥ .
(١٥) خطط المقريزى : المقريزى ص ٢١٦ .
(١٦) فضائح الباطنية : الغزالى ص ٢٥ .

ثم ينتقل الى تشكيكه فى نفسه فيقول :

فكروا فى أنفسكم أين أرواحكم وكيف صورها وأين مستقرها وما أول أمرها والانسان ما هو وما حقيقته وما الفرق بين حياته وحياة البهائم وفضل ما بين حياة البهائم وحياة الحشرات وما الذى بانت به حياة الحشرات من حياة النبات (١٧) ولما كانت قامة الانسان منتصبة دون غيره من الحيوانات ولم كان فى يديه من الأصابع عشر وفى رجليه عشر أصابع وفى كل اصبع من أصابع يديه ثلاثة شقوق الا الابهام فان فيه شقين فقط . ولم كان فى وجهه سبع ثقوب وفى سائر بدنه ثقبان ولم كان فى ظهره اثنتا عشرة عقده وفى عنقه سبع عقد ولم جعل عنقه صورة ميم ويداه حاء وبطنه ميم ورجلاه دال حتى صار ذلك كتابا مرسوما يترجم عن محمد ولم جعلت قامته اذا انتصب صورة ألف واذا ركع صورة لام واذا سجد صارت صورة هاء فكانت كتابا يدل على الله ....

ثم يعلق الداعى ليلقى بكل بذور الشك فى قلب المستجيب ويخلعه عن معتقده بقوله : ان الذى خلق حكيم غير مجازف وانه فعل جميع ذلك لحكمة وله فيها أسرار خفية حتى جمع ما جمع وفرق ما فرق فكيف يسعكم الاعراض عن هذه الأمور وأنتم تسمعون قول الله عز وجل :

(وفى الأرض آيات للموقنين وفى أنفسكم أفلا تبصرون) (١٨) .

(ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون) (١٩) .

(سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق (٢٠) .

---

(١٧) سوسنة سليمان : جرجنس بن نوفل ص ٢١٦ .
(١٨) سورة الزرايات : آية ٢٠ ، ٢١ .
(١٩) سورة ابراهيم : أية ٢٥ .
(٢٠) سورة فصلت : آية ٥٣ .
(٢٠) خطط المقريزى : المقريزى .

ما أعظم هذه العجائب وما أعظم غفلة الخلق عنها ولا يزال يورد عليه هذا الجنس حتى يشككه وينقدح فى نفسه أن تحت هذه الظواهر أسرار سدت عنه وعن أصحابه وينبعث منه شوق الى طلبه (٢١) .

الرابعة ـ التعليق :

وهى أن يطوى عنه جوانب هــذه الشكوك اذا هو استكشفه عنها ولا ينفس عنه أصلا بل يتركه معلقا ويهول الأمر عليه ويعظمه فى نفسه ويقول له لا تعجل فان الدين أجل من أن يعبث به أو أن يوضع فى غير موضعه ويكشف لغير أهله .

(ثم يتركه بين الأمل واليأس ليزداد تعلقه به لمعرفة حقيقة هــذه الأسرار حبا فى الاستطلاع من ناحية . ورغبة فى كشف حقائق عن الدين قد تكون خفية عليه من ناحية أخرى) .

فيقول له : لا تعجل أن ساعدتك السعادة سأبث اليك سر ذلك . أما سمعت قول صاحب الشرع أن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى (٢٢) .

(ثم يستعمل الداعى كل أساليب الحيل للتفريق بين من يلقى عليهم أسراره وهو هنا فى هذا المقال أمام رجلين) .

فمن رآه معرضا غير مقتنع ولم تخل عليه هذه الشكوك تركه . ومن رآه متعطشا اليه وعده فى وقت معين وأمره بتقديم الصوم والصلاة حتى اذا أتى الميعاد قال له : ان هذه الأسرار مكتومه لا تودع الا فى حصن محصن فحصن حرزك وأحكم مداخله حتى أودعه فيه فيقول المســتجيب وما طريقة فيقول . آن آخــذ عهد الله وميثاقه على كتمان هــذا السر ومراعاته (٢٣) .

---

(٢١) فضائح الباطنية : الغزالى ص ٢٦ .
(٢٢) فضائح الباطنية : الغزالى ص ٢٦ .
(٢٣) فضائح الباطنية : الغزالى ص ٢٧ .

وجرت عادة الله وسنته فى عباده عند شرع من ينصبه أن يأخذ العهد على من يرشده ولذلك قال : « واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) (٢٤) وقال عز وجل :

(من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا) (٢٥) وقال عز وجل (يا أيها الذين آمنوا أوفـــوا بالعقود) (٢٦) وقـــال تعالى (ولا تنقضـــوا الايمان بعد توكيدها) (٢٧) .

وأما النبى ﷺ فلم يفشه الا بعد أخذ العهد عـــلى الخلفاء وأخذ البيعة على الأنصار تحت الشجرة فان كنت راغبا فاحلف على كتمانه (٢٨).

الخامسة ـــ الربـــط :

وهو أن يربط لسانه بايمان مغلظة وعهود مؤكدة لا يجسر على المخالفة لها بحال وهذه نسخة العهد .

يقول الداعى للمستجيب . جعلت على نفسك عهد الله وميثاقه وذمه رسوله عليه السلام وما أخذ على النبيين من عهد وميثاق أنك تسر ما سمعته منى وتسمعه وعامته وتعلمه من أمرى وأمر المقيم بهذه البلدة الصاحب للحق الامام المهدى وأمور اخوانك وأصـــحابه وولده وأهل بيته وأمور المطيعين له على هـــذا الدين ومخالصة المهدى ومخالصـــة شـــيعته من الذكور والاناث والصغار والكبار ولا تظهر من ذلك قليلا ولا كثيرا تدل

(٢٤) سورة الأحزاب : آية ٧ .
(٢٥) سورة الأحزاب : آية ٢٣ .
(٢٦) سورة المائدة : آية ١ .
(٢٧) سورة النحل : آية ٩١ .
(٢٨) سوسنة سليمان : جرجس نوفل ص ٢١٨ .
(٢٩) فضائح الباطنية : الغزالى ص ٢٧ .

به عليه الا ما أطلقت لك ان تتكلم به أو أطلق لك صاحب الأمر المقيم فى هذا البلد أو فى غيره . فتعمل حينئذ بمقدار ما نرسمه لك ولا تتعداه جعلت على نفسك الوفاء بما ذكرته لك وألزمته نفسك فى حال الرغبة والرهبة والغضب والرضا وجعلت على نفسك عهد الله وميثاقه وأن تمنعنى وجميع من أسميه لك وأبينه عندك مما تمنع منه نفسك وان تنصح لنا وللامام ولى الله نصحا ظاهرا وباطنا وألا تخون الله ولا وليه ولا أحدا من اخوانه وأوليائه ومن يكون منه ومنا بسبب من أهل ومال ونعمه . وأنه لا رأى ولا عهد تتناول على هذا العهد بما يبطله فان فعلت شيئا من ذلك وأنت تعلم أنك قد خالفته . فأنت برىء من الله ورسله الأولين والآخرين ومن ملائكته المقربين ومن جميع ما أنزل من كتبه على أنبيائه السابقين وأنت خارج من كل دين وخارج من حزب الله وجذب أوليائه وداخل فى حزب الشيطان وحزب أوليائه وخذلك الله خذلانا بينا يعجل لك بذلك النقمة والعقوبة ان خالفت شيئا مما حلفتك عليه ، بتأويل فان خالفت شيئا من ذلك فلله عليك أن تحج الى بيته ثلاثين حجة نذرا واجبا . ماشيا حافيا وان خالفت ذلك فكل ما تملكه فى الوقت الذى تحلف فيه صدقة على الفقراء والمساكين الذين لا رحم بينك وبينهم . وكل مملوك يكون لك فى ملك يوم تخالف فيه فهم أحرار . وكل امرأة تكون لك أو تتزوجها فى قابل فهى طالق ثلاثا بائنة ان خالفت شيئا من ذلك وان نويت أو أضمرت فى يمينى هذه خلاف ما قصدت فهذه اليمين من أولها الى آخرها لازمة لك . والله الشاهد على صدق نيتك وعقد ضميرك . وكفى بالله شهيدا بينى وبينك قل نعم فيقول نعم . فهذا هو الربط (٢٩) .

وزيادة فى أحكام الخدعة على المستجيب يقول له الداعى بعد أن يحلف اليمين (أعطنا جعلا من مالك نجعله مقدمة أمام كشفك الأمور وتعريفك اياها والرسم فى هذا الجعل بحسب ما يراه الداعى (٣٠) وقد قدم لنا

---

(٢٩) فضائح الباطنية : الغزالى ص ٢٨ ، ٢٩ .

(٣٠) سوسنة سليمان : جرجيس ص ٢٢٠ .

المقريزى رواية أخرى فى صورة اليمين تختلف عن الصورة التى قدمها لنا الغزالى وتتضمن الآتى :

أن تشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وتشهد أن محمدا عبده ورسوله وتشهد أن الجنة حق وأن النار حق وأن البعث حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور وتقيم الصلاة لوقتها وتؤتى الزكاة لحقها وتصوم رمضان وتحج البيت (٣١) وهذه الاضافة تتنافى كل التنافى مع مذهب الباطنية مما يؤكد أنها من عند المقريزى كتغطية لموقفهم وليست من مكونات ايمانهم .

فاذا حلف المستجيب أصبح معهم وبدأ الداعى يكشف له أول درجات الكشف ليرقى فى الدعوة فيقول له (الأئمة سبعة قد رتبهم البارى تعالى كما رتب الأمور الجليلة فانه جعل الكواكب السيارة سبعة وجعل الأرضين سبعا ونحو ذلك .

وهؤلاء الأئمة السبعة هم . على بن أبى طالب والحسن بن على والحسين بن على وعلى بن الحسين الملقب بزين العابدين ومحمد بن على وجعفر بن محمد الصادق والسابع هو القائم صاحب الزمان (٣٢) وهو محمد بن اسماعيل (٣٣) .

ومحمد ابن اسماعيل عنده علم المستورات وبواطن المعلومات لا يمكن ان توجد عند أحد غيره وأن عنده أيضا علم التأويل ومعرفة تفسير ظاهر الأمور وعنده سر الله تعالى فى وجه تدبيره المكتوم واتقان دلالته على كل أمر يسأل عنه فى جميع المعدومات وتفسير المشكلات وبواطن

---

(٣١) سوسنة سليمان : جرجيس ص ٢١٨ .
(٣٢) سوسنة سليمان : جرجيس ص ٢٢٠ ، ٢٢٢ .
(٣٣) تأويل الدعائم :

الظـاهر كلـه والتأويلات وتأويل التأويلات وان دعاته الوارثون لذلك كله (٣٤) .

وبعدها يحاول الداعى أن يشككه فى النبوات .

أتدرى عن محمد ﷺ فيقول نعم محمد رسول الله خرج من مكة وادعى النبوة وأظهر الرسالة وعرض المعجزة فيقول ليس هذا الذى تقول الا كقول هؤلاء الحمير يعنون به المؤمنين من أهل الاسلام . انما محمد أنت فيستعيذ السامع ويقول : لست أنا محمدا . فيقول له الله تعالى وصفه فى القرآن (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) (٣٥) .

وهؤلاء الحمير يقولون من مكة . فيقول له الغر على أى معنى تقول أنا محمد ؟ فيقول . الله خلقك وصورك خلقة محمد فالرأس بمنزلة الميم واليدان بمنزلة الحاء والسرة بمنزلة الميم والرجلان بمنزلة الدال وكذلك أنت عينك هى العين والأنف هى اللام والفم هى الياء ثم يقول ان الله ما خلق شيئا الا على صورة محمد وعلى حتى الفأرة على هذه الصورة ويوهمه بأن قول القائل محمد ﷺ وعلى رضى الله عنه لا لشـخص من الأشخاص (وانما هو لفظ يطلق على جميع الأفراد) .

وكذلك يقولون : ان المراد باثبات الذات يرجع الى نفسك ويؤولون عليه قوله تعالى « فليعبدوا رب هذا البيت » (٣٦) ويقولون الرب هـو الروح والبيت هو البدن . يمهدون بكلامهم هذا أن لا اله ولا بيت سوى هذا البدن على التصوير الذى صوره حتى يقرروا عنده أن لا تكليف عليه ولا قطع له عن الراحة البشرية (٣٧) .

---

(٣٤) سوسنة سليمان : جرجيس ص ٢١٩ .
(٣٥) سورة التوبة : أية ١٢٨ .
(٣٦) سورة قريش : آية رقم (٣) .
(٣٧) التبصير فى الدين : الاسفراينى ص ٨٨ .

السادس — التدليس :

بعد تأكيد العهد عليه لا يسمح ببث الاسرار اليه دفعة واحده ولكن بتدرج يراعى فيه أمور :

أولا : أنه يقتصر فى أول وهله على ذكر قاعدة المذهب . ويقول : منار الجهل تحكيم الناس عقولهم الناقصة وآرائهم المتناقضة واعراضهم عن الأتباع والتلقى من أصفياء الله وأئمته وأوتاد أرضه الذين هم خلفاء رسوله من بعده الذين أودعم الله سره المكتوم ودينه المخزون وكشف لهم بواطن هذه الظواهر وأسرار هذه الأمثلة وان الرشد والنجاة من الضلال بالرجوع الى القرآن الكريم وأهل البيت ولذلك قال عليه السلام لما قيل ومن أين يصرف الحق بعدك فقال : ألم أترك فيكم القرآن وعترتى واراد به أعقابه فهم الذين يطلعون على معانى القرآن (٣٨) .

والله تعالى لم يرض فى اقامة حقه وما شرعه لعباده الا أن يأخذوا ذلك عن أئمة نصبهم للناس واقامهم لحفظ شريعته على ما أراده الله تعالى (٣٩) فيظهرون له ما يشبه أن يكون ظاهرة دين الاسـلام حتى لا يبادر الى الانكار عليهم ويستقر مع ذلك مقدار من خرافاتهم ثم يلقون الأمر اليه درجة درجة فيسلخونه من الدين سلخا (٤٠) .

الثانى : أن يحتال لابطال المـدرك الثانى من مدارك الحق وهـو ظاهر القرآن فان طالب الحق اما أن يفزع الى التفكير والتأمل والنظـر فى مدارك القول كما أمر الله سبحانه وتعالى به فيفسد نظر العقل عليه بايجاب التعليم والاتباع أو يفزع الى ظواهر القرآن والسنة . ولو صرح له بأنه تلبيس ومحدث لم يسمع منه فليسلم له لفظه ولينتزع عن قلبه معناه بأن يقول : (هذا الظاهر له باطن هو اللباب والظاهر قشر بالاضافة

---

(٣٨) فضائح الباطنية : الغزالى ص ٢٩ ، ٣٠ .

(٣٩) خطط المقريزى : المقريزى ص ٢٢٥ .

(٤٠) سوسنة سليمان : نوفل بن جرجيس ص ٢٢٠ .

اليه يقنع به من تتاعد به القصور عن درك الحقائق حتى لا يبقى له عاصم من عقل ومستروح من نقل (٤١) .

الثالث : ألا يظهر من نفسه أنه مخالف للأمة كلها وانه منسلخ عن الدين والنحلة اذ تنفر القلوب عنه ولكن يعزى هذا الى أبعد الفرق عن المسلك المستقيم وأطوعهم لقبول الخرافات ويتستر بهم ويتجمل بحب أهل البيت . وهم الروافض ..

الرابع : أن يقدم فى أول كلامه أن الباطل ظاهر والحق دقيق بحيث لو سمعه الأكثرون لانكروه ونفروا عنه وأن طلاب الحق والقائلين به من بين طلاب الجهل أفراد وآحاد ليهون عليه التميز عن العامة فى انكار نظر العقل وظواهر ما ورد به النقل .

الخامس : أن رآه نافرا عن التفرد عن العامة فيقول له (انى مفشن اليك سرا وعليك حفظه) فاذا قال نعم قال ان فلانا وفلانا يعتقدون هذا المذهب ولكنهم يسرونه ، ويذكر له من الأفاضل من يعتقد المستجيب فيه الذكاء والفطنة وليكن ذلك المذكور بعيدا عن بلده حتى لا يتيسر له المراجعة كما جعلوا الدعوة بعيدة عن مقر امامهم ووطنه فانهم لو أظهورها فى جواره لافتضحوا بما يتواتر من أخباره وأحواله .

السادس : أن يمنيه بظهور شوكة هذه الطائفة وانتشار أمرهم وعلو رأيهم وظفر ناصريه بأعدائهم واتساع ذات يدهم ووصول كل واحد منهم الى مراده حتى تجتمع لهم سعادة الدنيا والآخرة ويعزى بعض ذلك الى النجوم وبعضه الى الرؤيا فى المنام ان أمكنه وضع منامات تنتهى الى المستجيب على لسان غيره .

السابع : ألا يطيل الداعى اقامته فى بلد واحدة فانه ربما اشتهر أمره وسفك دمه (٤٢) .

---

(٤١) فضائح الباطنية : الغزالى ص ٢٩ .
(٤٢) فضائح الباطنية : الغزالى ص ٦٩ وما بعدها .

السابعة ــ التلبيس :

وهو تمهيد مقدمات يراعون فيها حال المدعو لتقع تعاليمهم منه موقع القبول (٤٣) ويرسخ ذلك فى نفسه مدة ثم يستدرجه منها بنتائج باطلة كقولهم ان أهل النظر لهم أتاويل متعارضة الأحوال متساوية وكل حزب بما لديهم فرحون (٤٤) .

الثامنة ــ الخلع :

وهو الطمأنينة الى اسقاط الأعمال البدنية (٤٥) فالخلع يختص بالعمل فاذا أفضوا بالمستجيب الى ترك حدود الشرع وتكاليفه وصلت الى درجة الخلع .

التاسعة ــ السلخ :

وهو يختص بالاعتقاد الذى هو خلع الدين فاذا انتزعوا ذلك سموه سلخا وسميت هذه الرتبة (البلاغ الأكبر) (٤٦) .

بهذا الأسلوب الخبيث وبتلك المراتب كانت الباطنية تنفذ الى قلوب جهلة العوام وكانت تحرك فيهم الغرائز وتثير الشهوات . لتخرجهم عن الدين ومن خلال العرض السابق اتضحت أساليبهم وتكشفت حقيقة أغراضهم الخبيثة وسقط القناع السرى الذى تسربلت به الباطنية وحولته الى عقيدة فى نفوس أتباعها وصبغت به حياتهم وحركتهم .

وفى رأيى ان الباطنية حينما أعياها الظهور أو المجاهرة بحرب الاسلام والمسلمين سلكت هذا المسلك الخبيث وهى تهدف فيما تهدف الى :

---

(٤٣) التفسير والمفسرون : د. الذهبى ص ٢٣٧ .
(٤٤) فضائح الباطنية : الغزالى ص ٣٢ .
(٤٥) التفسير والمفسرون : د. الذهبى ص ٢٣٧ .
(٤٦) فضائح الباطنية : الغزالى ص ٣٢ .

١ — انقسام المسلمين الى فرق واذكاء نار الخلاف بينهم وشغلهم بحروب داخلية حتى لا يتفرغوا لنشر الاسلام .

٢ — هدم مبادىء الاسلام والتشكيك فيها انتقاما لعقائدهم السابقة .

٣ — التشكيك فى أهل السنة واعلان الحرب عليهم لتمسكهم بالنص .

وعلى أى حال فقد كانت حركتهم خبيثة ومخططة . فى حالتى الفشل والنجاح . فاذا فشلت حركتهم وانكشف أمرهم . فقد كسبوا الجولة الأولى وهى انقسام المسلمين واذا نجحت حركتهم فقد كسبوا كل الجولات وهى :

١ — تمزيق وحدة المسلمين .

٢ — الوصول الى السلطة والتحكم فى المسلمين .

٣ — تشويه مبادىء الدين واخراجها عن ظواهرها الى بواطن لا تمت الى الدين بصلة .

ومن الواضح أن الباطنية كانت تستهدف الاسلام فى المقام الأول وكانت تنتهز الفرص وتعد العدة للانقضاض على الاسلام والمسلمين .

واستغلت الانتساب الى آل البيت قناعا تدخل به على المسلمين والامامة سلاحا لتفجير الخلافات بين صفوفهم وتمزيق وحدتهم . تحت ادعاء لا أساس له ولا دليل لهم عليه . وسوف نتعرض فى الباب التالى بالتفصيل لموقفهم من الامامة ثم نميط اللثام عن خبث مقصدهم وبطلان مدعاهم .

الباب الثانى

نظرية الامامة عند الباطنية

الفصل الأول

الامـــامة

تعريفها • وظيفتها • شروطها • مفهومها

تعتبر الامامة من أبرز القضايا التى أثارت من حولها دخان التطاحن والتصارع والاختلاف فى البيئة الاســــلامية وكان المفجر الأول للاختلاف والتشرزم غلاة الشيعة . كما كان لمفهوم الامامة لدى الباطنية أثره البالغ فى تعميق هوه الاختلاف والتمزق بين صفوف المسلمين من جهة . وانقسام الشيعة وتفرقهم من جهة أخرى . فالباطنية تحرم جماهير المسلمين كما تحرم الفروع الأخرى من الشيعة من غير ولد اسماعيل من حق تولى الامامة وتحرمها عليهم وتقصرها فى عقب اسماعيل وتعتبر خروجها عنهم خروج عن الشرع وسوف نتعرض لهذا بالتفصيل بعد الفراغ من تعريف الامامة وتحديد وظيفتها وشروطها ومفهومها .

تعـــريف الامامة :

الامامة رياسة عامة فى أمور الدين والدنيا لشخص من الأشخاص . فقيد العموم احترز به عن القاضى والرئيس وغيرها والقيد الأخير احترز به عن كل الأمة اذا عزلوا الامام عند فسقه فان الكل ليس شخصا واحدا ونقض هذا التعريف بالنبوة (١) .

وهذا التعريف يبعد بنا عن المعنى « الوظيفى » للامامة ... الى

---

(١) المواقف : الايجى ص ٣٤٥ جـ ٨ .

المعنى الشخصى (٢) ولذا نجد الايجى يعقب على هذا التعريف بقوله والأولى أنَ يقال ،

هى خلافة الرسول فى اقامة الدين وحفظ حوزه الله بحيث يجب اتباعه على كافة الأمة .

وبهذا القيد الأخير يخرج من ينصبه الامام فى ناحية كالقاضى مثلا ويخرج المجتهد اذا لا يجب أتباعه على الأمة كافة بل على من قلده خاصة ويخرج الأمر بالمعروف (٣) والفائدة فى هذا التعريف أنه بعد بالامامة عن الناحية الشخصية (٤) .

لأن التعريف الأول جعلها رياسة عامة وهـو بهذا أعطاها البعد الشخصى وابتعد بها عن وظيفة الامام ، وحتى نقترب منَ المعنى الحقيقى لوظيفة الامام نقدم تعريفا ثالثا للامامة لابن خلدون ،

يقول ابن خلدون . هى حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعى فى مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة اليها اذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع الى اعتبارها بمصالح الآخرة فهى فى الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع فى حراسة الدينَ وسياسة الدنيا به (٥) وابن خلدون هنا لـم ينظر الى مركز الامام نفسه ولم يلتفت الى الناحية الشخصية مطلقا ولكنه ركز نظريه فى المعنى الوظيفى للامامة (٦) ولهذا كان تعريف ابن خلدون هو أدق التعاريف وهو ما حفزنى على اختياره وترجيحه على غيره لانه لم يحصر الامامة فى الدائرة الشخصـيـة للامام ولكنه ركز على المعنى الوظيفى للامامة .

---

(٢) النظريات السياسية : ضياء الدين الريس ص ١٢٢ .
(٣) المواقف : الايجى ص ٣٤٥ جـ ٨ .
(٤) النظريات السياسية : الريس ص ١٢٢ .
(٥) مقدمة ابن خلدون : ابن خلدون ص ٦٨٨ .
(٦) النظريات السياسية : د. ضياء الدين الريس ص ١٢٣ .

ولهذا نرى العقاد جعل الامامة أعم من حق السيادة (الرئاسة) لأنه فى جانب التشريع والتقعيد مستمد من أوامر الله وسنة رسول الله واجتهاد أولياء الأمر واجتهاد الجماعة الاسلامية (٧) .

وظيفة الامامة :

من خلال التعريفات السابقة اتضحت المعالم الأساسية لوظيفة الامام والامامة ، فالامامة هى حراسة الدين دفاعا عنه وتسلحا به وحمل الناس على العمل بما جاء به الدين ورد الحقوق الى أهلها واقامة العدل بين الأفراد وتنظيم حياتهم وفق تعاليم الدين بما يضمن لهم السعادة فى الدنيا وحسن ثواب الآخرة .

ويحدد لنا الامام النسفى وظيفة الامام والامامة فيقول .

ليقوم بتنفيذ أحكامهم واقامة حدودهم وسد ثغورهم وتجهيز جيوشهم وأخذ صدقاتهم وقهر المتغلبة والمتلصصة وقطاع الطريق واقامة الحج والأعياد وقطع المنازعات الواقعة بين العباد وقبول الشهادات على الحقوق وتزويج الصغار والصغائر الذين لا أولياء لهم وقسمة الغنائم (٨) .

ويقارن ابن خلدون بين نظام الامامة فى الاسلام وبين نظم الحكم الأخرى فيقول :

اذا كانت هذه القوانين مفروضة من الله بشارع يقررها أو يشرعها كانت سياسية دينية . واذا كانت هذه القوانين مفروضة من العقلاء وأكابر الدولة كانت سياسية عقلية نافعة فى الحياة الدنيا والآخرة .

فما كان منه بمقتضى القهر والتغلب واهمال القوة الغضبية ففى مراعاتها فجور وعدوان ومذموم عنده كما هو مقتضى الحكمة السياسية

---

(٧) حقائق الاسلام : العقاد ص ٢٥١ .

(٨) العقائد النسفية : النسفى ص ١٤٢ ، ١٤٣ .

واحكامها فمذموم أيضا لأنه نظر بغير نور الله (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) (٩) لأن الشارع أعلم بمصالح الكافة فيما هو مغيب عنهم من أمور آخرتهم واعمال البشر كلها عائدة عليهم فى معادهم من ملك أو غيره (١٠) ..

شروط الامامة :

يقول الايجى . أن يكونَ مجتهدا — فى الأصول والفروع ليقوم بأمر الدين

ذا رأى — وبصيره بتدبير الحرب والسلم

شجاعا — قوى القلب ليقوى على الذب عن الحوزة

وقيل لا يشترط هذه الصفات الثلاث (١١) . وقيل يجب أن يكون ذكرا — لأن الرجال أقوى من النساء على القيام بمهام الامامة العظمى بالغا — لقصور عقل الصبى واحتياجه الى من يكفله فضلا عن أن يكون كافلا للأمة .

عاقلا — لقصور عقل المجنون واحتياجه .

مسلما — لقوله تعالى « ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا » (١٢) .

عدلا — لئلا يجور .

حرا — لئلا تشغله خدمة السيد .

قرشيا — لقوله ﷺ (الأئمة من قريش) (١٣) .

ويذكر الايجى أن شرط القرشية عليه خلاف .

---

(٩) سورة النور : آية ٤٠ .
(١٠) المقدمة : ابن خلدون ص ٦٨٧ .
(١١) انظر المواقف وشرحه : الايجى ص ٣٤٩ ج ٨ .
(١٢) الحسام المسلول : الحضرمى ص ٥٤ .
(١٣) انظر المواقف وشرحه : الايجى ص ٣٥٠ ج ٨ .

اشترطه الأشاعرة والجبائية ومنعه الخوارج والمعتزلة . الا أنه يؤكد هذا الشرط عملا بقول الرسول ﷺ (الأئمة من قريش) .

ويذكر صفات أخرى عليها خلاف منها .

أن يكون هاشميا . وأن يكون عالما بجميع مسائل الدين وأن تظهر المعجزة على يده اذ به يعلم صدقه فى دعوى الامامة والعصمة وبه قال الغلاة (١٤) كما ذكر ابن حزم أن منهم من يقصرها فى أبناء فهر بن مالك (١٥) .

ولا يشترط صاحب الحسام المسلول فى الامام أن يكون هاشميا خلافا للشيعة ولا معصوما خلافا للأمامية (١٦) .

مفهوم الامامة :

لكى يتحدد مفهوم الامامة كما فهمها علماء الاسلام يجب أن نبدأ بتحديد معنى اللفظ الأول الذى استعمله المسلمون وهو خليفة وبين معنى اللفظ الذى شاع أخيرا بينهم وهو امام . لنتعرف على مدى التقارب بينهما أو التباعد وهل هما مترادفان أم لا . يقول ابن خلدون . أطلق المسلمون على أبى بكر رضى الله عنه بعد وفاة الرسول صلوات الله وسلامه عليه وبعد بيعته فى ثقيفة بنى سعد لفظ (خليفة) ويعنون به خليفة رسول الله ﷺ .

يقول ابن خلدون وأما تسميته خليفة فلكونه يخلف النبى فى أمته فيقال خليفة باخلافة وخليفة رسول الله ﷺ . واختلف فى تسميته خليفة الله فأجازة بعضهم اقتباسا من الخلافة العامة التى للآدميين فى قوله تعالى (انى جاعلك للناس اماما) (١٧) وقوله (وهو الذى جعلكم خلائف

---

(١٤) انظر المواقف وشرحه : الايجى ص ٣٥٠ جـ ٨ .
(١٥) الفصل : ابن حزم .
(١٦) الحسام المسلول : الحضرمى ص ٥٤ .
(١٧) سورة البقرة : آية ١٢٤ .

الأرض) (١٨) ومنع الجمهور منه لأن معنى الآية ليس عليه وقد نهى أبو بكر عنه لما دعى به وقال لست خليفة الله ولكنى خليفة رسول ا لله ﷺ ولأن الاستخلاف انما هو فى حق الغائب وأما الحاضر فلا (١٩) ٠

ولا يفرق أهل السنة بين لفظ خ ليفة وامام باعتبار أن الامامة أو الخلافة هى نيابة عن الرسول ولهذا يقول ابن خلدون ٠ تسمى خلافة وامامة والقائم به خليفة وامام (٢٠) ٠

ويتفق معه الشيخ ابو زهرة فى أنهما مترادفان فيقول ٠ المذاهب السياسية كلها تدور حول الخلافة وهى الامامة الكبرى وسميت خلافة لأن الذى يتولاها يكون الحاكم الأعظم للمسلمين يخلف النبى فى ادارة شئونهم وتسمى الامامة لأن الخليفة كان يسمى اماما ولأن طاعته واجبة ولان الناس كانوا يسيرون وراءه كما يصلون وراء من يؤمهم الصلاة (٢١) ٠

وهو نفس ما قرره ابن خلدون من قبل حينما جعل اللفظين مترادفين وعنى بتسميته اماما (تشبيها بامام الصلاة فى اتباعه والاقتداء به ولذا يقال الامامة الكبرى أما تسميته خليفة فلكونه يخلف النبى فى أمته (٢٢) ٠

ويرى الدكتور أحمد صبحى أن عقد الصلة بين أمامة الصلاة وأمرة المسلمين لم يحدث الا فى عصر متأخر فحينما قال الشيعة بولاية على رضى الله عنه ونص النبى ﷺ عليه التمس أهل السنة الدلائل والاشارات من النبى التى تنبىء بخلافة أبى بكر فكان قياسهم امارة المسلمين على امامة الصلاة ٠ وبالرغم من الترادف اللغوى بين الخلافة والامامة الا أن الصلة

---

(١٨) سورة الرعد : آية ١٦٥ ٠
(١٩) مقدمة ابن خلدون : ابن خلدون ص ٢١٢ ج ٢ ٠
(٢٠) المقدمة : ابن خلدون ص ٢١٢ ج ٢ ٠
(٢١) تاريخ المذاهب الاسلامية : أبو زهر ص ٣١ ٠
(٢٢) المقدمة : ابن خلدون ص ٢١٢ ٠

معقودة بينهما فى نظر أهل السنة بتشبيه الخلافة بالصلاة للرد على عقائد الشيعة ونقضها ودحضها (٢٣) .

والحقيقة ذات الأهمية الكبرى كما يراها الدكتور ضياء الريس فيما يتعلق بهذا اللقب أنه انما اختير للتمييز بين هذا النظام الذى اتفق المسلمون على اقامته فى يوم السقيفة والذى سيسمى باسم مشتق من مادة هذا اللفظ وهو الخلافة وكان نظاما جديدا فى جوهره وغاياته وبين سواه من أنظمة الحكم التى كانت معروفة وسائدة فى العالم فى ذلك الوقت اذ كانت تلك الأنظمة مؤسسة على القوة وتسير بسياسة القهر والجبروت وغايتها استعباد الشعوب أو استغلالها من أجل خدمة مصالح الحكام من أفراد وطبقات . وكان المثالان البارزان لأمثال تلك الحكومات هما دولتى الأكاسرة فى الشرق والقياصرة فى الغرب ولذا فان هذا النوع من نظم الحكم عرف عند المسلمين فى ذلك العصر بأنه الكسروية أو القيصرية وكان يقال له أيضا الملكويراد به هذا النوع من الحكم الاستبدادى أو المطلق الذى يمكن فيه للفرد أن يتحكم فى مصائر أمة ويحكمها وفق هواه دون أن يكون خاضعا لقانون يعلو ارادته فكان الملك فى هذه الصورة مبغضا الى الجماعة الاسلامية (٢٤) .

ويتضح من ذلك كله أن لفظ الامام يمكن أن يطلق على الخليفة أو الحاكم لأن الناس يأتمون به ويتخذونه مثالا أو قدوة دون حاجة الى أن يختص بتشبيهه بامامة الصلاة دون المعانى السابقة فضلا عن أن عقد الصلة بين الخلافة باعتبارها الامامة الكبرى والصلاة باعتبارها امامة صغرى هو لزوم ما ليس بلازم لأن سياسة الدنيا غير شئون العبادة (٢٥).

الا أن هناك سؤال ينبغى أن يجاب عنه وهو لماذا صارت مباحث

---

(٢٣) نظرية الامامة : أحمد حسين ص ٢٢ .
(٢٤) تاريخ النظريات الاسلامية : ضياء الريس ص ١٠٥ .
(٢٥) المذاهب الاسلامية : أبو زهرة ص ٣٧ .

هذا العلم تعرف باسم الامامة (٢٦) وتنوس لفظ الخلافة الذى استهل به المسلمون حياة الخلافة بعد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وأطلقوه على أبى بكر .

ويجيب الدكتور ضياء الدين الريس . بأن الشيعة هم الذين وضعوا الأساس . وأنه كان على غيرهم من أصل الفرق الأخرى ان يملأوا الفراغ الذى حدد بهذا الأساس وأن يقيموا البناء معتمدا عليه أو قل بتعبير آخر ، أن بحوث الفرق الأخرى انما كانت محصورة فى أنها أجوبة على الأسئلة التى يضعها الشيعة ، أو لم تكن الا مجموعة من الردود على الدعاوى التى كان الشيعة يبدأون باثارتها . بهذا شابهت صيغة الجواب صيغة السؤال وجاء الرد مطابقا للدعوى التى أريد منه أن يدفعها (٢٧) .

وأول من تكلم فى مذاهب الامامة وألف فى ذلك على بن اسماعيل بن ميثم التمار وله فى ذلك من الكتب كتاب الامامة وكتاب الاستحقاق .

وأما هاشم بن الحكم فهو الذى فتق الكلام فى الامامة وهذب المذهب وسهل طريق اللجاج فيه (٢٨) ويتضح من هذا أن أهل السنة لم يبتدعوا هذا اللجاج حول الامامة أو يختلقوا هذا الاسم كبديل للخلافة . ولكنهم اضطروا لاستعمال لفظ الامام — للرد على الشيعة وترتب على هذا أن هجر لفظ الخلافة .

يقول الدكتور أحمد صبحى ولما كان لفظ الخليفة غير مستعمل فى بحوث الشيعة لأنه يشير الى من اغتصبوا آل البيت حقوقهم — حسب اعتقادهم — فان بحوث أهل السنة قد خلت كذلك من استخدام هذا اللفظ . وهكذا أصبح الامام لدى مفكرى الاسلام سنيين وشيعيين يعنى صاحب الحق الشرعى بينما يشير لفظ الخليفة الى صاحب السلطة

---

(٢٦) تاريخ النظريات : الريس ص ١١٠ .
(٢٧) تاريخ النظريات : الريس ص ٨٨ .
(٢٨) نظرية الامامة : أحمد صبحى ص ٢٣ .

الفعلية . وهكذا شاع استخدام الامامة فى البحوث الكلامية حول موضوعات السياسة بينما اقتصر لفظ الخلافة على التاريخ السياسى (٢٩) .

وتبعا لعقيدة الباطنية ونظرتهم لمهمة الامام ووظيفته اختلف مفهوم الامامة الذى شاع فى البيئة الاســـلامية عن مفهومها عند الشيعة عموما والباطنية خاصة للآتى :

١ ــ انها ليست أصلا من أصول الاعتقاد بحيث يقضى النظر فيها الى قطع ويقين (٣٠) .

٢ ــ ليســت فريضــة من فرائض الدين يكتمل الايمان بها . كما يقول ــ النعمان بنى الاسلام على سبع دعائم ويعد أولها الامامة ويعتبرها أفضلها (٣١) اذا لو كانت فرضا كما يقول الشهرستانى لأنزل الله تعالى بها آية واضحة ولما أنكرها أحد ولأصبحت لازمة دينا كما لزمت الصلوات الخمس دينا (٣٢) .

٣ ــ هى نيابة عن صاحب الشرع .

يقول الأيجى هى خلافة الرسول فى اقامة الدين وحفظ حوزة الملة بحيث يجب اتباعه على كافة الأمة (٣٣) .

ويقول التفتازانى : الامامة رئاسة عامة فى أمر الدين والدنيا خلافة عن النبى ﷺ (٣٤) .

ويقول الماوردى : الامامة موضـــوعة لخلافة النبوة فى حراسة الدين وسياسة الدنيا (٣٥) وعرفها ابن خلدون .

---

(٢٩) نظرية الامامة : أحمد صبحى ص ٢٤ .
(٣٠) نهاية الاقدام : الشهرستانى ص ٤٨٩ .
(٣١) دعائم الاسلام : النعمان ص ٢ .
(٣٢) نهاية الاقدام : الشهرستانى ص ٤٨١ .
(٣٣) المواقف : الايجى ص ٣٤٥ .
(٣٤) الخلافة : محمد رشيد رضا ص ١٠ .
(٣٥) الأحكام السلطانية : الماوردى ص ٤ .

خلافة عن صاحب الشرع فى حراسة الدين وسياسة الدنيا به (٣٦).
ويتضح من خلال هذا مدى التباعد بين وجهات النظر من حيث النظرة الموضوعية لمفهوم الامامة لدى أهل السنة من جانب والباطنية والشـيعة من جانب آخر ».

فالامامة عند الباطنية والشيعة : أصل من أصول الاعتقاد وفرض من تركها لم تقبل منه سائر الأعمال يقول المؤيد — فلو أن رجلا عمل بفرائض الله تعالى وسنته التى جاء بها رسوله كلها ثم لم يقترن بعمله اعتقاد ولاية الرسول عليه الصلاة والسلام الآتى بها لم يغن عنه ما عمل فتيلا ولم يتبع غير أهل النار سبيلا (٣٧) .

ويجب أن يكون امامهم معصوما ومنصوصا عليه من الله — والامامة امتداد للنبوة يقول أحمد صبحى نقلا عن الكافى الامام زمام الدين ونظام المسلمين وصلاح الدنيا وعز المسلمين . الامامة أســاس الاسلام النامى وفرعه السامى — وبالامامة تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج وتوفير الفىء والصدقات وامضاء الحدود والاحكام ومنع الثغور والاطراف (٣٨).

وفى رأى أن الباطنية اسرفت كل الاسراف وبالغت فى حق الامام والامامة مما جعل نظريتهم نهجا غريبا وشاذا لا يتفق وروح الاســلام ويتصادم مع المبادىء والأسس الاسلامية .

---

(٣٦) المقدمة : ابن خلدون ص ٢١٢ .
(٣٧) أدب مصر : محمد كامل ص ٢٢ .
(٣٨) نظرية الامامة : أحمد صبحى ص ٢٥ .

الفَصْلُ الثَّانِى

وجوب الامامة على الله عند الباطنية

اتفق جميع أهل السنة وجميع المرجئة وجميع الشيعة (وبعض) الخوارج على وجوب الامامة وأن الأمة واجب عليها الانقياد لامام عادل يقيم فيهم احكام الله ويسوسهم بأحكام الشريعة التى أتى بها رسول الله ﷺ .

حاشا النجدات من الخوارج فانهم قالوا لا يلزم فرض الامامة وانما عليهم أن يتعاطوا الحق بينهم (١) .

الا أنهم اختلفوا ، أهى واجبة على الناس ؟ أم غير واجبة) أم واجبة على الله ؟

قال أهل السنة : نصب الامام عندنا واجب علينا سمعا .

وقالت المعتزلة : والزيدية . بل عقلا .

وقال الجاحظ والكعبى وأبو الحسين من المعتزلة : بل عقلا وسمعا معـا .

وقالت الامامية والاسماعيلية لا يجب نصب الامام علينا بل على الله سـبحانه .

الا أن الامامية أوجبوه عليه لحفظ قوانين الشرع عند التغير بالزيادة والنقصان والاسماعيلية أوجبوه ليكون معرفا بالله وصفاته ... لأنه لا بد عندهم فى معرفته من معلم .

---

(٣٩) الفصل : ابن حزم ص ١٠٦ جـ ٤ .

وقالت الخوارج لا يجب نصب الامام أصلا بل هو من الجائزات .

ومنهم من فصل . فقال بعضهم كهشام القوطى وأتباعه . يجب عند الآمن من الفتنة دون الفتنة . وقال قوم كأبى بكر الأصم وتابعيه بالعكس أى يجب عند الفتنة دون الأمن (٤٠) .

ولما كانت قضيتنا فى هذا البحث تدور حول الوجوب على الله أم لا وهى بهذا محصورة بين أهل السنة والشيعة .

فاننا سنتناول الآراء الأخرى بايجاز :

اولا ـ أهل السنة :

دليل أهل السنة على وجوبها على الله ووجوبها على الأمة سمعا .

١ ـ اتفاق الأمة بأسرها من الصدر الأول الى زماننا ان الارض لا يجوز أن تخلو عن امام قائم بالأمر (٤١) .

لأن نصب الامام واجب قد عرف وجوبه فى الشرع باجماع الصحابة والتابعين لأن أصحاب رسول الله ﷺ عند وفاته بادروا الى بيعة أبى بكر رضى الله عنه وتسليم النظر اليه فى أمورهم وكذا فى كل عصر من بعد ذلك ولم تترك الناس فوضى فى عصر من العصور واستقر ذلك اجماعا على وجوب نصب الامام (٤) وهو ما أكده من اول يوم افتقد فيه المسلمون رسول الله ﷺ أبو بكر رضى الله عنه فى خطبته المشهورة حين وفاة رسول الله ﷺ الا أن محمدا قد مات ولا بد لهذا الدين ممن يقوم به فبادر الكل الى قبوله (٥) وفى مبادرة الصحابة للبيعة .

---

(٤٠) المواقف : الايجى ص ٣٤٥ جـ ٨ .
(٤١) نهاية الاقدام : الشهرستانى ص ٤٧٩ .
(٤) مقدمة ابن خلدون : ابن خلدون ص ٦٦٩ جـ ٢ .
(٥) المواقف : الايجى ص ٣٤٦ .

وفى بيعة الامام على رضى الله عنه حينما فرغ من شـئونه دلالة قاطعة على ضرورة نصب الامام .

ثانيا — أن نصب الامام يتضمن اندفاع ضرر لا يندفع الا بنصبه ودفع الضرر عن النفس واجب بقدر الامكان وهذا يقتضى أن يجب على العقلاء أن ينصبوا اماما لأنفسهم (٦) لأن الامام وكيل الامة فى حماية الحقوق ولأن اجماع الأمة هو الحجة التى يستند اليها الامام (٧) واذا تقرر أن هذا المنصب واجب باجماع فهو من فروض الكفاية راجع الى اختيار أهل العقد والحل فتعين عليهم نصبه ويجب على الخلق جميعا طاعته لقـوله تعالى « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » (٨) طاعة تناسب هذه القداسة فلا حدود لها الا أن يأمر بالخروج من الدين أو بمعصـية الخالق فهو لا يطـاع اذ أنه ليس بامام . وقسطاس العهد بين الامام ورعيته كما جاء فى حديث عبادة بن الصامت . بايعنا رسول الله على السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى أثره علينا وعلى ألا نتنازع الأمر أهله وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخـاف فى الله لومة لائم (٩) فهو فرض واجب على المسلمين اقامته واتباع المنصـوب فرض واجب عليهم اذ لا بد لكافتهم من امام (١٠) يقوم بتنفيذ احكـامهم واقامة حدودهم وسد ثغورهم وتجهيز جيوشـهم وأخذ صدقاتهم وقهر المتغلبة والمتلصصة وقطاع الطريق واقامة الحج والأعياد وقطع المنازعات الواقعة بين العباد وقبول الشهادات القائمة على الحقوق وتزويج الصغار والصغائر الذين لا أولياء لهم وقسمة الغنائم (١١) .

---

(٦) الاربعين فى أصول الدين : الرازى ص ٤٢٧ ، ٤٢٨ .
(٧) حقائق الاسلام : العقاد ص ٢٤٧ .
(٨) المقدمة : ابن خلدون ص ٩٦٠ جـ ٢ .
(٩) حقائق الاسلام : العقاد ص ٢٥١ .
(١٠) نهاية الاقدام : الشهرستانى ص ٤٧٨ .
(١١) العقائد النسفية : ص ١٤٢ ، ١٤٣ .

ثانيا — الخـــوارج :

يقولون بعدم وجوبها اصلا . وعندهم . الامامة غير واجبة فى الشرع وجوبا لو امتنعت الأمة عن ذلك استحقوا اللوم والعقاب بل هى مبنية على معاملات الناس فان تعادلوا أو تعاونوا وتناصروا على البر والتقوى واشتغل كل واحد من المكلفين بواجبه وتكليفه استغنوا عن الامام ومتابعته فان كل واحد من المجتهدين مثل صاحبه فى الدين والاسلام والعلم والاجتهاد والناس كأسنان المشط فمن أين يلزم وجوب الطاعة لمن هو مثله (١٢) والواجب عندهم هو امضاء أحكام الشرع فاذا تواطأت الأمة على العدل وتنفيذ أحكام الله تعالى لم نحتج الى الامام ولا يجب نصبه (١٣) ويتولى الرد عليهم الشهرستانى فيقول :

ان الواجب عندنا بالشرع ومدرك هذا الواجب اجماع الأمة والاختلاف الذى ذكرتموه فى تعين الامام من أدل دليل على أن أصل الامامة واجب اذ لو لم يكن واجبا لما شرعوا فى التعين ولما اشتغلوا به كل الاشتغال (١٤)

كما الزمهم ابن خلدون واعتبرهم فارين من الملك بقوله :

انما هذا الفرار عن الملك بعدم وجوب هذا المنصب لا يغنيكم شيئا لأنكم موافقون على وجوب اقامة احكام الشريعة وذلك لا يحصـــل الا بالعصمة والشوكة والعصبية مقتضية بطبعها للملك فيحصل الملك وان لم ينصب امام وهو عين ما فررتم عنه (١٥) .

ثالثا — الامامية والاسماعيلية :

قالوا ان نصب الامام واجب على الله .

---

(١٢) نهاية الاقدام : الشهرستانى ص ٤٨١ ، ٤٨٢ .
(١٣) مقدمة ابن خلدون : ابن خلدون ص ٦٩٠ جـ ٢ .
(١٤) نهاية الاقدام : الشهرستانى ص ٤٨٧ .
(١٥) مقدمة ابن خلدون : ابن خلدون ص ٦٩١ .

(أ) أدلة الامامية (وسوف لا نطيل الوقوف معهم) .

١ ـ أن فى نصب الامام أعظم الفوائد والمنافع ... وهو أن يكون لطفا فى اداء الواجبات العقلية الا أن الظلمة خوفوه تخويفا احتاج معه الى الاختفاء والاستتار .

٢ ـ احتج الشريف الرضى على انه يجب على الله نصب الامام بأن قال :

نصب الامام لطف . واللطف على الله واجب فيلزم انيكون نصب الامام واجب على الله (١٦) .

الرد عليهم :

ان اللطف الذى ذكرتموه انما يحصل بامام ظاهر قاهر يرجى ثوابه ويخشى عقابه يدعو الناس الى الطاعة ويزجرهم عن المعاصى باقامة الحدود والقصاص للمظلوم من الظالم وأنتم لا توجبونه على الله كما فى هذا الزمان الذى نحن فيه فالذى توجبونه وهو الامام المعصوم المختفى ليس بلطف . اذ لا يتصور منه مع الاختفاء تقريب الناس الى الصلاح وابعادهم عن الفساد والذى هو لطف لا توجبونه عليه والا لزم كونه تعالى فى زماننا هذا تاركا للواجب وهو محال (١٧) .

(ب) الاسماعيلية :

يقولون : يجب على الله نصب الامام لأن فى نصبه أعظم الفوائد والمنافع وهو أن يكون هاديا الى معرفة الله (١٨) لانه لا سبيل الى معرفه الله الا بتعليم الرسول والامام فوجب على الله أن لا يخلى العالم عن المعصوم حتى ان ذلك المعصوم يرشد الخلق الى معرفة الله ولو

---

(١٦) الاربعين فى أصول الدين : الرازى ص ٤٢٩ .
(١٧) المواقف : الايجى ص ٣٤٨ جـ ٨ .
(١٨) الاربعين فى أصول الدين : الرازى ص ٤٢٩ .

جاز للناس أن يقيموا اماما لجاز لهم ان يقيموا نبيا لأن الله عز وجل قرن طاعة الأئمة بطاعة الأنبياء وجعلهم الحكام فى أممهم بعدهم بمثل ما كان الانبياء يحكمون به فيهم (١٩) .

ويفند آرائهم ويرد عليهم الرازى فيقول :

انه لو وجب على الله نصـــب الامام لكان الواجب اما نصب امام يتمكن المكلف من الرجوع اليه والانتفاع به فى دينه ودنياه أو الواجب نصب امام سواء كان كذلك أم لم يكن .

والقسمان باطلان فالقول بالوجوب باطل .

وانما قلنا أن القسم الأول باطل لأنه غير موجود ولو كان ذلك واجبا على الله تعالى لفعله ولكنه ما فعله . فان الواحد منا اذا احتاج الى هذا الامام فى أن يستفيد منه علما أو دينا أو يجلب بواسطته الى نفسه منفعة أو يدفع عنها مضرة فلو أتى بأى حيلة كانت لم يجد منه ألبتة أثرا ولا خيرا والعلم بذلك ضرورى وانما قلنا أن القسم الثانى باطل لأن المقصود من نصب هذا الامام اما منفعة دينية أو دنيوية ولا محال والانتفاع به يعتمد على امكان الوصول اليه فلما تعذر امكان الوصول اليه تعذر ذلك الانتفاع به واذا تعذر الانتفاع به لم تكن فى نصبه فائدة أصلا فكان القول بوجوب نصبه عبثا (٢١) وذلك لأنهم يقولون (بالتقية) وهو جواز اختفاء الامام (٢٢) وهذه النزعة الباطنية لا تتوافق وروح الاسلام فضلا عن تهافتها وعدم وجود دليل لهم عليها . ونحن وان اتفقنا معهم فى وجوب نصب الامام لأن فى نصبه منافع كثيرة ودفع لأضرار محتملة ولهذا أوجب علماء الاسلام على الناس أن يقيموا لانفسهم اماما يقيم العدل بينهم ويرفع الظلم وينفذ احكام الشرع .

---

(١٩) الاربعين فى أصول الدين : الرازى ص ٤٢٧ .
(٢٠) دعام الاسلام : النعمان ص ٤٢ .
(٢١) الاربعين : الرازى ص ٤٢٩ .
(٢٢) النظريات الاسلامية : ضياء الريس ص ١٦٦ .

الا أننا نختلف معهم كل الاختلاف فى دعواهم انها واجبة على الله لأنها لو كانت واجبة علـى الله لفعلها كما أنها ليسـت من أركان الدين ولا يترتب على تركها هدم الدين .

كما لا نتفق معهم فى أن دور الامام هو دور الرسول فى التعريف بالله . وذلك لأن الرسول اختاره الله سـبحانه وتعالى وأرسله ليعرف الناس طريقهم الى الله ويهديهم اليه بما جاء به من الشريعة . فالتعريف بالله تم على يد الرسول .

وما الامام الا نائب عن الرسول فى حفظ الشرع وتنفيذ أوامره ورعاية الحقوق .

فكيف نسوى بين دور الرسول الذى اختاره الله ليكون هاديا اليه وبين دور الامام الذى يقيمه الناس ليراعى تطبيق العدل بينهم وفق ما جاءت به الشريعة .

كمـا أرفض قولهم أن الناس لو أمكنهم أن يقيموا اماما لأنفسـهم (لأمكنهم أن يقيموا نبيا لأنفسهم) لبعد هذا القول عن الواقع وتصادمه مع العقل لأن التاريخ سطر ويسطر ما يقوم به الناس فى كل المجتمعات والأمم من اختيار أئمة وحكام لهم .

فى الوقت الذى لا يمكنهم أن يتطاولوا أو يصـلوا يوما أن يقيموا فيه نبيا للفرق الشاسع بين المرتبتين .

فمرتبة النبوة اصطفاء واختيار من الله وقد ختم الله أنبياءه بمحمد ﷺ .

أما مرتبة الامامة فهى اختيار من الناس وللناس حق عزله اذا ظلمهم وشتان ما بين هذا وذاك .

الفصل الثالث

النص على الامامة عند الباطنية

قبل أن نعرض لآراء الباطنية نقدم آراء الفرق الأخرى وموقفهم من النص على الامامة حتى تتحدد معالم القضية .

والامامة عموما تثبت بالنص من الرسول ومن الامام السابق بالاجماع (١) .

هذا اذا وجد النص من الرسول أو من الامام السابق دون لبس فيه مع كونه نصا صريحا لا يقبل التأويل . فاذا لم يتوفر وجود نص من الامام السابق فماذا يكون ؟

يتوقف الاسماعيلية الباطنية . تبعا لعقيدتهم عند النص ويستدلون بآيات من القرآن الكريم وبأقوال من السنة المطهرة وبأدلة عقلية اذ لا بد في الامامة عندهم كما يقول النعمان :

من نص وتوقيت من نبى الى امام ومن امام الى امام (٢) والامامة فى الدين عندهم واجبة عقلا وشرعا (٣) .

وهى تثبت ببيعة أهل الحل والعقد عند أهل السنة والجماعة والمعتزلة والصالحية من الزيدية (٤) وأرجعها الرازى الى أمور ثلاثة :

---

(١) المواقف وشرحه : الايجى ص ٣٥١ جـ ٨ .
(٢) دعائم الاسلام : النعمان ص ٤٣ جـ ١ .
(٣) نهاية الاقدام : الشهرستانى ص ٤٨٤ .
(٤) المواقف وشرحه : الايجى ص ٣٥١ .

النص . والاختيار . والدعوة . وهو أن يباين الظلمة من هو من أهل الامامة ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويدعو الناس الى اتباعه ولا نزاع لاحد فى أن النص طريق الى امامة المنصوص عليه وأما الطريقان الآخران منفاهما الامامية .

واتفق أصحابنا والمعتزلة والخوارج والصالحية من الزيدية على أن الاختيار طريق اليها أيضا وذهب سائر الزيدية الى أن الدعوة أيضا طريق اليها ولم يوافقهم على ذلك سوى الجبائى (٥) .

ورغم هذا فان الباطنية تتمسك بالنص على الامام وتدعى أن الله تعالى نص فى كتابه الكريم على امامة على بن أبى طالب والأئمة من بعده كما تدعى أن السنة المطهرة نصت أيضا على امامة على بن أبى طالب .

وتدليلا على معتقدهم حو[illegible] تأويل آيات الكتاب الكريم والسنة المطهرة .

الأدلة النقلية فى النص على الامامة عند الباطنية :

أولا — الآيات القرآنية :

الدليل الأول :

قوله تعالى : انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون (٦) روينا عن أبى جعفر بن على أن رجلا قال له يا ابن رسول الله ان الحسن البصرى حدثنا أن رسول الله ﷺ قال :

ان الله أرسلنى برسالة فضاق بها صدرى وخشيت أن يكذبنى الناس فتواعدنى ان لم أبلغها أن يعذبنى .

قال أبو جعفر فهل حدثكم بالرسالة قال : أما والله انه ليعلم ما هى ولكنه كتمها متعمدا . قال الرجل يا ابن رسول الله جعلنى الله فداك

(٥) المواقف وشرحه : الايجى ص ٣٥٣ ، ٣٥٤ .
(٦) سورة المائدة : آية ٥٥ .

وما هى . فبدأ الامام جعفر يشرح له ما كتمه عنه الحسن البصرى مسئولا بأن الله حينما فرض الفرائض أخذ الناس يسألون عنها فريضة فريضة حتى وصل الى الامامة فقال وأمر الله عز وجل بالولاية فقال :

انما وليكم الله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون .

ففرض ولاية ولاة الأمر فلم يدر ما هى فأمر الله نبيه عليه السلام أن يفسر لهم ما الولاية مثلما فسر لهم الصلاة والزكاة والصوم والحج فلما أتاه ذلك من الله ضاق به وراجع ربه فأوحى اليه .

« يا أيها الرسول بلغ . ما أنزل من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس » (٧) .

فصدع بأمر الله وقام بولاية أمير المؤمنين على بن أبى طالب (رضى الله عنه) يوم غدير خم ونادى الصلاة جامعة وأمر أن يبلغ الشاهد الغائب وكانت الفرائض تنزل منها شيئا بعد شىء تنزل الفريضة ثم تنزل الأخرى .

فأنزل الله عز وجل « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » (٨) عن الثعلبى أن هذه الآية قد أجمعوا أنها نزلت فى حق على كما قال فى اسناده الى أبى ذر سمعت رسول الله ﷺ بهاتين والا صمتا ورأيته بهاتين والا عميتا يقول : على قائد البرره وقاتل الكفرة فمنصور من نصره ومخذول من خذله اما انى صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الظهر فسأل سائل فى المسجد فلم يعطه أحد شيئا فرفع السائل يده الى السماء وقال اللهم انك تشهد أنى سألت فى مسجد رسول الله ﷺ فلم يعطنى أحد شيئا وكان على راكعا فأومأ بخنصره اليمنى وكان متختما فيها فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم (٩) .

---

(٧) سورة المائدة : آية ٦٧ .

(٨) دعائم الاسلام : النعمان ص ١٤ ، ١٥ .

(٩) منهاج السنة : ابن تيمية ص ٢ ج ٤ .

وهذه القصة تتنافى كل التنافى مع تعاليم الاسلام ومع الخشوع ومع ما كان يتحلى به على رضى الله عنه من الخشوع والزهد والتذلل لله فضلا على أن اعطاء الخاتم للسائل لا يعتبر زكاة بل يعتبر صدقه لانه شىء بسيط .

ولهذا يكذب ابن تيمية الثعلبى ويؤكد أن عليا لم يتصدق بخاتمه فى الصلاة وأجمع أهل العلم بالحديث على أن القصة المروية فى ذلك من الكذب الموضوع (١٠) .

كما يهاجم ابن تيمية أيضا الثعلبى فيقول دعواه الاجماع انها نزلت فى حق على من أعظم الدعاوى الكاذبة بل وأجمع أهل العلم بالنقل أنها لم تنزل فى على بخصوصه (١١) ويؤكد هذا القول ابن حجر ويستدل بما قاله الحسن المثنى فى هذه الآية فيقول :

قال الحسن وناهيك به جلالة وامامة أنها عامة فى سائر المؤمنين ويرافقه أن الباقر وهو من سئل عمن نزلت فيه هذه الآية أهو على فقال على من المؤمنين (١٢) .

وهروبا من السهام الموجهه الى الباطنية والأدلة التى تجمع على تكذيبهم ونفى واقعة التصدق بالخاتم فى الصلاة يحاول النعمان أن ينفى نسبة هذا القول عن الباطنية فيقول : أنه من أقوال العامة (١٣) .

ثم يسجل ابن تيمية التناقض والاضطراب على الثعلبى الذى يزعم أن هذه الآية نزلت فى حق على برواية أخرى ينقلها عن الثعلبى انه قال بنزولها فى غير على فيقول عن الثعلبى فى تفسيره أن ابن عباس يقول نزلت فى أبى بكر ونقل عن عبد الملك قال سألت أبا جعفر قال هم المؤمنون

(١٠) المنهاج السنة : ابن تيمية ص ٤ ج ٤ .
(١١) منهاج السنة : ابن تيمية ص ٤ ج ٤ .
(١٢) الصواعق المحرقة : ابن حجر ص ٤١ .
(١٣) دعائم الاسلام : النعمان ص ١٦ .

قلت فان ناسا يقولون هو على قال فعلى من الذين آمنوا وعن الضحاك مثله (١٤) ويتضح من هذا أن الثعلبى الذى كان يدعى أنها نزلت فى حق على ويدعى الاجماع فى ذلك قد تناقض مع نفسه وكذب نفسه بنفسه .

كما اتضح أن الآية عامة فى جميع المؤمنين .

ويستدل ابن حجر على عمومها بتكرار صيغة الجمع فكيف يحمل على الواحد (١٥) ويبدو أن الباطنية كما حاولوا الهروب من قصة الخاتم خوفا من سهام أئمة المسلمين قد حاولوا أيضا أن يسلكوا مسلكا وسطا يبتعد بهم عن دائرة أهل السنة وأئمة المسلمين الذين يجعلونها عامة فى جميع المؤمنين ولا يقترب بهم من موقف غلاة الشيعة الذين يقصرونها على على . يقول النعمان لم يرد به جميع المؤمنين لأن الخطاب بذلك لمن أوجب عليه ولاية من أوجب ولايته منهم وانما أراد بالمؤمنين ها هنا الأئمة الذين قرن طاعتهم بطاعته وطاعة رسوله بقوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم (١٦) كما قرن ولايتهم بولايته وولاية رسوله (١٧) ولو كان المراد بالولاية ها هنا وبالمؤمنين جميع من آمن بالله ورسوله لم يدر من المأمور منهم بالسمع والطاعة ومن يجب ذلك لهم من جميعهم ولكانت طاعة جميعهم واجبة على جميعهم وأهواؤهم مختلفة (١٨) .

وهذا يدعونا الى بحث كلمة المولى فى لغة العرب التى تنزل بها القرآن الكريم لنقف على حقيقة المراد منها .

المراد بالمولى فى اللغة :

قالوا . المراد بالمولى هنا الأولى بالتصرف كما فى قولنا ولى القاصر فيكون المراد بالمولى فى الآية المتصرف فى الناس والقائم بأمورهم (١٩)

---

(١٤) منهاج السنة : ابن تيمية ص ٤ ج ٤ .
(١٥) الصواعق المحرقة : ابن حجر ص ٤١ .
(١٦) سورة النساء : آية ٥٩ .
(١٧) تأويل الدعائم : النعمان ص ٦٣ .
(١٨) تأويل الدعائم : النعمان ص ٦٢ .
(١٩) نظرية الامامة : أحمد صبحى ص ١٨٧ .

الا أن حمل المولى على ما زعموه (وهو الأولى بالتصرف) لا يناسب ما قبلها (الآية) وهو لا تتخذوا اليهود ... الخ اذا الولى فيها بمعنى الناصر جزما لا ما بعدها وهو من يتولى الله ورسوله ... الخ .

اذ التولى هنا بمعنى النصرة فوجب حمل ما بينهما عليها أيضا لتتلائم أجـــزاء الكلام (٢٠) ولو أراد الولاية التى هى الامارة لقال انما يتولى عليكم الله ورسوله والذين آمنوا ولم يقل ويتولى الله ورسوله .

فانه لا يقال لمن ولى عليكم لا أنهم يقولون تولوه بل يقـــال تولى عليهم (٢١) وبهذا يتضح أن المراد بالمولى فى هذه الآية هو بمعنى النصرة .

اشتمل هذا الدليل الذى يستدل به الباطنية على امامة على كرم الله وجهه وعلى الأئمة من بعده على ثلاث آيات من الكتاب العزيز وكل منها يعتبر دليلا عند الباطنية على امامة على رضى الله عنه .

وقد جمعها حديث الصـــادق وحدد مكان نزولها تبعا للواقعة التى يستند اليها الدليل وهى غدير خم .

وواقعة الغدير كانت فى الثامن عشر من ذو الحجة فى العام الثامن الهجرى بعد حجة الوداع لذا تجدنا مضطرين لبحث سبب نزول هذه الآيات لنصل الى نتيجة تحسم القول وتكشف عن كذب أدلتهم .

أولا ــ قوله تعالى :

« يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك » .

يقول ابن تيمية مجيبا عن هذا • بلغ ما أنزلَ اليك مِنَ ربك . هذا اللفظ عام فى جميع ما نزل اليه منَ ربه ولا يدل على شىء معين (٢٢) .

---

(٢٠) الصواعق : ابن حجر ص ٤١ .
(٢١) منهاج السنة : ابن تيمية ص ٨ ، ٩ ج ٤ .
(٢٢) منهاج السنة : ابن تيمية ص ١٤ ج ٤ .

وهذه الآية نزلت قبل ذلك وهى من أوائل ما نزل بالمدينة ومن قال أن المائدة نزل فيها شىء بعد غدير خم فهو كاذب باتفاق أهل العلم (٢٣). ولما كانت واقعة غديرخم بمكة وفى حجة الوداع وهذه الآية من أوائل ما نزل بالمدينة فان بين هذه الواقعة وبين نزول الآية زمن طويل فكيف يكتم رسول الله ﷺ أمر التبليغ كل هذه المدة ؟ وكيف يضيق صدر الرسول من أمـــر السماء ؟ وتصديق هذا القول الا يبعث على الشك فى أقوال الرسول ؟ والضيق من التبليغ وعدم التبليغ أليس خيانة ؟ ثم كيف ســـاغ لهم أن يصوروا الرسول صوات الله وسلامه عليه فى صورة الكاره للأمر المقصر فى التبليغ الكاتم لهذا السر حتى ينذره الله بالعذاب ويتوعده ان لم يبلغ ؟

وكأن بيت النبوة الطاهر بشفافيته وصدق ايمانه أحس بهذه المفتريات ولهذا قالت عائشة رضى الله عنها « من زعم أن رسول الله محمد كتم شيئا من الوحى فقد كذب والله يقول يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته » (٢٤) .

ثانيا : قوله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » انه قد ثبت فى الصحاح والمسانيد والتفسير أن هذه الآية (نزلت على النبى ﷺ وهو واقف بعرفه (٢٥)) وهذا كان قبل يوم غدير خم بتسعة أيام (٢٦) .

ومن هذا كله يتضح أن آية التبليغ نزلت بالمدينة والآية الثانية نزلت قبل يوم الغدير بتسعة أيام . واذا ما ثبت وهو ثابت قطعا فانه يزلزل واقعة الغدير ويهدم دلالتها كما يهدم زعمهم ويكشـــف عن الكذب والتلفيق والتناقض فى أقوالهم . لأنها لم تصرح بالامامة أو تشير الى تعين على رضى الله عنه .

---

(٢٣) منهاج السنة : ابن تيمية ص ٨٤ ، ٨٥ جـ ٤ .
(٢٤) منهاج السنة : ابن تيمية ص ٦٤ ز.
(٢٥) تفسير الطبرى : الطبرى ص ٥٢٤ جـ ٩ .
(٢٦) منهاج السنة : ابن تيمية ص ١٦ جـ ٤ .

الدليل الثانى : قوله تعالى « وأنذر عشيرتك الأقربين » (٢٧) .

عن على ابن أبى طالب أنه قال : لما نزل قول الله عز وجل « وأنذر عشيرتك الأقربين » جمع رسول الله ﷺ بنى عبد المطلب على فخذ شاه وقدح من لبن وأن فيهم يومئذ عشرة ليس منهم رجل الا يأكل الجزعة ويشرب الفرق وهم بضع وأربعون رجلا فأكلوا حتى صدروا وشربوا حتى ارتووا وفيهم يومئذ أبو لهب .

فقال لهم رسول الله ﷺ يا بنى عبد المطلب أطيعونى تكونوا ملوك الأرض وحكامها أن الله لم يبعث نبيا الا جعل له وصيا ووزيرا ووارثا وأخا ووليا فأيكم يكون وصيى ووارثى ووليى وأخيى ووزيرى فسكتوا فجعل يعرض ذلك عليهم رجلا رجلا ليس منهم أحد يقبله حتى لم يبق منهم أحد غيرى وأنا يومئذ من أحدثهم سنا .

فعرض على فقلت : أنا يا رسول الله فقال نعم أنت يا على فانصرفوا . قال أبو لهب لو لم يستدلوا على سحر صاحبكم الا بما رأيتم أتاكم بفخذ شاه وقدح من لبن فشبعتم ورويتم وجعلوا يهزءون ويقولون لأبى طالب قد قدم ابنك اليوم عليك (٢٨) .

ويروى صاحب الكشاف أنه لما صعد الصفا بدأ فناداهم فخذا فخذا ثم أنذرهم فقال : يا بنى عبد المطلب لو أخبرتكم أن بسفح الجبل خيلا أكنتم مصدقى قالوا نعم قال فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد (٢٩) فقال أبو لهب تبا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا فنزلت « تبت يدا أبى لهب وتب » (٣٠) .

---

(٢٧) سورة الشعراء : آية رقم ٢١٤ .
(٢٨) ودعائم الاسلام : النعمان ص ١٥ ، ١٦ جـ ٣ .
(٢٩) سورة المسد : أولها .
(٣٠) الكشاف : الزمخشرى ص ١٣١ جـ ٣ .

وهذه القصة لا تتمشى مع روح الاسلام ويظهر فيها التلفيق والوقائع التاريخية والموضوعية تكذبهم فيها كما وان الصحابة ومنهم على رضى الله عنه لم يذكروا هذا النص .

لذا لم يعترف الاسلام بهذه الواقعة وجاء موقف ابن تيمية في تفنيد حججهم وتكذيبها صورة صادقة لموقف الاسلام ومعبرة عن صدق ايمانه وغيرته على الدين فيقول :

١ — أن بنى عبد المطلب لم يبلغوا أربعين رجلا حين نزلت هـذه الآية فانها نزلت بمكة فى أول الأمر ولم يبلغوا أربعين رجلا مدة حياة النبى ﷺ .

٢ — أن الرجل منهم كان يأكل الجزعة ويشرب الفرق من اللبن كذب على القوم ليس بنو هاشم معروفين بمثل هذه الكثرة فى الأكل ولا عرف فيهم من كان يأكل الجزعة ولا يشرب فرقا .

٣ — ان قوله للجماعة من يجيبنى الى هذا الأمر ويؤازرنى عـلى القيام به يكن أخى ووزيرى ووصيى وخليفتى من بعدى كلام مفترى على النبى ﷺ لا يجوز نسبته اليه فان مجرد الاجابة الى الشهادتين والمعاونة على ذلك لا يوجب هذا كله فان جميع المؤمنين أجابوا الى هاتين الكلمتين وأعانوه على هذا الأمر وبذلوا أنفسهم (٣١) .

والرازى لا يرى فى هذه الآية نصا على الامامة فيقول :

انه لم يقل انه خليفتى من بعدى ولو قال ذلك لكانت نصا جليا والزيدية من الشيعة ينكرون النص الجلى على امامة على مع أنهم أشد الناس حبا لأمير المؤمنين (٣٢) .

---

(٣١) انظر منهاج السنة : ابن تيمية ص ٨٢ جـ ٤ .
(٣٢) نهاية العقول فى دارية الأصول : الرازى ص ٢٥ .

ولا تشير الآية الكريمة من قريب أو بعيد الى امامة على رضى الله عنه وليست نصا فى الامامة وانما هى محاولة مكشوفة من الباطنية تهدف الى تشويه النصوص المقدسة وانقسام المسلمين وبث أسباب الفـرقة بينهم .

الدليل الثالث : قوله تعالى : « انما أنت منذر ولكل قوم هاد » (٣٣)

يقول النعمان : اعتذر رسول الله ﷺ وفى كل زمان امام منا يهديهم الى ما جاء به فأول الهداة بعده على بن أبى طالب ثم الأوصياء من بعده واحدا بعد واحد (٣٤) وفصل الفخر الرازى ما قيل فى هذه الآية فقال : ليس لك الا الانذار وأما الهداية فمن الله ثم تناول بالعرض آراء المفسرين .

الأول : المنذر والهادى شىء واحد والتقدير انما أنت منذر ولكل قوم منذر على حدة ومعجزة كل واحد منهم غير معجزة الآخر .

الثانى : المنذر محمد ﷺ والهادى هو الله تعالى روى ذلك عن ابن عباس رضى الله عنه وسعيد بن جبير ومجاهد .

الثالث : المنذر النبى والهادى على على ما قال ابن عباس رضى الله عنهما وضع رسول الله ﷺ يده على صدره فقال أنا المنذر ثم أومأ الى منكب على رضى الله عنه وقال أنت الهادى يا على بك يهتدى المهتدون (٣٥) الا أن الرازى ذكر آراء المفسرين ولم يرجح رأيا منها .

ويرى الزمخشرى : أن لكل قوم هاد من الأنبياء يهديهم الى الدين ويدعوهم الى الله بوجه من الهداية (٣٦) ويقيم ابن تيمية موازنة بين هذه الآراء :

---

(٣٣) سورة الرعد .
(٣٤) دعائم الاسلام : النعمان ص ٢٢ ج ١ .
(٣٥) الفخر الرازى : الرازى ص ١٨٣ ج ٥ .
(٣٦) الكشاف : الزمخشرى ص ٣٥٠ ج ٢ .

فيرد على من قال ان معناه انما أنت منذر ولكل قوم هاد هو الله تعالى بأنه قول ضعيف وكذلك قول من قال أنت نذير وهاد لكل قوم (بأنه أيضا) قول ضعيف والصحيح أن معناه انما أنت نذير كما أرسلنا من قبلك نذيرا ولكل أمة نذير يهدى لهم أى يدعو كما فى قوله « وان من أمة الا خلا فيها نذير » (٣٧) وهذا قول جماعة من المفسرين مثل قتادة وعكرمه وأبى الضحى وعبد الرحمن بن زيد (٣٨) .

ويرفض ابن تيمية نسبة هذا القول الى رسول الله ﷺ فيقول :

فان قوله أنا المنذر وبك يا على يهتدى المهتدون ظاهر أنهم بك يهتدون دونى وهذا لا يقوله مسلم وان ظاهره أن الانذار والهداية مقسومة بينهما فهذا نذير لا يهتدى به وهذا هاد ولا يقوله مسلم والله سبحانه وتعالى جعل محمدا هاديا فقال وانك لتهدى الى صراط مستقيم صراط الله (٣٩) .

ان الاهتداء بالشخص قد يكون بغير تأميره عليهم كما يهتدى بالعالم وكما جاء فى الحديث الذى فيه أصحابى كالنجوم فبأيهم أقتديتم أهتديتم فليس هذا صريحا فى ثبوت الامامة (٤٠) ولا يرى جولد تسيهر فى هـذه دلالة على امامة على ولكنها تعنى الاعتراف بحجية على فى العلم فحسب لا الى حقه وحقوق بنيه السياسية (٤١) .

ومن الواضح أن الآية الكريمة لا تعنى بالهادى « على » وقد اتضح من كلام المفسرين ذلك لانه لو كان المراد « عليا وأخبار السماء صـدق لا تتخلف فان هذا يتصادم مع الوقائع التاريخية فى حياة على كـرم الله وجهه .

---

(٣٧) سورة فاطر : آية ٢٤ .
(٣٨) منهاج السنة : ابن تيمية ص ٣٩ جـ ٤ .
(٣٩) سورة الشورى : آية ٥٢ ، ٥٣ .
(٤٠) منهاج السنة : ابن تيمية ص ٣٨ جـ ٤ .
(٤١) منهاج السنة : ابن تيمية ص ٣٩ جـ ٤ .

فالمفهوم من الهادى هو الذى يهدى الناس وما حدث خلاف ذلك حتى حين توفى على رضى الله لم يجتمع الناس بل اختلفوا واتســـعت هوة الاختلاف وكان الأولى أن تكون هذه الفرصة هى فرصة الهداية والجمع لجميع المؤمنين .

كما أنه لم يحدث فى حياة من يدعون أنهم ائمة بعد « على » أن اجتمعت الأمة أو اهتدت بأحدهم بل كانت دائما تثار من حولهم الخلافات . حتى لزموا أخيرا الستر واختفوا عن الطلب . فبمن تحقق الهداية ؟ . وهل تخلف وعد السماء ؟ .

غير أن صاحب التحفة الاثنى عشرية يرى أن اشارة الآية الى على رواية ضعيفة فضلا عن كون الرجل هاديا لا يستلزم أن يكون اماما (٤٢) .

الدليل الرابع : قوله تعالى والسابقون (٤٣) .

يقول النعمان أنها نزلت فى على وبنيه وباستعراض أراء الثقات من أئمة المسلمين وتحديد معنى السابقون يتضح موقف الاسلام من تأويلاتهم .

يقول الألوسى : هم الذين سبقوا الى الايمان والطاعة عند ظهور الحق من غير تلعثم وتوان وروى هذا عن عكرمة ومقاتل : وأخرج بن مردوية عن ابن عباس قال : نزلت فى حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب النجار الذى ذكر فى يس وعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه وكل رجل منهم سابق أمته « وعلى » أفضلهم (٤٤) .

قال ابن سيرين هم الذين صلوا الى القبلتين .

وعن ابن عباس السابقون الى الهجرة .

وعن على كرم الله وجهة هم السابقون الى الصلوات الخمس .

---

(٤٢) مذاهب التفسير : جولد تسيهر ص ٢٦١ .
(٤٣) سورة الواقعة : آية ١٠ ، ١١ .
(٤٤) روح المعانى : الألوس ص ١١٤ جـ ٢٥ .

وعن الضحاك السابقون الى الجهاد .

وعن ابن جبير السابقون الى التوبة وأعمال البر (٤٥) .

ويرى الفخر الرازى أن السابقون الى الخيرات فى الدنيا هم السابقون الى الجنة فى العقبى (٤٦) وهم أصحاب الميمنة . ويؤكد عدم اطلاقها على الفرد ماذكره الكشاف والثلة الأمة من الناس الكثيرة (٤٧) .

والواضح من سياق الآية ومن خلال تفسير المفسرين أن المراد بالسابقين هم المجموعة الكبيرة سواء أكانوا سابقين الى الهجرة أو الى التوبة أو الى الطاعة .

أما قصرها على على فلم يقل به أحد غيرهم وهذا لا يتمشى مع سياق الآيات فالسابقون السابقون ثلة من الأولين .

والثلة كما قال الفخر الرازى الثلة الأمة من الناس الكبيرة وهى عموما لا تشير الى امامة أو نص على الامامة .

ولكى يستقيم التفسير لابد من القول أن السابقين هم المهاجرون والأنصار لقوله تعالى فى آية أخرى . والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار والقرآن يفسر بعضه بعضا (٤٨) وعلى هذا لا يجوز قصرها على الفرد لأن الثلة هى المجموعة الكبيرة وعموما هذه الآية لا تعتبر نصا فى الامامة ولا تشير من قريب أو من بعيد الى امامة على رضى الله عنه وخير دليل نرد به على الباطنية هو رد على بن أبى طالب نفسه حينما يفسر السابقون فى هذه الآية بأنهم السابقون الى الصلوات الخمس .

ولم يكتف الاسماعيلية بذلك بل ذهبوا فى تأويل كثير من آيات القرآن بدعوى أن الله تعالى يشير فيها الى على والأئمة من ذريته مثل قوله

---

(٤٥) انظر روح المعانى : الالوس ص ١١٤ جـ ٢٥ .
(٤٦) الفخر الرازى : الرازى ص ٤٣ جـ ٨ .
(٤٧) الكشاف : الزمخشرى ص ٥٢ جـ ٤ .
(٤٨) التحفة الاثنى عشرية : غلام محمد ص ١٠٨ .

تعالى « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكــون الرسول عليكم شهيدا » (٤٩) .

وقوله تعالى « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون » (٥٠).

وقوله تعالى « وأولى الأمر منكم » (٥١) .

وقوله تعالى « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظــالم لنفسه ومنهم مقتصــد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير » (٥٢) .

قال النعمان : ايای عنى بهذا والسابق منا الامام والمقتصد العارف بحق الامام والظالم لنفسه الشاك الواقف منا .

والعامة تزعم انها هى التى عنى الله عز وجل بقوله ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ولو كان كما زعموا لكانوا كلهم مصطفين ولكانوا كلهم فى الجنة كما قال عز وجل جنات عدن يدخلونها (٥٣) .

ومنها قوله تعــالى « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مــع الصادقين (٥٤) قال نحن الصادقون وايانا عنى بهذا .

وقوله تعالى « بل هو آيات بينات فى صـــدور الذين أوتوا العلم » قال ايانا عنى و « على » أولنا وأفضلنا وخيرنا بعد النبى ﷺ (٥٥) .

هذه الآيات وغيرها آيات كثيرة جدا حاولوا تأويلها فىحق الأئمة لتتناسب مع مفهوم الامامة عندهم وحق الأئمة فقد أولت جميع هذه الآيات بأن الاشارة فيها الى على بن أبى طالب والأئمة من أهل بيته الذين اصطفاهم الله واختارهم

---

(٤٩) سورة البقرة : آية ١٤٣ .
(٥٠) سورة العنكبوت : آية ٤٣ .
(٥١) سورة النساء : آية ٥٩ .
(٥٢) سورة فاطر : آية ٣٢ .
(٥٣) أدب مصر الفاطمية : محمد كامل حسن ص ٢٤ ، ٢٥ .
(٥٤) سورة التوبة : الآية ١١٩ .
(٥٥) سورة العنكبوت : الآية ٤٩ .

دون غيرهم من البشر « فمحمد » و « على » عندهم صنوان متشابهان فى كل الصفات الا فى مرتبة النبوة التى أطلقوا عليها اسم « مرتبة الاستيداع » فقد اختص بها محمد عليه الصلاة والسلام على حين اختص « على » بمرتبة الوصاية والامامة التى أطلقوا عليها مرتبة الاستقرار .

ولذلك يرون أن النبى ﷺ قال :

لم أزل أنا وأنت يا « على » من نور واحد ننتقل من الأصلاب الطاهرة الى الأرحام الزكية كلما ضمنا صلب ورحم ظهر لنا قدرة وعلم حتى انتهينا الى الجد الأفضل والأب الافضل والاكمل عبد المطلب فانقسم ذلك النــور نصفين فى عبد الله وأبى طالب فقال الله تعالى : كن يا هذا محمدا ويا هذا عليا (٥٨) الى غير ذلك من الآيات القرآنية التى ذهبوا فى تفسيرها الى أن الله تعالى جعل لدينه تأويلا خاصا يختلف عما يقول به جمهور أهل السنة والجماعة الذين أطلق الاسماعيلية عليهم لقب أهل الظاهر أو العامة (٥٩).

وأسرف الباطنية فى تأويل الآيات وتعسفوا حتى أخرجوا الآيات عن ظاهرها بتأويلات فاسدة لا تتمشى وسياق الآيات ولا تخضع لقاعدة ويمكن لأى معتوه أن يحاربهم ويدعى مثل ادعائهم ويؤول الآيات كما يؤولونها ويفسرها حسب هواه ويوجهها حسب مزاجه مادامت لا تخضع لقاعدة أو يحــدها قــانون .

والاسلام فضلا عن رفضه لهذه التأويلات هو برىء كل البراءة من هذه التأويلات الفاسدة لأنها تتصادم وجوهر الاسلام وتتنافر مع المبادىء الأساسية للاسلام كما تتناقض مع اللغة التى تنزل بها القرآن . لانه لا يجوز لنا أن نفسر بغير اللغة التى جاء بها القرآن والقرآن الكريم قد أغنانا عن هذا التعب . فهو يفسر بعضه بعضا .

---

(٥٦) سورة العنكبوت : آية ٥٠ .
(٥٧) دعائم الاسلام النعمان : النعمان ص ٢١ ، ٢٢ جـ ١ .
(٥٨) أدب مصر الفاطمية : محمد كامل حسن ص ٢٤ ، ٢٥ .
(٥٩) أدب مصر الفاطمية : محمد كامل حسن ص ٢٥ .

موقف الاسلام من هذه التأويلات

قد تكون هناك آيات كثيرة تشير الى فضل « على » وقد لا يكون هناك تعسف فى حمل بعض آيات القرآن على شخص « على » وقد يتفق أهل السنة والشيعة على أن بعض الآيات تشير الى « على » ولكن هل يمكن أن تعتبر الآيات السابقة مع التسليم بتأويلها الشيعى — نصا جليا وأمرا الهيا على امامة على ؟ والاجابة على هذا السؤال تسبقها ضرورة حل مشكلتين تلحان دائما وترتبطان ارتباطا وثيقا بعقيدة الشيعة فى النص الجلى على امامة على .

أولا : لماذا لم تذكر شئون السياسة وأنظمة الحكم فى نصوص صريحة جلية لا تحتمل التأويل والاختلاف بين المفسرين كما نزلت آيات كثيرة توضح سائر أركان الدين كالصلاة والزكاة والطهارة والصوم بل وقوانين التشريع كأحكام المواريث والقصاص ؟

والشيعة يرون أن الامامة من أركان الدين بل انها من أعظم الأمور لديهم ... والحقيقة التى لا مراء فيها أن شئون السياسة وأنظمة الحكم لم تحتل فى القرآن الأهمية التى احتلتها أركان الاسلام كالصلاة والصوم أو قواعد التشريع كأحكام المواريث وأن نصا جليا فى الامامة لم يرد كما وردت أحكام القصاص مثلا .

ثانيا : لماذا لا يتضمن القرآن أدنى اشارة بالاسم الصريح الواضح لأحد من صحابة رسول الله على الاطلاق بما فى ذلك « على » اللهم الا زيد فى حالة تشريع خاصة ؟ فلقد ذكر فى القرآن أسماء أنبياء كثيرين . ثم يستدل بهذا على أنه لو كانت امامة « على » منصوص عليها نصا جليا باعتباره اماما لذكر ذلك صراحة كما ذكر أسماء الأنبياء مع أقوالهم لا سيما وأن « عليا عند الشيعة أفضل من الأنبياء والمرسلين ولما احتاج الأمر الى تأويل آيات أو الاستدلال بالفضل على الولاية .

ثم يحدد الدكتور أحمد صبحى معالم الخطأ فى تأويلاتهم فيقول :

أولا : بالتعسف فى كثير من الآيات القرآنية .

ثانيا : التشكيك الذى يسود دوائر الشيعة فى نصوص القرآن .

ثالثا : اقحام زيادات مذهبية وهى زيادات لم تضف الى نصوص القرآن وانما تقرأ على سبيل الشرح والايضاح وهى اضافات منسوبة للأئمة باعترافهم ولم ينسبوا هم أو أئمتهم الى الله أو يدعوا أنها منزلة . من ذلك « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك » فى على وهكذا ذكر على فى صراحة يرونها تحل اشكال النص الجلى ولكن الله يشهد بما أنزل اليك (فى على) وسيعلم الذين ظلموا (آل محمد حقهم) أى منقلب ينقلبون « وقفوهم أنهم مسئولون » (عن ولاية على) (٦٠) .

ولذا يقول ابن خلدون « انهم يؤيدون مذهبهم » بنصوص يستغلونها ويؤولونها على مقتضى مذهبهم لا يعرفها جهابذة السنة ولا نقلة الشريعة بل أكثرها موضوع أو مطعون فى طريقته أو بعيد عن تأويلاتهم الفاسدة (٦١).

وفى رأى أن الباطنية غالت كل المغالاة فى هذه التأويلات وخرجت برأ عن قواعد اللغة وتعدت حدود الأدب مع الله وتجرأت على كتابه الكريم .

ونحن لا ننكر فضل على رضى الله عنه ولكن الذى ننكره ونعلن البراءة منه هو تحريف القرآن الكريم بدعوى النص على الامامة واخراجه عن ظاهره الى بواطن لا أساس لها ولا تربطها رابطة عن قريب أو بعيد بالقرآن الكريم بل وواضح فيها الافتراء والكذب وعدم الانسجام والتنافر مع روح القرآن والتصادم مع قواعد الاسلام وهو الشىء الذى نرفضه ونتبرأ منه ويبرأ منه كل مسلم .

---

(٦٠) نظرية الامامة د . أحمد صبحى ص ٢٠١ وما بعدها

(٦١) النظريات السياسية — د . محمد ضياء الدين الريس — ص١٦٥

أدلة الباطنية النقلية من السنة :

وكما حاول الباطنية التلاعب بالتأويل وتفسير الآيات وتحميلها معان لا تحتملها ليصلوا بها الى النص امامة على رضى الله عنه وذريته . كذلك حاولوا تأويل الأحاديث النبوية بما يؤيد نظريتهم ومن أبرز الأحاديث التى يستدلون بها على النص على الامامة ما يأتى :

الدليل الأول من السنة :

قال على رضى الله عنه . أن رسول الله ﷺ لما قفل من حجة الوداع متوجها الى المدينة نزل بغدير خم فأمر بشجرات فكسح له عنهن وجمع الناس ثم أخذ بيدى ورفعها الى السماء وقال ألست أولى بكم من أنفسكم قالوا بلى قال فمن كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وآل من والاه وعاد من عاداه (٦٢) .

كانت هذه الواقعة فى الثامن عشر من ذى الحجة فى السنة العاشرة ويقدم لنا القاضى النعمان المناسبة التى دفعت الرسول الكريم الى جمع الناس فى غدير خم .

وهى أن الله لما أمره بالولاية وبيانها للناس ضاق صدره وراجع ربه فاوحى اليه « يأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس » .

فصدع بأمر الله وقام بولاية أمير المؤمنين على بن أبى طالب (ص) يوم غديرخم ونادى لذلك الصلاة جامعة وأمر أن يبلغ الشاهد الغائب وكانت الفرائض ينزل منها شىء بعد شىء تنزل الفريضة ثم تنزل الفريضة الأخرى وكانت الولاية آخر الفرائض فأنزل الله عز وجل :

« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » (٦٣) فاعتبروا قول الرسول عليه السلام تبليغا لامر الله

---

(٦٢) دعائم الاسلام : النعمان ص ١٩ جـ ١ .

(٦٣) دعائم الاسلام : النعمان ص ١٥ جـ ١ .

ونصا صريحا بوجوب اتباع « على » وولايته ومن بعده زريته المنصوص عليهم وقد أخرج أحمد بن حنبل فى مسنده الكبير من حديث البراء بن عازب هذه القصـــة واتبعها بقوله فلقيه عمر بن الخطاب فقال هنيئا لك يابن أبى طالب أصبحت مولى كل من مؤمن ومؤمنة (٦٤) ولم يقف الباطنية عند هذا الحد بل اعتبروا هذا القول من الرسول الكريم .

خروج من الرسالة والنبوه وتسليم منه فى ذلك لعلى بن أبى طالب بأمر الله عز وجل وأن النبى صلى الله اليه وسلم بعد ذلك كان مأموما لعلى محجوجا له (٦٥) ولذا فان الرسول حينما أمره الله بالتبليغ ضاق صدره ولولا أن الله هدده وأنذره بالعذاب لما بلغ كما أوضح هذا النعمان لأنه بالتبليغ خرج من الرسالة عندهم .

ولهذا أرى لزاما على أن أتحقق من سبب الاجتماع والدوافع التى دفعت الرسول الكريم لأن يعلن على المسلمين هذا القول وعلى ضـــوء المعرفة والحقيقة لسبب هذا الاجتماع يتقرر الواقع ويتضح الحكم فتصديق واقعة الغدير مرتبط عن الباطنية بصحة هذا السبب وزعزعة الثقة فى هذا السبب تزرع الثقة فى القصة كلها وهذا ما أثبتناه وقال به أئمة المسلمين .

ويؤكد ابن حجر هذا ويكذبهم ويصحح الواقعة ويذكر السبب الصحيح فيقول : سبب ذلك كما نقله الحافظ شمس الدين الجزرى عن ابن اسحاق أن عليا تكلم فيه بعض من كان معه فى اليمن فلما قضى ﷺ حجة خطبها تنبيها على قدره وردا على من تكلم فيه كبر يده لما فى أنه كان يبغضه (٦٦).

وعن ابن عباس عن بريده الأسلمى رضى الله عنه قال غذوت مع على الى اليمن فرأيت منه جفوة فقدمت على رسول الله ﷺ فذكرت « عليا » فرأيت وجه رسول الله ﷺ يتغير فقال :

---

(٦٤) أدب مصر الفاطمية : محمد كامل حسن ص ٢٣ .
(٦٥) نشأة التفكير : د. النشار ص ٤٢٦ .
(٦٦) الصواعق المحرقة : ابن حجر ص ٤٤ .

يا بريده الست أولى بالمؤمنين من أنفسهم قلت بلى يا رسول الله فقال من كنت مولاه فعلى مولاه (٦٧) .

وقد صحح هذا السبب الذهبى (٦٨) .

ومن الروايات التى يستدل بها الشيعة على صدق الواقعة . انه لما شاع خبر الغدير فى البلاد وبلغ الحارث الفهرى بن النعمان الفهرى فأتى رسول الله ﷺ وقال : يا محمد أمرتنا أن نشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله فقبلنا منك وأمرتنا أن نصلى خمسا فقبلنا منك وأمرتنا بالزكاة فقبلنا وأمرتنا أن نصوم رمضان فقبلنا وأمرتنا بالحج فقبلنا ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعى (أى عضدى) ابن عمك تفضله علينا فقلت من كنت مولاه فعلى مولاه .

فهذا شىء منك ام من الله فقال والله الذى لا اله الا هو ان هذا لمن الله عز وجل .

فولى الحارث يريد راحلته وهو يقول . اللهم ان كان ما يقول محمد حقا فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فما وصل الى راحلته حتى رماه الله بحجر على هامته فقتله وأنزل الله « سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذى المعارج (٦٩) .

ولو صحت هذه الواقعة كما يدعى الباطنية لكانت معجزة من أكبر المعجزات ودلالة صارخة على الولاية . ولما تركها القرآن وهو كتاب الاسلام الخالد دون أن يتعرض لها أو يسجلها واذا كان القرآن لم يتعرض لها والسنة لم تشر اليها صراحة فمن العبث المكشوف أن تنسب الباطنية هذا الى الاسلام ، والاسلام يرفض هذا ويتصدى للدفاع عن الاسلام ويرد عليهم ويكذبهم الامام ابن تيمية فيقول :

---

(٦٧) المستدرك على الصحيحين الحاكم النيسابورى ص١١٠ ج٣.
(٦٨) الصواعق المحرقة ابن حجر ص ٤٤
(٦٩) سورة المعارج : آية ١ .
(٧٠) السيرة الحلبية : ص ٢٧٤ ج ٣ .

أجمع الناس كلهم على أن ما قاله النبى صلى الله عليه وسلم بغديرخم كان فى مرجعه من حجة الوداع والشيعة تسلم هذا وتجعل ذلك اليوم عيدا وهو اليوم الثامن عشر من ذى الحجة والنبى صلى الله عليه وسلم لم يرجع الى مكة بعد ذلك بل رجع من حجة الوداع الى المدينة وعاش ذى الحجة والمحرم وصفر وتوفى فى أول ربيع الأول وفى هذا الحديث يذكر (الباطنية) أنه بعد أن قال هذا بغدير خم وشاع فى البلاد جاءه الحارث وهو بالأبطح والأبطح بمكة فهذا كذب جاهل لايعلم متى كانت قصة غديرخم .

فان هذه السورة سورة سال سائل مكية باتفاق أهل العلم نزلت بمكة قبل الهجرة فهذه نزلت قبل غدير خم بعشر سنين أو أكثر من ذلك فكيف نزلت بعده (٧١) .

ولو صحت حادثة موت الحارث الفهرى وهى مرتبطة بيوم الغدير لكانت آية من جنس آية أصحاب الفيل ولانتشرت وتواترت وكذلك الأمر بخصوص اجتماع يوم الغدير (٧٢) .

ومن الواضح أن علامات الصنعة والحبك والافتراء واضحة فى ربط واقعة الغدير بآيات القرآن الكريم وما ذلك الا لأن الباطنية لما لم يجدوا دلالة واضحة أو تصريحا باسم « على » ولما ووجهوا بأسباب تناقض أقوالهم وحججهم حاولوا أن يربطوا الواقعة ببعض الآيات القرآنية مثل آية التبليغ واليوم أكملت لكم دينكم . وقد ثبت كما انتهينا من هذا سابقا .

أن آية البلاغ عامة ونزلت قبل هذه الواقعة ، واليوم أكملت لكم دينكم نزلت بعرفة قبل واقعة الغدير . وهذا كله يكشف عن مدى الادعاء والافتراء والتعسف فى التأويل ليستخلصوا من القرآن ما يثبت امامة « على » لتغطية عجزهم عن الاتيان بدليل صريح ينص على الامامة .

---

(٧١) منهاج السنة ابن تيمية : ص ١٣ جـ ٤ .
(٧٢) نظرية الامامة أحمد صبحى : ص ٢١٣ .

موقف العلماء من هذا الحديث :

اختلف العلماء فى صحة هذا الحديث فمنهم من يمنعة ومنهم من يصححه ؟

فعند ابن تيمية حديث موضوع (٧٣)

كما منع الايجى صحة الحديث ودعوى الضرورة فى العلم بصحته لكونه متواترا مكابرة ولم ينقله أكثر أصحاب الحديث كالبخارى ومسلم واضرابهما .

وقد طعن فيه بعضهم كابى داود السجستانى وأبى حاتم الرازى وغيرهم من أئمة الحديث ولان عليا لم يكن يوم الغدير مع النبى ﷺ فانه كان باليمن (٧٤)

وعند ابن حزم . أما من كنت مولاه فلا يصح (٧٥) .

ومن صححه منهم فمع اختلاف فى الرواية ، فابن حجر يقول : حديث صحيح لا مرية فيه وقد أخرجه جماعة كالترمذى والنسائى وأحمد وطرقة كثيره جدا .

فقد رواه ستة عشرة صحابيا وفى رواية أحمد أنه سمعه من النبى ﷺ ثلاثون صحابيا وشهدوا به لعلى لما نوزع أيام خلافته وكثير من أسانيدها صحاح حسان ولا التفات لمن قدح فى صحته ولا لمن رده بأن عليا كان باليمن لثبوت رجوعه وادراكه الحج مع رسول الله ﷺ (٧٦)

وعند الامام النيسابورى فى المستدرك . حديث صحيح (٧٧) كما صححه الذهبى (٧٨) ويستدلون على صحة الواقعة بأن عمر لما سمع قول

---

(٧٣) منهاج السنة ابن تيمية ص ١٠ ج٢

(٧٤) المواقف الايجى ص ٣٦١

(٧٥) الفصل ابن حزم ص

(٧٦) الصواعق المحرقة ابن حجر ص ٤٢

(٧٧) المستدرك النيسابورى ص ١١٠ ج

(٧٨) الصواعق المحرقة ابن حجر ص ٤٤

النبى هنا عليا وقال له أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنه (٧٩) وفى راى . انه على فرض صحته فمضمونه لا يثبت للباطنية مدعاهم .

المراد بالمولى فى اللغة :

يقول الباطنية : المولى يعنى الاولى اى فلعلى عليكم من الولايه ماله ﷺ عليكم منه بدليل قوله السمت بربكم . لا الناصر والا لما احتاج الى جمعهم كذلك مع الدعاء له لأن ذلك يعرفه كل أحد (٨٠)

فكل واحد يعلم من دينه ضرورة وجوب تولى المؤمنين بعضهم لبعض متعين الحمل على الأولى بالتصرف (٨١) .

وهم مستندون الى تفسير أبى عبيدة للآية

مأواكم النار هى مولاكم اى أولى بكم والى حديث رسول الله ﷺ أيما امراة نكحت بغير أذن مولاها أى المالك المتصرف فى أمرها .

وقال المبرد : تأويل المولى الأولى ومثله المولى واحد وهو المتولى لأمورهم ولفظ المولى يفيد العبد وابن العم والجار والحليف والناصر والأولى بالتصرف .

ولا يمكن حمل لفظ المولى فى هذا الحديث على ماسوى الأولى بالتصرف اذ لا معنى لصرفه الى ابن العم وللنبى أبناء عم آخرون كجعفر وعقيل وعلى أخوهما وليس ابن عمهما فضلا على أنه لايستساغ أن يجمع النبى الناس ليثبت نسبا معروفا ، ولا معنى الحليف لأن النبى لم يكن حليفا لأحد ولا بمعنى الناصر لأن كل من لديه دين يعلم بوجوب مولاه المؤمنين بعضهم لبعض فجمع الناس ليشرح معنى هذه المعانى لهم لا معنى له واذا بطلت تلك المعانى تعين حمل المولى على الأولى بالتصرف (٨٢) . الا أن

---

(٧٩) المقدمة ابن خلدون ص ٦٩٧ جـ ٢
(٨٠) الصواعق المحرقة ابن حجر ص ٤٢
(٨١) المواقف الانجى ص ٣٦١ جـ ٨
(٨٢) نهاية العقول ص ٢٦٤

ابن حجر لم يسلم بأن معنى المولى ما ذكروه . بل معناه الناصر لأنه مشترك بين معان كالمعتق والمتصرف فى الأمر والناصر والمحبوب وهو حقيقة فى كل منها وتعين بعض معانى المشترك من غير دليل يقتضيه حكم لا يعتد به وتعميمه فى مفاهيمه كلها لا يسوع لأنه ان كان اشتراكا لفظيا بأن تعدد وضعه بحسب تعدد معانيه كان فيه خلاف . والذى عليه جمهور الاصوليين وعلماء البيان واقتضاء استعمالات الفصحاء أنه لايعم جميع معانيه على آنا لو قلنا بتعميمه على القول الآخر أو بناءا على أنه مشترك بأن وضع وضعا واحدا للقدر المشترك وهو القرب المعنوى من المولى بفتح فسكون لصدقه بكل ما مر فلا يأتى تعميمه هنا لامتناع ارادة كل من المعتق والعتيق فتعين ارادة البعض ونحن وهم متفقون على صحة ارادة الحب بالكسر وعلى رضى الله عنه سيدنا وحبيبنا .

على أن كون المولى بمعنى الامام لم يعهد لغة ولا شرعا . أما الثانى فواضح (٨٣) وأما الأول أن مفعل بمعنى افضل لم يذكره أحد من أئمة العربية بقوله تعالى « ومأواكم النار هى مولاكم أى مقركم وما اليه مآلكم وعاقبتكم ولهذا قال الله تعالى وبئس المصير وقد قيل المراد ههنا أيضا الناصر فيكون مبالغة فى نفى النصره على طريقة قولهم الجوع زاد من لمن لا زاد له (٨٤) .

وجوز أبو زيد اللغوى مجىء المفعل بمعنى أفعل متمسكا فى ذلك بقول أبى عبيده فى تفسيره وهو مولاكم أن أولى بكم .

وجميع أهل اللغة على أنه مخطىء والا لزم أن يقال فلان مولى عنك بدل أولى منك وهو باطل بالاجماع (٨٥) .

---

(٨٣) الصواعق ابن حجر ص ٤٣
(٨٤) المواقف الانجى ص ٣٦١
(٨٥) الصواعق : ابن حجر ص ٤٣ هامش .

وخطأ الرازى أبا عبيده أيضا :

لأن هذا يقتضى أن وجود الكفار فى الجنة حق الا أن النار أحق بهم واولى فذلك من لوازم أفعل التفضيل ولو صرح عليه السلام بقوله ألست أولى بكم من أنفسكم فمن كنت ناصره ومولاه فعلى ناصره ومولاه لكـان الكلام منتظما حسنا .

اما أن مؤخر الحديث اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره وأخذل من خذله فهذا يقضى أن يكون المولى بمعنى الناصر لأن الموالاة هنا ضد العداوة (٨٦) .

وعلى فرض التسليم بأن المولى هو الأولى .

فالمراد فى المآل والا كان الامام فى وجوده ﷺ (٨٧) .

هل الولاية فريضة كما يدعى الباطنية :

يقول النعمان . بنى الاسلام على سبع دعائم الولاية وهى أفضلها(٨٨) ففى واقعة الغدير كانت الفرائض تتنزل منها شىء بعد شىء تتنزل الفريضة بعد الأخرى وكانت الولاية أخر الفرائض (٨٩) .

ولهذا وجب على كل مؤمن أن يتبع هذا الامام وجعلوا ولاية الامام أحد أركان الدين ودعائمه بل ذهبوا الى أن الولاية أفضل دعائم الدين وأقواها ولا يسـتقيم الدين الا بها قال المؤيد فى الدين هبة الله الشيرازى فى مى مجالسه « فلو أن رجلا عمل بفرائض الله تعالى وسننه التى جاء بها رسوله كلها ثم لم يقترن بعمله اعتقاد ولاية الرسول عليه الصلاة والسلام الأتى بها لم يغن عنه ما عمل فتيلا ولم يتبع غير أهل النار سبيلا » .

---

(٨٦) نظرية الامامة : أحمد صبحى ص ٢١٥ .
(٨٧) الصواعق : ابن حجر ص ٤٤ .
(٨٨) تأويل الدعائم : النعمان ص ٢٨ .
(٨٩) دعائم الاسلام : النعمان ص ٢٩ .

ثم يقول : اذا الولاية هى الأصل الذى يدور عليه موضوع الفرائض(٩٠)

كما يستدلون على صدق الواقعة وعلى فرضيتها بجواب الرسول على الحارث الفهرى حينما سأله بقوله فهذا شىء منك أم من الله .

فقال . والله الذى لا اله الا هو ان هذا لمن الله عز وجل (٩١).

والاسلام يرفض هذه المزاعم ويكذبها اذ لو كانت فرض لنص عليها وأنزل آية واضحة بفرضيتها مثل الصلاة والصوم والحج ... ولما تركها ولو كانت الولاية فرض كما يدعون وأن القرآن الكريم نص على على رضى الله عنه لما وسع الصحابة وأولهم على بن أبى طالب أن يتركوا العمل بهذا الفرض ويولوها لغير على . بل وكان على اثم بتركه الفرض .

وحاشا للصحابة ولعلى رضى الله عنه أن يهدموا فرضا أو يتنكروا لنص . مهما كانت الدوافع الشخصية فقد ضحوا جميعا بأرواحهم من أجل الحفاظ على هذا الدين وحمايته وحاشاهم أن يهدموا من أجل شى دنيوى تافه ما بنوه بأرواحهم من أجل آخرة باقية تلبية لنداء ربهم .

ولهذا يفند ابن تيمية أراءهم ويكذبهم فى أقوالهم فيقول :

١ — ان سورةسأ ل سائل نزلت قبل الغدير بعشر سنين .

٢ — لو صحت حادثة الحارث الفهرى لكانت من جنس آية الفيل .

كما أنها لو كانت فريضة لماذا لم ينزل بشأنها آية صريحة كما نزل فى كثير من الأحكام كما أنها لو كانت فريضة لا يكتمل الدين الا بها ؟ وهل يعقل أن يتجاهل أصحاب رسول الله ﷺ ما لا يكتمل دينهم الا به بل ويخالفوه وهل يرضوا لأنفسهم الكفر ؟

ويقول أبو بكر العربى فى رده عليهم ما رضيت النصارى واليهود فى أصحاب موسى وعيسى ما رضيت الروافض فى أصحاب محمد ﷺ حين

---

(٩٠) أدب مصر الفاطمية : محمد كامل ص ٢٢ ، ٢٣ .
(٩١) السيرة الحلبية : ابن هشام ص ٢٧٤ جـ ٣ .

حكموا عليهم بأنهم قد اتفقوا على الكفر والباطل (٩٢) واذا كانت الامامة «رضـــا» .

كيف لا يمتثل على كذلك ويحارب من أجلها بعد وفاة الرسول ﷺ مهو من هو لم يعرف عنه ضعف ولا جبن (٩٣) .

وتأمل رواية الحسن السـبط فى دلالتها الواضحة على عدم النص وبالتالى على عدم فرضيتها اذ لو كان هذا الأمر كما تقولون وأن الله اختار عليا للقيام على الناس لكان على أعظم الناس خطيئة أن ترك أمر رسول الله ﷺ من كنت مولاه فعلى مولاه .

فقال : الحسن أما والله لو عنى به القيام على الناس والأمرة لنصح به وأفصح عنه كما أفصح عن الصلاة والزكاة ولقال أيها الناس أن عليا ولى أمركم من بعدى والقائم فى الناس بأمرى فلا تعصون أمره (٩٤) .

وفى رأى أن هذه الشهادة من علم من أعلام العلويين أعظم دليل وأقوى حجة رد بها الحسن على هلاء الروافض الباطنية الذين حاولوا تشويه النصوص وتزيف الحقائق ...

وفضلا عن كونها دليلا حاسما ضد مزاعم الباطنية فهى شهادة واضحة ببراءة آل البيت من مثل هذه التأويلات وعدم رضاهم عنها . بل واعلان بطلانها وانطوائها على الكذب .

وفى هذا أقوى دليل لمن أراد الدليل على كذب الباطنية .

هل نص هذا الحديث على امامة على رضى الله عنه :

يقول الباطنية : ان اجتماع الناس يوم الغدير أكد بيعة واوجب ما يوجب الامامة (٩٥) فكان هذا الجمع وهذه المقدمات لتوضيح الواضحات

---

(٩٢) العواصم من القواصم : العربى ص ١٨٥ .
(٩٣) نظرية الامامة : احمد صبحى ص ٢٢٣ .
(٩٤) الصواعق : ابن حجر ص ٤٨ .
(٩٥) دعائم الاسم : النعمان ص ٢٩ .

وبيان ما هو فى حكم البديهيات أم نكون من المستساغ عقلا أن المناسب المقام فى هذا الهجير واللائق بمعنى أقواله يوم الغدير أن يعلن النبى وصيته ويبلغ عهده ويعين القائم مقامه من بعده (٩٦) .. ولكن كيف استنتجتم هذا ؟ ولماذا لا يكون هذا الاجتماع ليلعم الرسول صحابته وقد أوشك أن يرحل عن الدنيا قاعدة أصيلة فى احترام القادة وعدم التعريض بهم لما سمع من بريده تعريضه بعلى بعد عودته من اليمن .

فأراد أن يجعلها قاعدة تربوية ودرسا فى الأخلاق حتى لا تنتشر بينهم عادة التحدث فى شأن بعضهم .

ولو أراد رسول الله ﷺ بهذا القول ان يوصى لعلى رضى الله عنه بالامامة لأوردها صريحة لا تحتاج الى تأويل أو تعسف ولما ترك الناس فى حيرة من أمرهم يتقاتلون من بعده فى شأن من يخلفه .

ولو كان فى هذا الحديث نص على اماما على رضى الله عنه لكان على رضى الله عنه والصحابة أجمعين آثمين لتركهم النص .

ولهذا كان موقف الاسلام هو الرفض لهذه الادعاءات وجاء موقف علماء الاسلام مطابقا لروح الاسلام متمشيا مع منهجه ومحافظا على نصوصه .

يقول ابن العربى ردا على من زعم أن الرسول نص فى هذا الحديث على امامة على رضى الله عنه . أنهم أنزلوه فى غير منزلته ونسبوا اليه ما لا يليق بدرجته والزيادة فى الحد نقصان من المحدود . ولو تعدى عليها أبو بكر ما كان المتعدى وحده بل جميع الصحابة لأنهم ساعدوه على الباطل (٩٧) .

وقد اجمعت الأمة على ان النبى ﷺ ما نص على أحد يكون من بعده وقال العباس فيما روى عنه عبد الله ابنه قال عبد الله بن عباس خرج على

---

(٩٦) نظرية الامامة : أحمد صبحى ص ٢١٩ .
(٩٧) العواصم من القواصم : العربى ص ١٩٢ .

ابن أبى طالب رضى الله عنه من عند رسول الله ﷺ فى وجعه الذى توفى فيه .

فقال الناس يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله ﷺ قال أصبح بحمد الله بارئا . فأخذ بيده العباس بن عبد المطلب فقال له : أنت والله بعد ثلاث عبد العصا وانى لأرى رسول الله ﷺ سوف يتوفى من وجعه هذا .

هيا نذهب الى رسول الله ﷺ لنسأله عن الأمر من بعده . فلم يوافقه على مخافة أن يمنعه الرسول عنهم فيمنعه الناس من بعده عنهم .

ولو كان عند على نص أو يعلم أن الرسول يشير اليه بها أكان يتخوف من ذهابه الى الرسول ﷺ ويطلب منه الامامة . فاذا منعهم منها أصبحت سنة ومنعها الناس عنهم ولماذا دار بخلد على كرم الله وجهه هذا المعنى ؟ ولماذا لم يفكر فى ان الرسول يعطيها لهم . وماذا لك عندى الا لأن احساسا داخليا كان يراود الجميع فى أن الرسول لم يوصى لأحد ولـــو طلبوا منه أن يوصى فسوف يوصى لمن أوصى له بالصلاة وهو أبو بكر .

وكأن العباس أحس هذا الموقف فأراد أن يضع عليا أمام الأمر الواقع فقال لعلى امدد يدك أبايعك حتى يقول الناس بايع عم رسول الله ابن عمه فلا يختلف فيك اثنان (٩٩) .

وقد كان العباس رضى الله عنه لقى أبا بكر فقال هل أوصاك رسول الله بشىء . قال لا . ولقى العباس أيضا عمر فقال له مثل ذلك فقال عمر لا فقال العباس لعلى رضى الله عنه ابسط يدك أبايعك (١٠٠) . ويؤيد هذه الرواية ويعضدها .

رد الحسن المثنى ابن الحسن البسط حينما سئل عن هذا الحديث وهل هو نص فى امامة « على » قال مؤيدا لموقف الاسلام وهادما لموقف الباطنية .

أما والله لو يعنى النبى ﷺ الامارة والسلطان لنصح لهم به فان

---

(٩٨) العواصم من القواصم : العربى ص ١٨٦

(٩٩) المواقف : ص ٣٥٤ .

(١٠٠) الامامة والسياسة : ابن قتيبة ص ٤ .

رسول الله ﷺ كان أنصح الناس للمسلمين ولقال لهم : أيا الناس هذا ولى أمرى والقائم عليكم بعدى فاسمعوا له وأطيعوا أما كان من هذا شيء فوالله لئن كان الله ورسوله اختارا عليا لهذا الأمر والقيام به للمسلمين من بعده ثم ترك على أمر الله ورسوله أن يقوم به أو يعذر فيه الى المسلمين أن كان أعظم الناس خطيئة لعلى اذا ترك أمر الله ورسوله وحاشاه من ذلك (١٠١) .

الدليل الثانى للباطنية فى النص على الامامة من السنة :

قول الرسول ﷺ : أنت منى بمنزلة هارون من موسى الا أنه لا نبى بعدى (١٠٢) قال ذلك فى غزوة تبوك وكان ﷺ كلما سافر فى غزوة أو عمرة أو حج يستخلف على المدينة (١٠٣) .

وقد استخلف فى هذه الغزوة على بن أبى طالب كرم الله وجهه ورضى عنه ويستدل الشيعة بهذا الاستخلاف ونص هذا الحديث على امامة على كرم الله وجهه .

وقبل أن ندخل فى حلبة المناقشات معهم . أجد لزاما على أن أتأكد أولا من صحة الحديث أو عدم صحته .

ثانيا : ما هى المنازل الثابتة لهارون ؟ وهل تنطبق على على رضى الله عنه ؟ وهل هى نص صريح فى امامة على رضى الله عنه ؟

أولا ـ صحة الحديث :

(أ) الايجى . منع صحة الحديث كما منعه الآمدى (١٠٤) .

(ب) ابن حجر . صححه كائمة الحديث بل وجعل المعول فى ذلك ليس الا عليهم كيف وهو فى الصحيحين الا أنه من قبيل الآحاد (١٠٥) .

---

(١٠١) الصواعق : ابن حجر ص ٤٨ .
(١٠٢) المرجع السابق .
(١٠٣) منهاج السنة : ابن تيمية ص ٨٧ جـ ٥ .
(١٠٤) المواقف : الايجى ص ٣٦٢ جـ ٨ .
(١٠٥) الصواعق : ابن حجر ص ٤٩ .

(جـ) ابن تيمية . ثبت فى الصحيحين بلا ريب (١٠٦) .

ذكره أئمة الحديث كالبخارى فى الجزء الثانى من صحيحه ص ١٩٨ فى باب فضائل على ومسلم فى الجزء الثانى من صحيحه ص ٣٢٣ والامام أحمد بن حنبل فى الجزء الأول من مسنده ص ٣٣١ كذلك اعترف بصحته أئمة علماء الكلام دون تشكيك فيه كالرازى فى نهاية العقول والذهبى فى تلخيص المستدرك وابن حجر فى الصواعق المحرقة وابن تيمية فى منهاج السنة .

ولم يتشكك فى صحة الحديث الا الآمدى .

ولا يعتد بتشكيكه اذ ليس هو من أئمة الحديث أو العالمين بالأسانيد وتبحره فى علم الأصول لا يقيم وزنا لتشككه بعد من ذكر من أئمة الحديث والكلام (١٠٧) .

لهذا فهو حديث صحيح . واذا ثبتت صحة الحديث .

فهل المنازل الثابتة لهارون تثبت لعلى كرم الله وجهه ؟

يتمسك الباطنية بل والشيعة باثبات جميع المنازل الثابتة لهارون لعلى وهذا الحديث عندهم يدل على :

١ — أن جميع المنازل الثابتة لهارون من موسى سوى النبوة ثابتة لعلى من النبى عليه السلام اذ لو لم يكن اللفظ محمولا على كل المنازل لما صح الاستثناء ومن المنازل الثابتة لهارون من موسى استحقاقه للقيام مقامه لو عاش هارون بعده وذلك لأنه كان خليفة لموسى فى حياته بدليل قوله . اخلفنى فى قومى . لا معنى للخلافة الا القيام مقام المستخلف فيما كان له من تصرفات فوجب أن يكون خليفة له بعد موته على تقدير بقائه (١٠٨) لأنه خليفة .

---

(١٠٦) منهاج السنة : ابن تيمية ص ٨٧ جـ ٥ .
(١٠٧) المراجعات : عبد الحسين شرف الدين ص ١١٨ .
(١٠٨) المواقف : الايجى ص ٣٦٢ جـ ٨ .

مع وجوده فى غيبته مدة يسيرة فعند موته تطول الغيبة فيكون أولى بأن يكون خليفة (١٠٩) .

٢ ــ الاخوة والوزارة وذلك لقوله تعالى « واجعل لى وزيرا من أهلى هارون اخى فأثبت رسول الله مؤاخاته لعلى واتخاذه وزيرا له (١١٠) .

٣ ــ كان شريكا له فى الرسالة ومن لوازمه استحقاق الطاعة بعد وفاة موسى فوجب أن يثبت ذلك لعلى (١١١) .

الرد على الباطنية :

أن قول الرسول لعلى رضى الله عنه (انت منى بمنزلة هارون من موسى) لا يدل على الخلافة بل كان تطييبا لخاطره لما حزن لاستخلافه على الصبيان والنساء يقول ابن العربى . فقال أتخلفنى فى الصبيان والنساء قال ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى الا أنه ليس نبى بعدى (١١٢) .

ويرفض أهل السنة أن تكون الخلافة من جملة منازل على بعد الرسول تشبيها بهارون لو عاش يقول ابن حزم :

ان هذا (أى الحديث) لا يوجب له فضلا على من سواه ولا استحقاق الامامة بعده عليه السلام . لأن هارون لم يل أمر بنى اسرائيل بعد موسى عليهما السلام وانما ولى الأمر يوشع ابن « نون » فتى موسى وصاحبه الذى سافر معه فى طلب الخضر عليهما السلام كما ولى الأمر بعد رسول الله ﷺ صاحبه فى الغار الذى سافر معه الى المدينة .

واذا لم يكن على نبيا كما كان هارون نبيا ولا كان هارون خليفة بعد موت موسى على بنى اسرائيل (١١٣) .

---

(١٠٩) الامامة : أحمد صبحى ص ٢٢٥ .
(١١٠) المواقف : الايجى ص ٣١٢ .
(١١١) منهاج السنة : ابن تيمية ص ٨٧ جـ ٤ .
(١١٢) العواصم من القواصم : العربى ص ١٨٣ .
(١١٣) الفصل : ابن حزم ص ١١٣ .

لأن هارون كان نبيا مستقلا وكانت النبوة فى بنى اسرائيل مستقلة عن الخلافة فكان يوشع ابن نون وصى موسى مؤديا عن الله ولم يكن خليفة فى السلطة الزمنية التى كانت فى ولد هارون (١١٤) واذا كان هارون لم يلى أمر بنى اسرائيل وعلى لم يكن شريكا فى النبوة كما كان هارون فقد انتفت الخلافة من بعده كما لم تتحقق فى هارون يقول الشهرستانى :
لان ذلك القيام مقام موسى كان له بحكم المنزلة فى النبوة وانتفى هاهنا بدليل الاستثناء (١١٥) ونفى الشركة فى الرسالة .

ومن جملة منازل هارون أنه أسن من موسى وأفصح منه لسانا لقولة تعالى (وأحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى وأجعل وزيرا من أهلى هارون أخى) (١١٦) وقولة تعالى هو أفصح منى لسانا) (١١٧) وكان هارون شريكا معه فى النبوة شقيقا فى النسب وهذه المنازل غير ثابته فى حق الأمير (١١٨) واذا امتنعت الشركة فى الرسالة وجب أن يبقى مفترض الطاعة على الأمة بعد النبى عليه السلام عملا بالدليل الى أقصى ما يمكن (*) فقد صح أنه مع كونه رضى الله عنه من الرسول ﷺ بمنزلة هارون من موسى أنما هو فى القرابة فقط (١١٩) .

كما أنه لم يكن كاستخلاف هارون لأن العسكر كان مع هارون وانما ذهب موسى وحده وأما استخلاف النبى ﷺ فجميع العسكر كان معه ولم يتخلف بالمدينة غير النساء والصبيان الا المعذور أو العاصى . وقول القائل هذا بمنزلة هذا وهذا مثل هذا هو كتشبيه الشىء بالشىء وتشبيه الشىء بالشىء يكون بحسب مادل عليه السياق ولا يقتضى المساواة فى كل شىء الا ترى الى ما يثبت فى الصحيحين من قول النبى ﷺ فى حديث الاسارى

---

(١١٤) نهاية العقول فى دراية الأصول : الرازى ص ١٧٠ .
(١١٥) المواقف وشرحه الايجى ص ٣٦٢ جـ٣
(١١٦) سورة طه : الآيات ٢٧ الى ٣٠
(١١٧) سورة القصص
(١١٨) التحفة الاثنى عشرية غلام محمد ص ١١٢
(١١٩) المواقف الانجى ص ٣٦٢ جـ٨

لما استشار ابا بكر وأشار بالفداء واستشار عمر فأشار بالقتل قال ساخبركم عن صاحبكم . مثلك يا ابا بكر كمثل ابراهيم اذا قال فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم ومثل عيسى اذ قال ان تعذبهم فأنهم عبادك وأن تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم . ومثلك ياعمر مثل نوح اذ قال رب لاتذر على الأرض من الكافرين ديارا أو مثل موسى اذ قال ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنون حتى يروا العذاب الاليم . فقوله لهذا مثلك مثل ابراهيم وعيسى ولهذا مثل نوح وموسى أعظم من قوله أنت منى بمنزلة هارون من موسى فان نوحا وابراهيم وموسى وعيسى أعظم من هارون وقد جعل هذين مثلهم ولم يرد أنهما مثلهما فى كل شىء لكن فيما دل عليه السياق من الشدة واللين فى الله .

وكذلك هنا انما هو بمنزلة هارون فيما دل عليه السياق وهو استخلافه فى مغيبة كما استخلف موسى هارون (١٢٠) .

هل نص الحديث على الامامة

هل هو نص فى الامامة من الواضح أن الاسلام لم يصرح بالنص على الامامة لا فى هذا الحديث ولا فى غيره كما نطقت الأدلة .

ولذا نجد ثقاه أئمة المسلمين لايرون فى هذا الحديث نصا على الامامة لما يأتى : —

١ — لا يرونه حجة فى الامامة وعلى التنزيل فلا عموم له فى المنازل بل المراد مادل عليه ظاهر الحديث .

وأن عليا خليفة عن النبى ﷺ مدة غيبته بتبوك كما كان هارون خليفة عن موسى فى قومه مدة غيبته عنهم للمناجاة (١٢١)

٢ — استخلف عليه السلام قبل تبوك وبعد تبوك على المدينة فى اسفاره رجالا سوى على رضى الله عنه فصح ان هذا الاستخلاف لا يوجب

---

(١٢٠) منهاج السنة ابن تيمية ص ٨٨ .
(١٢١) الصواعق : ابن حجر ص ٤٩ .

لعلى فضلا على غيره ولا ولاية الأمر بعده كما لم يوجب ذلك لغيره من المستخلفين (١٢٢) .

٣ ــ استخلف عليها (أى المدينة) فى حجة الوداع غير على فان كان الأصل بقاء الاستخلاف فبقاء من استخلفه فى حجة الوداع أولى من بقاء استخلاف من استخلفه قبل ذلك (١٢٣) .

٤ ــ وقوله اخلفنى فى قومى لاعموم له حتى يقتضى الخلافة عنه فى كل زمان حياته وزمن موته .

بل اعتماد منه ما أمر أنه خليفة مدة غيبته فقط (١٢٤) .

٥ ــ لو استخلف خليفة فى حياته لم يجب أن يكون معصوما بل كان يولى الرجل ولاية ثم يتبين كذبه فيعزلة كما ولى الوليد بن عقبة بن أبى معيط وهو أن استخلف رجلا لم يجب أن يكون معصوما وليس بعد موته شهيدا عليه ولا يملك أن يرده عما يفعله بخلاف الاستخلاف فى الحياة (١٢٥) فانه يمكنه عزله اذا لم يقم بالواجب .

٦ ــ ليس كل من يصلح للاستخلاف فى الحياة على بعض الأمة يصلح أن يكون خليفة بعد الموت ولم يكن استخلافا عاما اذا اعتزل على بمجرد رجوع النبى فأرسله بعد ذلك لقراءة سورة براءة ثم عاملا على اليمن ثم وفاه فى حجة الوداع (١٢٦) بمكة .

ومن هذا العرض يتضح ما يأتى :

١ ــ ان الحديث لم ينص على امامة على رضى الله عنه ولم يشر لها .

٢ ــ أن الاستخلاف هو مدة غيبته عن المدينة وقد استخلف غير على رضى الله عنه فى مناسبات أخرى ولو كان الاستخلاف يوجب الامامة لأوجبها

---

(١٢٢) الفصــل : ابن حزم ص ١١٣ جـ ٤ .
(١٢٣) منهاج السنة : ابن تيمية ص ٩٠ جـ ٥ .
(١٢٤) الصواعق : ابن حجر ص ٤٩ .
(١٢٥) منهاج السنة : ابن تيمية ص ٩٢ جـ ٥ .
(١٢٦) المنتقى مناهج الاعتدال ابن تيمية ص ٤٦٩

ايضا لغير على من الذين استخلفوا على المدينة فى مناسبات أخرى .

٣ ـــ أن المنازل الثابتة لهارون لا تثبت لعلى رضى الله عنه .

الدليل الثالث :

يقول النعمان أن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال :

ان رسول الله ﷺ بعث أبا بكر ومعه براءة الى أهل الموسم ليقرأها على الناس فنزل جبريل عليه السلام فقال : يا محمد لا يبلغ عنك الا على مدعانى رسول الله ﷺ وأمرنى أن أركب ناقته العضباء .

وان الحق أبا بكر فآخذ منه البراءة فأقرؤها على الناس فقال أبو بكر اسخطه هى . فقلت لا الا أنه نزل عليه أن لا يبلغ عنه الا رجل منه فلما قدمنا مكة وكان يوم النحر بعد الظهر وهو يوم الحج الأكبر قمت قائما ثم قلت وقد اجتمع الناس الا انى رسول رسول الله ﷺ اليكم وقرأت عليهم براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر (سورة التوبة) عشرين من ذى الحجة والمحرم وسفر وشهر ربيع الأول وعشرا من شهر ربيع الآخر .

وقلت لا يطوفن بالبيت عريان ولا عريانه ولا مشرك ولا مشركة الا من كان له عهد عند رسول الله ﷺ وعلى أهل بيته وسلم فحدثه هذه الأربعة أشهر . قال والأذن هو أسمى فى كتاب الله عز وجل لا يعلم ذلك غيرى(١٢٧)

وينصدى للرد عليهم علماء الاسلام يقول ابن حجر :

أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه لم يعزل أبا بكر أو يؤمر عليا عليه . انما الدافع الذى جعله يتبع أبا بكر بعلى رضى الله عنهما :

لقراءة براءة لأن عادة العرب فى أخذ العهد ونبذه أن يتولاه الرجل

---

(١٢٧) دعائم الاسلام النعمان ص ١٩

او احد بنى عمه (١٢٨) هذا ما يتضح من أجابة على رضى الله عنه وكرم وجهه لأبى بكر حينما قال له (أسخطه هى ؟ قال لا الا انه لايبلغ عنه الا رجل منه (١٢٩) لأنه كان من عادات العرب أن لا يعقد العقود وان لا ينبذها الا السيد المطاع أو رجل من أهل بيته (١٣٠) .

ومن هذا يتضح ان ارسـاله (أى النبى) عليا خلف أبى بكر تمشيا مع عادة القوم فى نبذ العهود فهو لم يعزل أبا بكر عن امرة الحج بل أبقاه أميرا وعليا مأمورا له عدا القراءة على أن عليا لم ينفرد بالآذان بذلك ففى صحيح البخارى أن ابا هريرة قـال :

بعثنى أبو بكر فى تلك الحجة فى مؤذنين بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنى أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان .

قال أبو هريرة : فأذن معنا على يوم النحر فى أهل منى ببراءة وأن لا يحج بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان .

فتأمله تجد عليا انما أذن مع مؤذنى أبى بكر (١٣١) فكان أبو بكر أمير عليه وعلى معه كالمأمور مع أميره يصلى خلفه وينادى مع الناس بالموسم (١٣٢) .

ومما يؤكد ما ذكرناه أن أبا بكر لما جاء على لم يعزل مأذنيه فعدم عزله لهم وجعله اياهم شركاء لعلى وهذا يؤكد أن عليا انما جـاء وفاء لعادة العرب التى ذكرناها وليس عزلا لأبى بكر والا لم يسمع أبا بكر أن يبقى مؤذنيه يؤذنون مع على .

فاتضح بذلك ما قلناه وأنه لا دلالة لهم فى ذلك بوجه من الوجوه(١٣٣) وأن هذه الواقعة لا تشير الى امامة على وانما تشير الى عادة العرب فى نبذ العقود أو اعطائها .

---

(١٢٨) الصواعق ابن حجر ص ٣٣
(١٢٩) دعائم الاسلام النعمان ص ١٩
(١٣٠) منهاج السنة ابن تيمية ص ٩٠ جـ ٥
(١٣١) الصواعق ابن حجر ص ٣٣
(١٣٢) منهاج السنة ابن تيمية ص ٩٠ جـ ٥
(١٣٣) الصواعق ابن حجر ص ٣٣

كما وأنه حدث بعد هذه الواقعة أن قدم أبو بكر رضى الله عنه على على رضى الله عنه فى الصــلاة ولم نتمسك بهذا التقديم كدليل على نص الرسول صلوات الله وسلامه عليه على أمامة أبو بكر . ايمانا منا بأن لكل موقف ظروفه ودواعيه ... وأن الرسول ﷺ كان يعلمنا فى كل موقف اسلوب الاختيار . ولم يركز فى كل المواقف على فرد بعينه ليشير الى

١ ــ أن أصحابه جميعا أهل لكل المواقف .

٢ ــ عدم تعين فرد بعينه فى كل المواقف والا لكان نائبا عنه بدون نص

وفضلا عن هذا فان الباطنية يستدلون بأحاديث أخرى كثيرة يرونها عن النبى ﷺ فى شأن على رضى الله عنه ويعتبرونها نصوصا على امامته ... ونظرا لضعفها وعدم دلالتها على الامامة نجمل القول عنها فيما يأتى .

يقــول النعمان :

(١) أنا مدينة العلم وعلى بابها .

(٢) النجوم أمان لاهل السماء وأهل بيتى أمان لأهل الأرض .

(٣) من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية .

(٤) أهل بيتى كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تركها غرق .

(٥) أنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى .

(٦) أنت أول من يصافحنى يوم القيامة وأنت الصديق الاكبر وأنت الفاروق وأنت يعسوب المؤمنين .

(٧) أنت أخى وخليفتى من بعدى وقاضى دينى (١٣٤) .

ونحن لا نرى فى هذه الأحاديث ما يشير الى النص على امامة على رضى الله عنه . بل ويرى علماء الاسلام وجهابذة أهل السنة أن هذه الاحاديث فضلا عن عدم دلالتها على النص على الامامة أنها ضعيفة مطعون فى صحتها .

---

(١٣٤) انظر ادب مصر الفاطمية محمد كامل حسين ص ٢٣

وقد تناول العلامة المحدث ابو الحسن بن محمد بن عراق الكنانى الشافعى أغلب هذه الاحاديث فى كتابة تنزيه الشريعة المرفوعة من الاحاديث الشنيعة الموضوعة . وكشف عن ضعفها ومن هذه الاحاديث التى تناولها وأثبت ضعفها الحديث القائل أنت أول من يصافحنى يوم القيامة وأنت الصديق الاكبر وأنت الفاروق وأنت يعسوت المؤمنين والحديث القائل انت أخى وخليفتى من بعدى وقاضى دينى (١٣٥) .

ويذهب ابن حزم الى أبعد من هذا فيقول . وعمده هذه الطوائف كلها فى الاحتجاج أحاديث موضوعة مكذوبة (١٣٦) ويقول ابن خلدون . انهم يؤيدون مذهبهم بنصوص ينقلونها ويؤولونها على مقتضى مذهبهم ولا يعرفها جهابذة أهل السنة ولا نقله الشريعة بل اكثرها موضوع أو مطعون فى طريقته أو بعيدة عن تأويلاتهم الفاسدة (١٣٧) .

ويتهم صاحب كتاب أعلام الموقعين الشيعة بتحريف الاحاديث والكذب والدس على على بن ابى طالب وعلى المسلمين فيقول . أما على بن ابى طالب فانتشرت احكامه وفتاويه ولكن قاتل الله الشيعة فانهم أفسدوا الكثير من علمة بالكذب عليه ولهذا نجد أصحاب الحديث من أهل الصحيح لا يعتبرون من حديثه وفتواه الا ما كان من طريق أهل بيته وأصحاب عبد الله بن مسعود كعبيدة السلمانى وشريح ووائل ونحوهم (١٣٨) .

وفى رأى أن هذه الاحاديث على فرض صحتها لا تثبت لعلى رضى الله عنه حق تولى الامامة دون غيره من الصحابة ولكنها تشير الى فضل على كما أن هناك أحاديث كثيره تشير الى فضل الصحابة .

---

(١٣٥) انظر تنزية الشريعة الاحاديث الشنيعة الموضوعة ابن الحسن ص ٣٥٣ جـ ١

(١٣٦) الفضل ابن حزم ص ١١٢ جـ ٤

(١٣٧) النظريات السياسة ضياء الدين الريس ص ١٦٤

(١٣٨) أعلام الموقعين ابن القيم ص ٢١.

وباب فضائل الصحابة باب طويل حافل بالأحاديث خاصة الخلفاء الأربعة وكلها أحاديث صحيحة .

فكما أنه لا تثبت بها الولاية لغير على كذلك لا تثبت بها الولاية لعلى وهذا ما نقول به . وفرق كبير بين ثبوت الفضل والمدح والثناء وبين استحقاق الولاية فهذا شيء وذلك شيء آخر .

ادلة الباطنية العقلية فى النص على الامامة

على الرغم من أن الباطنية لا تعتمد على العقل فى استدلالها وترفض القياس الا أنها لما فشلت فى الاتيان بنص صريح من القرآن أو السنة يثبت مدعاهم فى النص على الامامة حاولوا الاستدلال بالادلة العقلية . ولهم أدلة عقلية كثيرة أهمها ما يأتى :

الدليل الأول :

ان احتياج الناس الى امام واجب الطاعة يحفظ احكام الشرع عليهم ويحملهم على مراعاه حدود الدين كاحتياج الناس الى نبى مرسل يشرع لهم الاحكام ويبين لهم الحلال والحرام واحتياج الخلق الى استيفاء الشرع كاحتياجهم الى تمهيد الشرع (١٣٩) .

ولو جاز للناس أن يقيموا اماما لجاز لهم أن يقيموا نبيا لان الله عز وجل قرن طاعة الأمة بطاعة الانبياء وجعلهم الحكام فى أممهم بعدهم بمثل ما كان الانبياء يحكمون فيهم (١٤٠) وأمر الناس بمتابعة أولى الأمر وطاعتهم فقال تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) (١٤١) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) (١٤٢) فلو لم يكن فى الأمة صادقون واجبوا الطاعة يجب علينا أن نكون معهم لاستحال أن يكلف انسان كن مع فلان ولا فلان فى العالم (١٤٣) .

والباطنية بهذه السذاجة وتلك البساطة يهربون أمام عجزهم عن الاتيان بالنص من القرآن والسنة الى المغالطة المكشوفة والالتجاء الى العقل لينظموا أدلة عقلية يغطون بها عجزهم ليموهوا على الناس أن لديهم الدليل .

---

(١٣٩) نهاية الاقدام الشهرستانى ص ٤٨٤)
(١٤٠) دعائم الاسلام النعمان ص ٤٠
(١٤١) سورة النساء : آية (٥٩) .
(١٤٢) سورة التوبة آية ١١٩
(١٤٣) نهاية الاقدام الشهرستانى ص ٤٨٤

ونحن وان قلنا بعدم النص . الا اننا لا ننكر احتياج الناس الى الامام بل نقول ان اقامته من أهم الواجبات على الناس . ليحافظ على الشرع ويقيم العدل بينهم . ولهذا فليس احتياجهم الى الامام كاحتياجهم الى نبى مرسل لختلاف دور الامام ومهمته عن دور النبى فى الحياة ومهمته . ولــو كان احتياج الناس الى الامام ، كاحتياجهم الى نبى مرسل لدل هذا على أن الشرع لم يتم . ووجود الامام ضروره لتمامه .

ولو كان وجود الامام ضرورة لتمام الشرع . لما أعلن الله تمامه بقوله تعالى (اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) (١٤٤) .

ولما ختم الله تعالى النبوه بمحمد ﷺ بل جعلها مستمره ما استمرت الحياة هذا اذا كان دور الامام هو دور النبى واحتياج الناس الى الامام كاحتياجهم الى النبى .

ولكن الله سبحانه وتعالى فرق فى الحياة بين دور الامام الذى يقيمه الناس ليقيم العــدل بينهم ويحفظ الشرع وبين دور الرسول الذى يقيمه الله وتختاره العنــاية الالهية ليبصر الناس بالحق ويرشدهم ويهديهم الى الله .

كما أن الله سبحانه وتعالى اكمل دينه ونبه عباده الى ذلك وختم النبوات بمحمد ﷺ ولو كان احتياج الناس الى الامام كاحتياجهم الى النبى لما اكتمل الدين طالما الناس فى حاجة الى امام .

وهذا ما نرفضه ويرفضه ديننا . وايضا نرفض قولهم لو جاز للناس أن يقيموا امامــا لامكنهم أن يقيموا نبيا لمخالفته للواقــع وتصادمه مع العقل السليم .

---

(١٤٤) سورة المائدة : آية ٣ .

مان الناس امكنهم ويمكنهم طالما هناك حياة أن يقيموا لانفسهم أئمة وحكاما .

ولكنه لايجوز ولا يمكن وليس فى مقدور أحد ولو اجتمعت الجن والانس أن يقيموا لانفسهم نبيا . لاختلاف الدور والمهمة والظروف والدوافع بين المرتبتين . فالنبوة كما قلنا اصطفاء واختيار من الله والامامة اختيار من الناس . وهيهات بين المرتبتين .

ولئن جاز تصور هذا فى مفهوم الاسماعيلية . فلن يجوز عند أهل السنة لانهم يفرقون بين المرتبتين وقد جاز لأهل السنة أن أقاموا لأنفسهم أئمة ولكنهم لم يخوضوا فيما هو من عند الله وهو النبوة لايمانهم بعجزهم أولا . وأيمانهم ثانيا بأن الدين قد اكتمل والنبوة قدختمت بمحمد ﷺ .
أما وجوب الطاعة للامام فقد عرفناه بالامر السماوى . كما يقول ابن تيمية .

وهذا لا يتعارض مع مانقول . فنحن نقول بوجوب الامام وبوجوب طاعته ولكننا لم نقول بالنص على معين فطاعة الأئمة والأمر بها أمر مطلق يجوز فى حق الامام وقلنا هذا مسلم فى طاعة الامام على الاطلاق لكن وقع فى التعيين أو متعين من قبل الشرع أو تعيين أهل الاجماع (١٤٥) .

فليست الأحكام منصوصه نصا جليا يستوى فى فهمه العام والخاص (١٤٦) وبالجملة فالنص على معين أن أريد أنه يطاع كما يطاع الرسول فى كل ما يأمر به وينهى عنه ويبيحه وليس أن ينازعه فى شىء كما ليس له أن ينازع الرسول وأن يستبد بالأحكام والامة معا كما كانت مع النبى ﷺ فهذا لا يكون لأحد بعد الرسول ولا يمكن لغيره فان أحدا بعده لا يأتيه الوحى كما كان يأتيه ولم يعرف أحد كل ما عرفه الرسول فلم يبق سبيل الى مماثلته لا من جهته ولا من جهة الرب تعالى (١٤٧) .

---

(١٤٥) نهاية الاقدام : الشهرستانى ص ٤٩٠ .
(١٤٦) منهاج السنة : ابن تيمية ص ٢٦٦ .
(١٤٧) نهاج السنة : ابن تيية ص ٢٦٨ .

الدليل الثانى :

ان عادة الرسول ﷺ تقضى باستخلافه على الأمة شخصا عند غيبته عنهم فى حال حياته كما استخلف على المدينة عند نهوضه للغزوات ولا يخل بذلك البته ولا يترك أهل بلد فوضى أو متساويين لا رئيس لهم فكيف يجوز أن يخلى الأمة بأثرها عند الغيبة الكبرى التى لا رجـوع بعدها بلا امام يقتدون به ويرجعون اليه (١٤٨) .

فكيف لا يعين لهم من يصلح حالهم به معاشا ومعادا (١٤٩) وكيف امسك عن أهم الأبواب كل الامساك فلم ينطق به لا نصـا ولا اشـــارة ولا تعينا الى شخص ولا ذكره بوصف حتى بقيت الأمة على اختـلاف فى الاصول والفروع فمن ضال ومن هاد يدعى كل واحد أنه على الحق وخصمه على الباطل ((١٥٠) .

ويناقش ابن تيمية أراءهم ويرد عليهم موضحا لهم الفرق بين عادة الرسول صلوات الله وسلامة عليه فى حياته من الاستخلاف واختلاف هذا بعد وفاته فيقول ترك النص على معين اولى بالرسول فان كان النص ليكون معصوما فلا معصوم بعد الرسول وأن كان بدون عصمة فقد يحتج بالنص على وجوب اتباعه فى كل ما يقول ولا يمكن أحد بعد موت الرسول أن يراجع الامام اذا أخطأ لأنه معين من الرسول ولا يمكن لأحد أن يذهب الى الرسول بعد أن انتقل الى الرفيق الاعلى ليخبره بخطأ الامام فيأمر برده أو يعزله كما كان يحدث فى حياته ولهذا كان عدم النص على معين أولى من النص وهذا بخلاف من يولية فى حياته فاذا أخطأ أو أذنب أمكن الرسول بيان خطئه أورد ذنبه . وبعد موته لا يمكنه ذلك ولا يمكن الامة عزل توليه الرسـول اياه فكان عدم النص على معين مع علم المسلمين بدينهم أصلح للأمة وكذلك

---

(١٤٨) المواقف وشرحه : الايجى ص ٣٥٩ جـ ٣ .
(١٤٩) المواقف وشرحه : الايجى ص ٣٥٩ جـ ٨ .
(١٥٠) نهاية الاقدام : الشهرستانى ص ٤٨٥ .

وقع . وأيضا لو نص على معين ليؤخذ منه كما تقول الرافضة بطلت حجة الله فان ذلك لا يقوم به واحد غير الرسول اذ لا معصوم الا هو ومن تدبر هذه الأمور وغيرها علم ان ما اختاره الله لمحمد ﷺ وأمته أكمل الأمور (١٥١).

ولعلم النبى ﷺ أن الصحابة يقومون بذلك التعين ولا يخلون به لم يفعل ذلك لعدم الحاجة اليه كما أنه عليه السلام لم ينص على كثير من الأحكام الشرعية بل وكلهـا الى آراء المجتهدين الذين هم حمـاة الدين وأعلام الشرع (١٥٢) ليبين فضـل المجتهد النـاظر وقصـور القاصر عن رتبة الاجتهاد (١٥٣) .

وقد قام الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين بأمر الامامة بعد رسول الله ﷺ ولم يتركوا الأمة بدون امام ولو كان الصحابة يعلمون أن هناك نصا من الرسول الكريم على الامامة لما خاضوا فى هذا الأمر ولما اختاروا للامامة احد بل ولتمسكوا بالنص .

وفى رأى أن الرسول صلوات الله وسلامة عليه لم يمسك كل الامساك عن هذا الباب كما يتصورون ولكنه كان يعلم الصحابة دائما فى غزواته نظام الاستخلاف ويحثهم على الاجتهاد والرأى والذى أمسك عنه هو النص والتعيين لشخص معين والحكمة التى دعت الرسول الكريم الى عدم النص على فرد بعينه ليخلفه بعد وفاته ما يأتى :

١ ــ ليعلم أصحابه الاعتماد على النفس بعد أن اكتمل الدين وبعد انتقاله ﷺ الى الرفيق الأعلى وكيف يدبرون أمور حياتهم ويجتهدون فى تنظيمها .

---

(١٥١) منهاج السنة : ابن تيمية ص ٢٦٨ جـ ٣ .
(١٥٢) المواقف : الايجى ص ٣٥٩ جـ ٨ .
(١٥٣) نهاية الاقدام : الشهرستانى ص ٤٨٦ .

٢ ــ لو نص على فرد بعينه لأخذت الامامة صورة التأبيد لهذا الشخص حتى ولو أخطأ لعدم العصمة ولأن الأمة لا تملك عزله مع نص الرسول عليه الصلاة والسلام لأن الذى يملك اعطاءه النص هو الذى يملك حق التوجيه والعزل ولهذا فان الرسول الكريم ترك لامته بعد وفاته حق التعيين حتى يكون لهم أيضا حق التوجيه والعزل .

الدليل الثالث :

من البين أنه لا نص فى حق أبى بكر والعباس فتعين أن يكون فى حق على (١٥٤) .

ويحاول النعمان أن يتخذ من تأكيد أهل السنة عدم وجود نص دليلا للباطنية على النص فيقول : قولكم غير جائز قبوله باجماع منا ومنكم ومن جميع المسلمين لأنهم قد أجمعوا على أن النافى للشىء ليس بشاهد فيه وانما الشاهد من أثبت شيئا شهد أنه كان فأنتم نفيتم أن يكون رسول الله ﷺ استخلف أحدا على أمته أو نصب اماما للامة من بعده فلم تشهدوا بشىء وانما نفيتم شيئا انكرتموه ومن شهد بذلك فهوى أولى بالقبول واوجب أن يكون شاهدا منكم لانكم وجميع الامة تقولون فى رجلين قال احدهما سمعت فلانا قال كذا اورأيته يفعل كذا ويقول الآخر لم أسمعه قال ذلك ولا رايته فعل ذلك أن الشاهد بالرؤية والسماع هو الشاهد المأخوذ بشهادته ومن قال لم أسمع ولم أر ليس بشاهد ولا يبطل قوله قول من شهد بالسمع وبالعيان (١٥٥) .

ونحن نقول أن قول النعمان هذا يصح فيما لو اختلفنا معهم على واقعة قد انفردوا بمشاهدتها وسماعها ولم يرها أو يسمع بها احد غيرهم . ولكننا لم نقل اننا لم نسمع ولم نر . ولكن نقول أن ما سمعتموه سمعناه معكم ولكنه لا ينص على الامامة وأن هذا القول من النعمان ينطوى على المغالطة والكذب .

---

(١٥٤) المواقف : الايجى ص ٣٥٩ .

(١٥٥) دعائم الاسلام : النعمان ص ٤٠ .

لأننا نقول أن الأحاديث والوقائع التى ذكرتموها كأدلة لكم شاهدها غيركم كما شاهدتموها والالفاظ التى ترونها يشترك معكم غيركم فى روايتها ولكنكم تحملونها ما لا تحتمل فكيف ينطبق هذا . وقولك فى أن شاهدان أحدهما يقول شاهدت والآخر يقول لم أشاهد .

ثم ما رأيك فى موقعة حضرها الطرفان وروى ما حدث فيها الشاهدان الا أن أحدهما يقول أراد كذا وجميع الشهود الحاضرون يقولون غير ما يقول فاذا ما حكمت بينهم فبماذا تحكم ؟ أتحكم على جميع الشهود بالكذب وتحكم لهذا الفرد الذى شذ عن المجموع بالصدق ؟ أم على الأقل تتشكك فى قوله وتطالبه بالدليل ؟ .

وهذا هو عين ما نطلبه منكم اننا لا نطلب منكم سوى الدليل على صدقكم وصدق ما تقولون .

فان قولكم ان غير على كرم الله وجهه لم ينص عليه وادعاؤكم أن موقف اهل السنة موقف الذى يقول لم أسمع ولم أر . فيه مغالطة للآتى :

١ ــ فقد ذهبت طائفة كثيرة من السلف والخلف من أهل الحديث والفقه والكلام الى النص على امامة أبى بكر وذهبت طائفة من الرافضة الى النص على العباس . وحينئذ فقوله . غير على من أئمتهم لم يكن منصوصا عليه بالاجماع كذب فانه لا اجماع على نفى النص عن غير على (١٥٦) .

٢ ــ ان صاحب الحق عليا كرم الله وجهه لم يقل بهذا وحينما سئل عن عما اذا كان الرسول أوصى له أجاب بالنفى وقال لو كان عندى منه عهد ما تركت أخا بنى تميم بن مره وعمر بن الخطاب يثوبان على منبره ولقاتلتهما بيدى (١٥٧) .

٣ ــ العباس لما سئل نفى وجود النص (١٥٨) .

---

(١٥٦) منهاج السنة : ابن تيمية ص ٢٦٦ .
(١٥٧) الصواعق : ابن حجر ص ٤٧ .
(١٥٨) انظر الصواعق : ابن حجر ص ٤٨ .

فمن أين عرفتم هذا النص . ثم تمسككم بالاجماع وادعاؤكم الاجماع فيه مغالطة فالإجماع عندكم ليس بحجة وانما الحجة قول المعصوم فيعود الأمر الى اثبات النص . فيقول الذى يدعى له العصمة ولم يثبت بعد لا نص ولا عصمه . أنا المعصوم وأنا المنصوص على امامتى (١٥٩) وهل يصدق العقل مثل هذا ؟

٤ — ان كان جميع أصحاب رسول الله اتفقوا على جحد ذلك النص وكتمانه واتفقت طبائعهم كلهم على نسيانه فمن أين وقع الى الروافض أمره ومن بلغه اليهم (١٦٠) .

الدليل الرابع :

كيف يقرون أن الله عز وجل أكمل دينه ولم يبين فيه أمر الامامة التى هى على اقرارهم منه أو هل كان الله عز وجل قال ذلك ولم يكمل دينه حتى اكملوه هم أو كان رسول الله ﷺ قاصراً وعاجزا عن تبيان ما افترض الله عز وجل بيانه فبينوه (١٦١) .

فالامام عندهم كما يقول الدكتور محمد كامل حسين . حجة الله على عباده وهاديهم الى الطريق القويم فوجب على كل مؤمن أن يتبع هذا الامام وجعلوا ولاية الامام أحد أركان الدين ودعائمه بل ذهبوا الى أن الولاية أفضل دعائم الدين وأقواها ولا يستقيم الدين الا بها قال المؤيد فى الدين هبه الله الشيرازى فى مجالسه فلو أن رجلا عمل بفرائض الله وسنته التى جاء بها رسوله كلها ثم لا يقترن بعمله اعتقاد ولاية الرسول عليه الصلاة والسلام الآتى بها لم يغن عنه ما عمل فتيلا ولم يتبع غير أهل النار سبيلا ... اذ الولاية هى الأصل الذى يدور عليه موضوع الفرائض (١٦٢) .

---

(١٥٩) منهاج السنة : ابن تيمية ص ٢٦٦ .
(١٦٠) الفصل : ابن حزم ص ١٦
(١٦١) دعائم الاسلام : النعمان ص ٤٠ .
(١٦٢) أدب مصر الفاطمية : محمد كامل حسين ص ٢٢ .

وهكذا أسرفت الباطنية كل الاسراف فى حقّ الامامة حتى جعلتها فرضا بل وأجل الفرائض والاسلام يرفض هذه الحماقة لانّ نصوصـــه لم تذكر لا بالتصريح ولا بالاشارة أن الامامة ركن من أركان الدين اذ لو كانت ركنا من أركان الدين لنص عليها صراحة وأمر بها وحذر من تركها مثلها مثل سائر الفرائض .

يقول الشهرستانى . هى ليست من أصول الاعتقاد بحيث يقضى النظر فيها الى قطع ويقين (١٦٣) (وهى أيضا ليست فريضة كما يقول النعمان) والا لأنزل الله تعالى بها آية واضحة ولما أنكرها أحد ولأصبحت لازمة دينا كما لزمت الصلوات الخمس دينا (١٦٤) وحاشا لله أن لا يكمل دينه وللرسول أن يكون عاجزا أو مقصرا ولكن ترك الرسول (هذا الأمر لاختيار الأمة) وعدم النص كاف فى عدم فرضيتها لانه لو نص على معين لكان يتولىَ من بعده اذ لو لم يكن منصوصا عليه يظن الظان أنه لا يجوز طاعته اذ طاعة الأول انما وجبت بالنص ولا نص معه (أى الثانى) وان قيل كل واحد ينص على الآخر فهذا انما يكون اذا كان الثانى معصوما والعصمة منتفية عن غير الرسول وهذا مما يبين أن القول بالنص فرع عن القول بالعصمة وذلك من أفسد الاقوال (١٦٥) .

الدليل الخامس :

كما يجب حســـن الظن بالصحابة أنهم لا يعدلون عن الاختيار وهم الصفوة الأولى على طراوة القبول للدين . يجب أيضا حسن الظن بالرسول انه اذا علم احتياج الخلق الى من يجمع شملهم ويرفع الخلاف بينهم ويحملهم على منهاج الشرع وينتصف للمظلوم من الظالم وأنتم فى حاجة الى من ينهج منهجه فى دعوة المخالفين باللسان والسيف (اكثر من حاجتكم) الى

---

(١٦٣) نهاية الاقدام : الشهرستانى ص ٤٧٨ .
(١٦٤) نهاية الاقدام : الشهرستانى ص ٤٨٢ .
(١٦٥) منهاج السنة : ابن تيمية ص ٢٦٨ .

مسائل الاستنجاء والمسح على الخفين والتيمم بالتراب وغير ذلك فاذا كان لم يقصر فى ايراد حكم فى كل باب يستدل به على نظائره (١٦٦) .

واذا كان اهمال الجزيئات كحلاقة الشعر وقص الشارب حين الحج أو آداب الدخول الى بيت الخلاء والاستنجاء وآداب الجماع وأمثالها من صغار الأمور لم يجز على البارى (أن يتركه بل نص عليه) فكيف يجوز عليه ذلك فى مثل هذا الأمر الخطير (١٦٧) .

ونحن وانَ اختلفنا مع الباطنية فيما يذهبون اليه ويوجهونه من تهم الى الصحابة وانهم انكروا النص .

الا اننا نحسن الظن بالصحابة بل نؤكده كما أكدته تعاليم الاسـلام ونحسن الظن والايمان بالرسول وبكل ما جاء به .

وانما الذى ننفيه وننكره هو اختراع الأحاديث الكاذبة ونسبتها الى بعض الصحابة . لأنَ حسن الظن بالرسـول صلوات الله وسلامه عليه فرض .

وحسن الظن بالصحابة واجب لأنه عن طريقهم استقينا معارف ديننا وهم الذين دافعوا بأوراحهم وأموالهم عن الدين وحمايته وعلى فرض أنهم تواطئوا على نكران ذلك النص .. فما الذى حملهم كلهم أولهم عن آخرهم على أن يتفقوا على جحد نص النبى ﷺ على امامة على ومن المحال أن تتفق آراؤهم كلهم على معرفة من ظلمهم وغصبهم حقهم (١٦٨) . فان كان جميع أصحاب رسول الله اتفقوا على جحد ذلك النص وكتمانه واتفقت طبائعهم كلهم على نسيانه فمن أين وقع الى الروافض أمره ومن بلغه اليهم (١٦٩) .

---

(١٦٦) نهاية الاقدام : الشهرستانى ص ٤٨٥ .
(١٦٧) عقيدة الشيعة دونالدسن ص ٣٣١ .
١٩٨) الفصل ابن حزم ص ١٣ .
(١٦٩) الفصل : ابن حزم ص ١٦ .

ونص الرسول على كثير من الاحكام والأمور لا يلزمه أن ينص على فرد بعينه أن يكون اماما . كما أنه عليه السلام لم ينص على كثير من الاحكام الشرعية بل وكلها الى آراء المجتهدين الذين هم حماة الدين وأعلام الشرع (١٧٠) .

ويستدل الرازى على ذلك بما حدث فى غزوة مؤته من رسول الله ﷺ : حينما استخلف على الجيش زيد بن حارثه ثم قال لهم فان أصيب فجعفر بن أبى طالب فان أصيب فعبد الله بن رواحه فان أصيب فليتزم المسلمون رجلا فلما قتل الثلاثة اختاروا خالد بن الوليد فأقرهم ولم ينكر ذلك عليهم (١٧١) .

الدليل السادس :

لا تصرف لأهل البيعة فى غيرهم فلا يصير فعلهم واختيارهم حجة على من عداهم (١٧٢) وكما أن القضاء وكذا الحسبة أمر جزئى ولا ينعقدا بالبيعة العظمى لجميع المسلمين كافة (١٧٣) ومن البداهة أن من لا يقدر على أسهل الأشياء لا يكون قادرا على أعظمها فان لم تقدر الامة على تعيين المناصب النازلة كالقضاء فكيف تصبح قادرة على تولية أعظم المناصب وأخطرها وهى الامامة (١٧٤) .

ونحن لا نسلم لهم أن تصرف أهل البيعة ليس بحجة على غيرهم ، لأن أهل البيعة هم أهل العقد والحل فى الأمة وبيعتهم هى بيعة الأمة وفعلهم هذا يستند الى الدروس التى علمها لهم رسول الله ﷺ حينما كان لا يتركهم فى غزواته ورحلاته دون أن يستخلف عليهم ويقيم من ينوب عنه مدة غيابه

---

(١٧٠) المواقف : الايجى ص ٣٥٥ .
(١٧١) نهاية العقول : الرازى ص ٢٤٣ جـ ٢ .
(١٧٢) المواقف : الآيجى ص ٣٥٣ .
(١٧٣) المواقف : الايجى ص ٣٥٢ .
(١٧٤) نهاية العقول : الرازى ص ٢٤٣ .

عن المدينة بتنظيم شئونهم وأهل البيعة حينما يعقدون البيعة لاحدهم ليتولى مسئولية الامامة انما ينوبون عن صاحب الشرع فى تنصيب من يرعى شئونهم.

كما لا نسلم عدم انعقاد القضاء و الحسبة بالبيعة كما يقول ألايجى للخلافة فيه وأن سلم عدم انعقاد صاحبه فذلك عند وجود الامام لامكان الرجوع اليه فى هذا الأمر اما عنـــد عدمه فلابد من القول بانعقاد البيعة تحصيلا للمصـــالح المنوطـــة به ودرءا للمفاسد المتوقعة دونه أى دون القضاء (١٧٥) .

موقف الاسلام فى الرد على الباطنية :

يتصـــدى علماء الاســـلام وجهابذة أهل السنة للرد على الباطنية ويدحضهم أدلتهم العقلية فى النص على الامامة دليلا دليلا ويكشفون النقاب عن أكاذيبهم يقول الشهرستانى : لو ورد نص على امام بعينه لكانت الامة بأسرهم مكلفين بطاعته ولا سبيل لهم الى العلم بأدلة العقول والخبر لـــو كان تواترا لكان كل مكلف يجد من نفسه العلم بوجوب الطاعة له والا لزمه دينا كما لزمه الصلوات الخمس دينا (١٧٦) ولما تركوا من معه النص الى غيره لأن مخالفة النص مع وجوده اثم .

ولو لم تكن الخلافة حقا لما اتفق عليه الصحابة ولنازعه على رضى الله عنه كما نازع معاوية ولا احتج عليهم (١٧٧) ولو وجد نص ما الذى منعه ومنعهم من الكلام واظهار النص الذى يدعيه . اذا مات عمر رضى الله عنه وبقى الناس بلا رأس ثلاثة أيام أو يوم الثقيفة (١٧٨) فســـكوت (على) عن الاحتجاج به الى يوم خلافته قاض على من عنده أدنى فهم وعقل

---

(١٧٥) المواقف : الايجى ص ٣٥٢ .
(١٧٦) نهاية الاقدام : الشهرستانى ص ٤٨
(١٧٧) العقائد النسفية : النسفى ص ١٤٢
(١٧٨) الفصل : ابن حزم ص ١١٥ ج

بانه علم منه لا نص فيه على خلافته (١٧٩) ولما تصور سكوت القوم اذ سكوت واحد من القوم فى موضـــع اختلاف الناس فى تعيين الامـــام (لا تتصور) .

اليس لما كان عند أبى بكر رضى الله عنه نص فى تخصيص قريش بالامامة روى ذلك فى حال دعوة الأنصار فسكتوا عن الدعوى وصـــارت الامامة مخصوصة بقريش نصا .

كذلك لو كان عند أحد نص فى تخصيص بنى هاشم لنقل ذلك حتى يرتفع النزاع فان منازعة الأنصار قريشا كمنازعة بنى هاشم عليا (١٨٠) وأيضا لو وجد نص جلى على أمامة على لمنع به غيره من الامامة كما منع أبو بكر الأنصار بقوله الأئمة من قريش .

ومع كونه خبر واحد فأطاعوه وتركوا الامامة لأجله . فكيف يتصور أن يوجد نص جلى متواتر فى على وهو بين قوم لا يعصون خبرا لواحد

فى ترك الامامة وشأنهم فى الصلابة فى الدين ما يشهدو به بذلهم الأموال والأنفس ومهاجرتهم الأهل والوطن وقتلهم الاولاد والآباء والاقارب فى نصرة الدين ثم لا يحتج عليهم بذلك النص الجلى ولا يقول أحد منهم عند طول النزاع فى أمر الامامة ما بالكم تتنازعون فيها والنص قد عين فلانا لها ولو زعم زاعم أنه أى على فعل ذلك ولم يقبلوه كان ذلك المزاعم مباهتا منكرا للصورة فلا يلتفت الى زعمة ولا يبالى بشأنه (١٨١) .

ومن المحال أن يسمع الجم الغفير كلاما من رسول الله ﷺ ثم ينقلونه فى مظنة الحاجة وعصيان الامة بمخالفة والدواعى بالضرورة تتوفر على النقل خصوصا وهم فى نأناة الاسلام وطراوة الدين وصفوة القلوب (١٨٢) .

---

(١٧٩) الفصل : ابن حزم ص ١١٤ جـ
(١٨٠) المواقف : الايجى ص ٤٩٠ ، ٤٩١ جـ ٨
(١٨١) المواقف : الايجى ص ٣٥٩ جـ ٨
(١٨٢) نهاية الاقدام : الشهرستانى ص٤٨١

وما الذى حملهم أولهم عن آخرهم على أن يتفقوا على جحد نص النبى ﷺ على امامة على ومن المحال أن تتفق آراؤهم كلهم على معرفة من ظلمهم وغصبهم حقهم (١٨٣) ٠

وكيف يتصور فى حق أصحاب رسول الله الاتفاق على الباطل وترك العمل بالنص الوارد (١٨٤) ٠ (واذا جاز) أن جميع أصحاب رسول الله اتفقوا على جحد ذلك النص وكتمانه واتفقت طبائعهم كلهم على نسيانه فمن أين وقع الى الروافض أمره ومن بلغه اليهم (١٨٥) ٠

ولو تصورنا أنهم جميعا انكروا النص ومن بينهم على والباطنية تعتقد أنها غرض لكان أعظم الناس خطيئة على كما يقول الحسن المثنى اذترك أمر الله ورسوله وحاشاه من ذلك (١٨٦) فما كان لعلى ابن أبى طالب كرم الله وجه أن يعلم بنص عليه فى الامامة ثم يعلم أنها فرض من الله ثم يتركها ولا يقاتل من أجلها بل لنازعهم كما نازع معاوية كما يقول الايجى ٠

لأن العادة تقضى بالمنازعة فى مثل ذلك ولأن ترك المنازعة مع امكانها مخل بالعصمة اذ هو معصية كبيرة توجب أنثلام العصمة وانتم توجبونها فى الامام وتجعلونها شرطا لصحة امامتة (١٨٧)

ولايجوز أن يظن بعلى أنه أمسك عن ذكر النص خوف الموت وهو الأسد شجاعة (١٨٨) واذا ما احتكمنا الى صاحب القضية على بن أبى طالب كرم الله وجهه وبحثنا فى أقواله فماذا يقول أخرج الدار قطنى وابن عساكر والذهبى وغيرهم أن عليا لما قدم البصرة قام اليه رجلان وقالا له أخبرنا عن مسيرك الذى سرت فيه لتستولى على الأمراء وعلى الأمة تضرب

---

(١٨٣) الفصل : ابن حزم ص ١٦
(١٨٤) العقائد النسفية :
(١٨٥) الفصل : ابن حزم ص ١٦
(١٨٦) الصواعق : ابن حجر ص ٤٨
(١٨٧) المواقف : الايجى ص ٣٥٤
(٨٨) الفصل : ابن حزم ص ١١٩

بعضهم ببعض أعهد من رسول الله ﷺ عهده اليك فحدثنا فأنت الموثوق به والمامون على ما سمعت فقال .

أما أن يكون عندى من النبى ﷺ عهد الى فى ذلك فلا والله لئن كنت أول من صدق به فلا أكون أول من كذب عليه ولو كان عنـــدى منه عهد فى ذلك ما تركت أخا بنى تميم بن مرة وعمر بن الخطاب يثوبان على منبره ولقاتلتها بيدى ولو لم أجد الا بردتى هذه . ولكن رسول الله ﷺ لم يقتل قتلا ولم يمت فجاة مكث فى مرضة أياما وليالى يأتية المؤذن أو بلال يؤذن بالصلاة فيأمر أبا بكر ليصلى بالناس وهو يرى مكانى ولقد ارادت أمرة من نسائه أن تصرفه عن أبى بكر فأبى وغضب وقال أنتن صواحب يوســـف مروا أبا بكر فليصل بالناس فلما قبض رسول الله ﷺ نظرنا فى أمورنا فأخترنا لدنيانا من رضيه رسول الله ﷺ لدينه (١٨٩) .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما . قال حضرت أبى حين أصيب فأثنوا عليه وقالوا جزاك الله خيرا فقال راغب وراهب قالوا استخلف فقال اتحمل أمركم حيا وميتا لوددت أنى حظى منها الكفاف لا على ولا لى فان استخلفت فقد استخلف من هو خير منى (يعنى أبا بكر) وان اتركك فقد ترككم من هو خير منى رسول الله ﷺ .

قال عبد الله فعرفت أنه حين ذكر رسول الله ﷺ غير مستخلف (١٩٠) فمن زعم أنه ختم أحدهم وصيته فقد نسب الأمة الى اجتماعها على الخطأ واستمرارها عليه وكيف يحل لاحد من أهل القبلة أن ينسب الصحابة الى المواطأة على الباطل (١٩١)

اصبح الآن واضحا أنه لا نص على امامة فرد معين وفى رد على كرم الله وجهه وأنه لم يكن لديه نص من رسول الله ﷺ أو فى دليل عـــلى

---

(١٨٩) الصواعق المحرقة : ابن حجر ص ٤٧
(١٩٠) صحيح مسلم بشرح النبوى : ص ٢٠ ، ٢٠٥ ج ١٠
(١٩١) صحيح مسلم بشرح النبوى ص ٢٠٦ ج ١٠ تعليق النووى

عدم النص ويكفى أنه من على بن أبى طالب من تنسب الباطنية اليه زورا أنه يدعى النص لنفسه وهذا يؤيد ما ذكره العباس من عدم وجود نص ومحاولة بيعة على أو ادخاله على الرسول الكريم وطالب الولاية له وبهذا تتهافت ادلة الباطنية ويتهدم الدليل تلو الدليل واذا ما ثبت كذب الباطنية فى دعواهم النص على الامامة ننتقل الى الفصل التالى لتكشف عن كذب مدعاهم فى عصمة الأئمة .

الفصل الرابع

عصمة الأئمة عند الباطنية

يسبغ الباطنية على أئمتهم صفات القداسة ويبالغون فى حقهم ويصفونهم فيما يصفونهم بالعصمة وقبل أن ندخل فى حلبة المناقشات نعرف العصمة عند أهل السنة ثم عند الباطنية حتى يتضح مفهومها .. تعريف العصمة عند أهل السنة . يعرف الايجى العصمة فيقول : ان لا يخلق الله فيهم ذنبا (١)

وحقيقة العصمة أن لا يخلق الله تعالى فى العبد الذنب مع بقاء قدرته واختياره (٢) .

فللمعصوم القدرة على المعصية والا لم يكن له ثواب فى تركها ولا يستحق المدح عليها ويكون خارجا عن التكليف ولا تصبح العصمة كمالا أو فضلا أن كان الشخص معصوما بالخير (٣)

تعريف العصمة عند الشيعة :

العصمة لطف من الله بالنسبة الى العبد فلا يجد العبد فى هذا اللطف داعيا لترك الطاعة وارتكاب المعصية وأسباب اللطف أربعة :

أولا — وجود خاصة فى نفس المخصوم أو بدنه تمنعه من الفجور بمقتضى الملكة .

ثانيا — أن له العلم بالمعايب وقبائع المعاصى وكذلك بالمناقب والمحاسن .

ثالثا — تأكيد هذا العلم بالوحى المتتابع والالهام من الله .

رابعا — أن يؤاخذه الله عما يجب تركه وما يقتضى فعله فيعلم دواما ما هو الصحيح .

---

(١) المواقف : الايجى ص ٢٨١ .

(٢) العقائد النفسية : ص ١٤٤ .

(٣) عقيدة الشيعة : دونالدسن ص ٣١٨ .

واذا أراد المعصوم أن يفعل ما هو واجب أعلمه الله بـه قال تعالى فى يوسف « ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه » (يوسف آية ٢٤) . فعلم أن الله لا يترك هدايته لوجوب ذلك منه عما هو محرم فمن اجتمعت له هذه الأمور كان معصوما (٤) .

فالعصمة لطف من الله يفعله الله تعالى بالمكلف لا يكون له مع ذاك داع الى ترك الطاعة وارتكاب المعصية مع قدرته على ذلك (٥) .

وبهذا يتضح أن العصمة ليست خاصية فى نفس المعصوم كما يدعى الشيعة فالعصمة لا تزيل المحنة وبهذا يظهر فساد قول من قال أنها خاصة فى نفس الشخص أو فى بدنه يمتنع بسببها صدور الذنب عنه كيف ولو كان الذنب ممتنعا لما صلح تكليفه بترك الذنب ولما كان مثابا عليه (٦) .

وتتحقق العصمة بقوة ونور الفطنة والاستعداد لذلك مع كثرة العبادة والرياضة والهداية الربانية والتوفيقات الالهية فيصبح هواه تبعا لما أنزله الله ويصل بذلك الى مقام « وما تشاؤن الا أن يشاء الله » ويتحقق فيه الحديث القدسى « كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى عليها » .

فاذا وصل لذلك كان ترك الطاعة وصدور المعصية محالا (٧) .

أدلة الباطنية على العصمة :

الأدلة العقلية . الدليل الأول :

لا سبيل الى معرفة الله الا بالتعليم من الرسول والامام فوجب على الله أن لا يخلى العالم عن المعصوم (٨) ولما كان النبى ﷺ معصوما ..

---

(٤) عقيدة الشيعة : دونالدسن ص ٣١٨ .
(٥) تفيق التطبيق : الجيلاتى ص١٦ .
(٦) العقائد النفسية : ص ٩٤٥ .
(٧) عقيدة الشيعة : دونالدسن ص ٣١٨ .
(٨) النظريات السياسية : ضياء الدين الريس ص ١٦٠ .

فكذلك الامام منه نتلقى الحق واليه نرجع فى المشكلات كما كنا نرجع الى رسول الله ﷺ فانه خليفته وبه نستضىء فى مشكلات التأويل والتنزيل وأحوال القيامة والحشر والنشر فان لم تثبت عصمته فكيف يوثق به (٩) والاسلام لا يثبت للأئمة عصمة لا بالنص ولا بالاشارة كما لا يقر لهم بأنهم هم الذين يعرفون بالله كالأنبياء .

ويرفض صاحب المقاصد هذا الزعم ويرد على من يدعى احتياج الناس الى معلم ليعرفهم بالله وصفاته قائلا .

وجود المعلم ليس شرط افادته فيهما لما ثبت وتقرر عند كل ذى نظر لا ينكره الأكابر من افادة النظر الصحيح العلم للناظر على الاطلاق أى من غير شرط كونه فى الالهيات وغاية الأمر أن وجود النظر يتوقف على وجود المقدمات الضرورية او المنتهية الى الضرورية منتظمة على هيئة شكل وذلك ممكن ضرورة فيتقرر بما ذكر أنه لا يحتاج الى معلم فى افادته النظر فى الالهيات (١٠) .

وعلى فرض التسليم لهم بأن الامام هو الذى يعرف بالله كالنبى — والنبى قد أقام المعجزة على صدقه فأين معجزة الامام الدالة على صدقه وعلى أنه معصوم .

يقول ابن حزم :

الامام المعصوم لا يعرف انه معصوم الا بمعجزة ظاهرة أو بنص ينقله العلماء عن النبى ﷺ على كل امام بعينه واسمه ونسبه والا فهى دعوى لا يعجز عن مثلها أحد لنفسه أو لمن شاء (١١) واذا ثبت عدم وجود معجزة للامام فمن أين عرفتم كونه اماما ومعصوما كما يقول الغزالى أبضرورة عقل أو بنظر أو سماع خبر متواتر عن رسول الله ﷺ يورث العلم الضرورى ولا سبيل الى دعوى الضرورة .

---

(٩) فضائح الباطنية : الغزالى ص ١٤٢ .

(١٠) المقاصد : أحمد بن يعقوب ص ٧٩ .

(١١) الفصل : لابن حزم ص ١١٤ .

ولا الى دعوى الخبر المتواتر المفيد للعلم الضرورى لأن كافة الخلق تشترك فى دركه وكيف يدعى ذلك وأصل وجود الامام لايعرف ضرورة بل نازع منازعون فيه فكيف تعلم عصمته ضرورة وان ادعيتم معرفة عصمته بدليل آخر (فأين الدليل) .

وكيف يجوز أن تعرف امامته وعصمته بمجرد قوله (١٢) .

وفى رأى ان الباطنية مطالبون امام هذه الادعاءات بالدليل القاطع أو الاتيان بمعجزة تثبت صدق الامام فيما يدعيه لنفسه من الامامة وتثبت عصمته حتى يتضح لنا الامام من غيره منعا للبس فالامامة يدعيها الكثيرون وكل فرد من الذين يدعونها يزعم أنه الصادق ويتهم غيره بالكذب . ولا أدل على الخلط فى الامامة وكثرة مدعيها من فرق الشيعة بل ولقد حدث داخل الباطنية نفسها كما عرضنا هذا من قبل .

ان ادعى عبيد الله المهدى الامامة وصدقه ضمن من صدقه القرامطة ثم تبين لهم أنه ليس بالامام فهاجموه وكذبوه وعلى ضوء هذه الواقعة يمكننا أن نسائلهم .

أولا — ان كان سعيد فى فترة امامته بلغهم بشىء — باعتباره الامام المعصوم — عن ربه ؟ وهم أيضا باعتبارهم حججه قد بلغوه للناس . ثم ثبت كذبه على أيدى القرامطة وغيرهم . فبماذا يحكم الباطنية على المعلومات التى نقلها لهم سعيد ونقلوها لاتباعهم على أنها من المعصوم ، وقد ثبت كذبه . وبالتالى فما بلغه لهم وبلغوه عنه لاتباعهم كذب ولا عصمة لدى الطرفين .

ثانيا — وان كان سعيد صادقا وهم كاذبون . فما بلغه لهم المعصوم لم يصل الى الناس عن طريق المعصوم بل نقله لهم الغير وهو غير معصوم بل كاذب فعلى أى وجه اذا تحمل هذه الأخبار وهذه المعلومات التى وصلت

---

(١٢) فضائح الباطنية : الغزالى ص ١٤٢ .

الى الناس فى أقطار كثيرة كاليمن والبحرين والاحساء وغيرها وانتشرت فترة طويلة بين الناس على أنها من المعصوم وعن طريقها يعرفون حقيقة الله وصفاته وحقيقة التأويل والامامة الخ .

ثم بعد هذا أتكون هذه الأخبار وتلك التفسيرات من معصوم أم من كاذب ؟ وعلى فرض انه معصوم وهم كاذبون فهل وصلت الى الناس أقوال المعصوم أم نقلها الغير وهو مشكوك فيه لعدم العصمة واحتمال الكذب واذا ثبت كذبهم يثبت بالتالى صـــدق ما يقول به أهل السنة وهو أن متابعة الامام لا توجب عصمته .

يقول الرازى : ان المعصوم الذى سيملأ الأرض عدلا لابد أن يفوض الامارة والوزارة الى بعض الناس وذلك المفوض اليه غير معصوم فبتقدير صدور الظلم عنه كيف يتداركه الامام بعد وقوعه لا سيما ان كان الظلم قتلا وهل يقدر الامام الأكبر وحده على شمول العدل ورفع الظلم ومنع البغاة وحده أم مع غيره فان قيل وحده فهذا باطل (١٣) .

واذا كان لا يمكنه التصرف وحده فلابد من التصرف ومعه آخرون من من الأعوان والأعوان غير معصومين فما يصل الى الناس وصل اليهم من غير المعصوم خاصة وأن امامهم عاش فترة طويلة فى كهف الستر وكانت تخرج التفاسير باسم الامام وهذا مما كان له أسوأ الأثر فى نشر نظريات غير اسلامية بل هى تعتبر معاول هدم توجه الى الدين تحت ستار أنها من الامام المعصوم ؟

وربما كان الامام لا يعلم بما يدور وربما نقل هذا الى الناس غير المعصوم فبدله لذا نحن فى حاجة الى معجزة تثبت لنا صدق الامام وصدق دعواه فى العصمة ؟ حتى لا يختلط قول المدعى بقول المعصوم ان كان من يدعى الامامة والعصمة له وجود حقا .

---

(١٣) الاربعين فى أصول الدين : الرازى ص ٤٢٧ .

الدليل الثانى :

الامام يجب أن يكون حافظا للشرع لانقطاع الوحى بموت النبى ﷺ وقصور الكتاب والسنة عن تفاصيل الاحكام الجزئية الواقعة الى يوم القيامة فلابد من امام معصوم من الله تعالى معصوم من الذلل والخطأ لئلا يترك بعض الاحكام أو يزيد فيها عمدا أو سهوا (١٤) .

ويعبر عن وجهة نظر الاسلام فى الرد عليهم ابن تيمية فيقول :

أتعنى بكونه حافظا للشرع معصـــوما وأنه لا يعلم صحة شىء من الشرع الا بنقله أم يمكن أن يعلم صحة شىء من الشرع بدون نقله . أن قلت بالثانى لم يحتج لا الى حفظه ولا الى عصمته فان أمكن حفظ شىء من الشرع بدونه أمكن حفظ الآخر حتى يحفظ الشرع كله من غير حـــاجة اليه وان قلت بل معناه انه لا يمكن معرفة شىء من الشرع الا بحفظه فيقال حينئذ لا تقام حجة على أهل الأرض الا بنقله ولا يعلم صحة نقله حتى يعلم أنه معصوم ولا يعلم أنه معصوم الا بالاجماع على نفى عصمة من سواه . فان كان الاجماع معصوما أمكن حفظ الشرع به وان لم يكن معصوماً لم تعلم عصمته (١٥) ولذا فان ابن تيمية يجعل العصمة لجميع الامة وليس للفرد . وتكون العصمة ثابتة للمجموع بحيث لا يحصل اتفاق الكل على الخطأ واثبات العصمة للمجموع أولى من اثباتها للفرد (١٦) .

لذا يجب أن تكون الامة حافظة للشرع وحفظ الشرع يحصل بمجموع الامة (١٧) ولا يرتضى الشيعة بعصمة الامة ويقولون :

ثبت بالتواتر عن رسول الله ﷺ أن الشريعة التى جاء قد اوجبها على جميع المكلفين الى يوم القيامة فوجب أن يكون وصولها اليهم جميعا

---

(١٤) منهاج السنة : أبو تيمية ص ٢٧٠ جـ ٤ .
(١٥) منهاج السنة : ابن تيمية ص ٢٧٠ جـ ٤ .
(١٦) نظرية الامامة : أحمد صبحى ص ١١٨ .
(١٧) منهاج السنة : ابن تيمية ص ٢٧٠ جـ ٤ .

والا كان ذلك تكليف ما لا يطاق فلابد من حافظ يحفظها من الغير ومن ناقل بنقلها وذلك الناقل وجب أن يكون معصوما . اذ لو لم يكن معصوما لم يكن نقله مفيدا للعلم فان قيل أن مجموع الامة (معصوم عند القائلين بحجية الاجماع مان وجود عصمة كل الامة غير ثابت بالعقل فانا نرى النصارى على كثرتهم مجمعين على الاباطيل فلا سبيل الى معرفة حجية عصمة مجموع الامة الا بالنقل والادلة السمعية ولا يبعد فى كل دليل نقل أن يتطرق النسخ اليه فلا يمكن التسليم أن الاجماع حجة الا اذا عرفنا أنه لا يوجد ناسخ ولا مخصص . واذا بطل ذلك ثبت أن المكلفين بنقل الشريعة وحفظها من التغيير والتبديل أشخاص معينون من قبل الله موصوفون بوجوب العصمة ولا يقال أن الشريعة محفوظة بنقل أهل التواتر لان نقلهم يدل على أن ما نقلوه صحيح لكن لا يدل على أن الذى لم ينقلوه لم يوجد (١٨) .

ويؤكد الشهرستانى حجية الاجماع بقوله :

وانما كان الاجماع حجة لأن المجمعين لمجموعهم معصومون من الخطا والكفر والضلالة وان كان ذلك جائزا فى آحادهم فمجموع هذه الأمة فى العصمة نازل منزلة شخص واحد فى العصمة . ويجوز أن يثبت حكم لمجموع من حيث هو جملة مجموعة ولا يثبت لواحد منهم بخبر التواتر فان العلم يحصل بمجموعة وان لم يحصل بآحاده وكالسكر الحاصل من الاقداح والشبع الحاصل من اللقم وغير ذلك وعليه حمل قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » (١٩) (٢٠) ولو سلمنا لهم جدلا بضرورة تلقى العلم عن المعصوم فلماذا لا يجوز أن يكون الصحابة كما يقول ابن تيمية الذين حفظوا القرآن والحديث وبلغوه هم المعصومون الذين حصل بهم المقصود وان لم يكونوا هم الأئمة .....

ولما لا يجوز أن تكون العصمة فى الحفظ والبلاغ ثابتة لكل طائفة بحسب ما حملته من الشرع فالقراء معصومون فى حفظ القرآن وتبليغه

---

(١٨) الاربعين فى أصول الدين : ص ٤٣٣ .

(١٩) سورة التوبة .

(٢٠) انهاية الاقدام : الشهرستانى ص ٤٩٢ .

والمحدثون معصومون فى حفظ الحديث وتبليغه والفقهاء معصومون فى فهم الكلام والاستدلال فى الاحكام وهذا هو الواقع المعلوم الذى أغنى به الله عن واحد معدوم (٢١) .

الدليل الثالث :

الحاجة ليست فقط لامام يحفظ الشرع وانما ليفسر الأحوال المتجددة فانا نعلم بالضرورة أن الله أنزل قرآنا لنعلمه ونعمل به غير أنه لا طريق لنا الى ذلك الا بالمعصوم أولا لأن القرآن تطرق الى تأويله وتفسيره التغير والتبديل والتحريف والدليل عليه ما نرى من الآيات التى تبدو متعارضات فبعضها يدل على التنزيه وبعضها يدل على التشبيه ومنها ما يدل على أن أفعال العباد بقضاء الله وقدره وارادته ومشيئته ومنها ما يدل على أنها ليست كذلك وقد تكلف المتكلفون من المفسرين لرفع ما يبدو متناقضا وذهبوا فى ذلك الى تأويلات بعيده ... فثبت اذن أنه لابد من معصوم يعلمنا التفسير الحق وامام يعرفنا القرآن الذى أنزله الله على رسوله (٢٢) .

وتحسب الباطنية نفسها وهى تتزرع بهذه الحجج الواهية أنها حصلت على الدليل الذى تغطى به كذبها المفضوح وتقيم نظرية العصـــمة التى تهدمت ولكن الحق يدمغهم والواقع يكذبهم ويفضح حججهم ويبطلها فانه من الثابت الذى لا يتطرق اليه الشك أن القرآن الذى بأيدينا هو الذى أنزله الله سبحانه وتعالى على محمد ﷺ من غير تحريف أو تبديل فقد قام الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ومنهم على رضى الله عنه بجمعه وأتفقوا عليه وأقروه على هذا الشكل .

فاذا كان الصحابة جميعا ومعهم على الذى تدعى الباطنية أن لديه التأويل الحق قد اتفقوا على أن هذا القرآن الذى تم جمعه والذى هـــو بأيدينا هو ما انزله الله على محمد ﷺ من غير تحريف أو تبديل أو زيادة أو نقصان . فمن أين يتطرق اليه الشك . الا من قوم مجرمين .

---

(٢١) انظر منهاج السنة : ابن تيمية ص ٢٧١ جـ ٤ .
(٢٢) انظر نهاية العقول : الرازى ص ٢٣٨ .

وعلى أسوأ الفروض هب أن الصحابة جميعا أخطأوا فهل جاراهم على رضى الله عنه فى هذا الخطأ فان كان على رضى الله عنه أخطأ . فقد انثلمت عصـــمته ؟ وهم لا يقولون بهذا وان كان لم يخطىء ففعله وفعل الصحابة سليم .

فالقرآن بالتالى كله سليم ولم يعتريه أى تبديل أو تحريف واذا ثبت هذا وهو ثابت قطعا . فلسنا فى حاجة الى امام يرشدنا الى الحـــق الذى بأيدينا . فاننا نعرفه كما يعرفه هو .

وأما تفسير القرآن الذى بأيدينا فقد تنقالته الينا الأجيال جيل عن جيل عن الصحابة عن رضوان الله عليهم أجمعين . والصحابة هم أدرى الناس بتفسير القرآن لانهم عاصروا نزوله كما نزل بلغتهم وبينهم .

ويمكننا حينما نشك فى رواية أن نردها الى القرآن نفسه فالقرآن يفسر بعضه بعضا . أو نبحث عن تفسيرها فى السنة المطهرة أو تطابقها بقواعد اللغة التى نزل القرآن الكريم بها .

وبهذا يسهل علينا فرز الدخيل على تفسير كتابنا من الأصيل . وهذا الأمر لا يحتاج الى امام لانه ميسور بين أيدينا .

وعلى فرض أن هذه المعلومات التى تناقلتها الاجيال عن الصـــحابة مشكوك فيها وأن ائمتهم لديهم العلم الحقيقى ؟

فلماذا يتلقى أئمتهم العلم من علماء المسلمين من غير الباطنية . واذ كان أئمتهم يتلقون علومهم من السماء فهم ليسوا فى حاجة الى التعلم من علماء المسلمين ؟ الذين يصفونهم بأن علومهم باطلة .

واذا كانت علوم علماء الاسلام باطلة فلماذا يتلقون العلم عنهم ؟

أم أن هذا التعليم من علماء المسلمين لاستكمال العلوم التى لم تمنحها لهم السماء ؟

ام أن السماء لم تمنحهم أى علم وانما هم أدعياء ؟

ان كان الأول . فهو يدعو الى الاختلاط بين علوم السماء الحقة وبين العلوم الباطلة وهذا يدعو الى الشك فى علومهم لانها مختلطة . ولا ندرى أيها من السماء وأيها من الأرض ؟

واذا كان الثانى وهو الواقع فقد انهدمت نظريتهم فى دعوى عصمة الأئمة وارث العلم الالهى وفشلت كل أسلحتهم .

وهذا ما نقرره ويقرره الواقع ويرتضى به العقل السليم .

ويقرر ابن تيمية أن أئمتهم لم يختصهم الله بعلم وأنهم يتلقون علومهم من علماء المسلمين فيقول ان ما عندهم من علم فهو من كلام من قبلهم .. بل كان فى زمانهم من هو أعلم منهم .

ثم يستدل على ذلك بقوله :

١ — أن القوم المذكورون كانوا يتعلمون الحديث من العلماء به كما يتعلم سائر المسلمين وهذا متواتر عنهم فعلى ابن الحسين يروى تارة عن عن ابان بن عثمان بن عفان عن أسامة بن زيد مولى النبى ﷺ وأبو جعفر محمد بن على يروى عن جابر عن عبد الله حديث مناسك الحج الطويل وهو من أحسن ما روى وهذا الطريق رواه مسلم من حديث جعفر بن محمد عن جابر .

٢ — ليس فى هؤلاء من أدرك النبى ﷺ وهو مميز الا على رضى الله عنه وهو الثقة الصدوق فيما يقول (٢٣) .

ثم يتساءل الرازى عن امامهم الذى لديه التفسير الذى يفيد التعين « فيقول أنتم لم تشاهدوا الامام وبالطريق التى جاز لكم وصول الشريعة جاز وصولها الينا أما تفسير القرآن فهو يحمل على ظاهرة فان منع ذلك مانع عقلى أو سمعى وجب حمل الآيات على المجاز ان كان وجه المجاز واحد وان كان وجه المجاز أكثر من واحد مانه يرجح واحد على الآخر ان وجد مرجح ولا قلنا ان الله أرادها على الجميع .

---

(٢٣) انظر منهاج السنة : ابن تيمية ص ٢٤٨ .

ثم ان الشيعة قد بالغوا فى تصوير الاختلاف بين المفسرين فهم لم يختلفوا فى الأصول العامة للدين كالتوحيد والنبوة (٢٤) .

ثم ان الامام الموصوف بهذه الصفة اما فى زماننا فلا يعرف امام معروف يدعى فيه هذا ولا يدعى لنفسه بل مفقود غائب عن متبعيه ومعدوم لا حقيقة له عند العقلاء ومثل هذا لا يحصل به شىء من مقاصد الامامة (٢٥) .

ويرد الغزالى عليهم تفصيلا فيقول : للالفاظ الشرعية ثلاثة أقسام :

١ — ألفاظ صريحة لا يطرق اليها الاحتمال فلا حاجة فيها الى معلم بل نفهمها كما تفهمون كلام المعصوم ولو احتاجت الى مؤول آخر لاحتاج كلام المعصوم الى مؤول ولتسلسل الامر .

٢ — ألفاظ مجملة ومتشابهة كحروف أوائل السور فمعانيها لا تدرك بالعقل بل على لسان الرسول صلوات الله عليه وسلامه عليه فيتم ذلك سماعا .

ولا يخلو اما أن لا يذكره الرسول لانه لا حاجة الى معرفته ولم يكلف الخلق به فالمعصوم شريك فى أنه لا يعرفه واذا لم يسمعه من الرسول وان عرفه وذكره فقد ذكر ما بالخلق مندوحة عن معرفته .

ثم ان ذكره الرسول فقد اشترك فى معرفته مع غيره وبلغنا تواترا وفيه عن ابن عباس وجماعة من المفسرين نقل فان كان متواترا أفاد علما والا أفاد ظنا والظن فيه كاف بل لا حاجة الى معرفته لانه لا تكليف فيه .

وأما ما لا تكليف فيه لا يجب معرفته بل مصلحة الخلق فى اخفائه عنهم فمن أين عرف المعصوم بذلك . ولا مجال للنظر فى تعيين الوقف .

واذا كان الرسول ذكره سرا لعلى بن أبى طالب وذكره كل امام مع وصية فلا فائدة للخلق فيه وهو سر لا يجوز أن يذكر الا مع الأئمة .

---

(٢٤) نهاية العقول : الرازى ص ٢٣٥ .
(٢٥) منهاج السنة : ابن تيمية ص ٢٤٧ جـ ٣ .

فان ذكره معصومكم وأفشى هذا السر الذى أمر الله تعالى بكتمانه اذ قال أكاد أخفيها كان معاندا لله ورسوله وان كان لا يفشيه فكيف يتعلم منه ما لا يجوز تعليمه فدل على أن الأمور العقلية محتاجة الى التعليم ولكن المعلم ان كان ينبه على طريق النظر فيه فلا يشترط عصمته وان كان يقلد من غير دليل فلا بد أن تعرف بالمعجزة عصمته وهو النبى وناهيك به معلما فلا حاجة الى غيره .

٣ — القسم الثالث الألفاظ التى ليست مجملة ولا صريحة ولكنها ظاهرة يجب على الخلق ظنا ويكتفى بالظن فى ذلك القبيل والفن .

وسواء كان ذلك فى الفقهيات وأمور الآخرة أو صفات الله فليس يجب على الخلق الا أن يعتقدوا التوحيد والألفاظ فيه صريحة وان يعتقدوا أنه قادر عليم سميع بصير ليس كمثله شىء وكل ذلك قد اشتمل عليه القرآن وهو مصرح به .

أما النظر فى كيفية هذه الصفات وحقيقتها وأنها تساوى قدرتنا وعلمنا وبصرنا أم لا فقوله تعالى « ليس كمثله شىء » دال على نفى المماثلة لسائر الموجودات وهذا قد اكتفى من الخلق به فلا حاجة بهم الى المعصوم (٢٦) .

ورغم أن الامام الغزالى قد أتى على أدلتهم وأبطلها . الا أنهم نظرا لكثرة ما يدعونه من مسالب تعددت أسلحة الهجوم والهدم لها بقدر تعدد تلك المسالب وها أنا ذا أضيف الى الأدلة التى قدمها الغزالى لهدم أدلتهم ودحضها دليلا آخر استنتجته من سيرة أئمتهم الذين يدعون عصمتهم ولأن كانت أدلة الغزالى غطت الجانب النظرى فان هذا الدليل يكشف عن الجانب العملى والواقعى لحياة وتصرفات أئمتهم وقبل أن نلزمهم الحجة ونكذبهم من واقع أفعالهم وأعمالهم يجب أن نذكرهم ببعض الحقائق التى قرروها وبنو عليها مذهبهم :

---

(٢٦) فضائح الباطنية : الغزالى ص ١١٧ وما بعدها .

١ — أن الامامة فى ذرية اسماعيل بن جعفر دون اخواته .

٢ — لا يجوز تحويلها بعد النص والتعيين .

٣ — الامام معصوم ولا يقول الا الحق .

وتعتبر الباطنية أن من يخالف هذه الأسس فهو خارج عن الدعوة .

وبعد هذا نسوق دليلين :

أولا — ثبت فيما لا يدع مجالا للشك كذب عبيد الله المهدى الذى كان يدعى أنه من ذرية محمد بن اسماعيل وكان يدعى الامامة ثم ورثها أبناءه من بعده (*)

ثانيا — خالف المستنصر والمعز لدين الله قواعد المذهب حينما تراجعا عن النص ثم حول كل منهما الامامة من ابن الى ابن آخر .

وزاد الطين بله الحافظ حينما اغتصب الملك من الآمر بالله ثم حرم ابنه الطيب من الملك واستأثر به لنفسه وتحولت الامامة فى فرعه وهو من أبناء عمومتهم وانتهت فى فرع الآمر (٢٧) .

وكان كل امام منهم فى جميع الحالات يصف الآخر بالكذب ويدعى الحق لنفسه دون الآخر ولم تكن هذه الحوادث مقيدة بزمن معين ولكنها كانت ممتدة على مدى التاريخ الطويل للباطنية .

ولنا الآن أن نسائلهم ؟

لماذا . ادعى سعيد النسب ثم تولى الامامة وهو كذاب .

ولماذا حول المعز والمستنصر الامامة والامامة لا يجوز تحويلها والامام لا يقول الا الحق وكيف تراجع عن النص الاول وتناقض مع نفسه .

ولماذا اغتصب الحافظ الملك من صاحبه ثم حوله لنفسه ولبنيه .

وهل هذه الشنعات بالنسبة لمذهبكم تصدر من معصوم .

وهل هؤلاء الذين حطموا الأسس التى قامت عليها دعوتهم معصومين .

---

(٢٧) انظر تأويل الدعائم : ص ٢٩ مقدمة الاعظمى .

وهل العصمة عندكم هى التغيير والتبديل والتراجع والاضطراب ثم الاغتصاب وهل يقول بهذا عاقل ؟ ان هذه الأفعال التى صدرت من أئمتكم نعتبر عندكم فى مذهبكم من أبشع الجنايات وأفدح الاخطاء ومن أجلها حاربتم وقاتلتم واتهمتم من خالفكم فيها بالكفر .

فهل كفر أئمتكم بارتكابهم هذه الشنعات وتلك الآخطاء .

وهل هذه الاخطاء تصدر عندكم من معصوم ؟ أم من مجرم ؟

ويكفى هذا ردا عليكم من واقع سيرة أئمتكم .

ولو سلمنا جدلا أن الامام المعصوم هو الذى من نسل محمد بن اسماعيل . فأين هذا الامام لنتلقى منه التفسير الحق .

وقد ثبت أن الآمامة خرجت عن هذا الفرع بشهادتكم واعترافكم فان لم تكن خرجت منهم بموت محمد بن اسماعيل فقد خرجت منهم باغتصاب الحافظ لها .

وبهذا يكون خيط العصمة الرفيع السارى فى الأئمة قد انقطع بانتهاء هذا الفرع وأن الأئمة الذين تزعموا الحركة الباطنية ليسوا من نســـل محمد ابن اسماعيل وبالتالى ليسو معصومين لانهم ليسو من فرعه بل هم خارجون ومغتصبون للحكم من دون أهله والسارق والغاصب لا يكون معصوما .

الفصل الخامس

المعرفة عند الباطنية

طريق المعرفة عند الباطنية علم الامام ؟

وهذا يدعونا بادىء ذى بدء أن نعرف المراد بالعلم عند الباطنية ؟ ومن هم الأئمة الذبن يؤخذ عنهم العلم ؟ وكيف وصل اليهم العلم ؟ .

أولا : المراد بالعلم عند الباطنية العلم الحقيقى الذى هو من عند الله (١) .

وهو العلم المأثور عن أوليائه وأنبيائه وأئمة دينه (٢) .

فهو علم الأنبياء والأوصياء اذا لا يعتريه الخطأ ولا السهو ولا النسيان مهو علم لدنى شهودى صادر عن الوحى والحدس والالهام والله ضـــامن لصحة هذا العلم لأنه من عنده . وكل ما يحصل لغير المعصومين والأوصياء فكرا يحصل لهم حدسا أو بداهة وما يحصل للناس بالحواس يتم لهم بالشهود والقياس .

وليس المقصود بالقياس العقلى وانما الانتقال من الظاهر الى الباطن وليس علمهم وقفا على شرائع الدين وأحكامه وانما شئون الدنيا كذلك غير أن الشريعة تصدر عن وحى وما يتعلق بمسائل الدنيا عن الهام وليس علمهم كسبيا لأن ذلك يحتاج الى التعليم ولا فطريا فحسب لأن ذلك وقفا على البديهيات وانما نظرى لدنى فاذا اختار الله عبدا واصطفاه ووأودع قلبه ينابيع الحكمة وألهمه العلم الهاما فلا يعى بعده فى جواب ولا يحتار فى وجه الصواب

---

(١) تأويل الدعائم النعمان ص ٣٦ .
(٢) تأويل الدعائم النعمان ص ٦٦ .

وانما هو مؤيد موفق مسدد ملهم قد أمن من الخطأ والذلل والعثار قال تعالى « بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم » (٣) فكان الامام الصادق يقرأ الآية ويشير الى صدره (٤) .

وقد ورث الأئمة علم النبى وعلوم الأنبياء جميعا فعندهم علم جميع الكتب التى نزلت من عند الله وانهم يعرفونها على اختلاف ألسنتها وهم يعلمون القرآن كله وتفسيره وتأويله وناسخه ومنسوخه ومحكمة ومتشابهة أمـا الأنبياء فآيات القرآن تشير الى أنهم ما أحاطوا بكل شىء علما فموسى كان ينقصه علم الباطن الذى وهبه الخضر اما الامام فقد نسب الى الصادق قوله ورب الكعبة لو كنت بين موسى والخضر لاخبرتهما انى أعلم منهما ولا نبأتهما بما ليس فى أيديهما لأن موسى والخضر عليهما السلام أعطيا علم ما كان ولم يعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتى تقوم السـاعة وقد ورثناه من رسول الله وراثة « وأوتى سليمان منطق الطير ولكنه لم يكن لديه علم الذى عنده علم من الكتاب الذى قال « أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك » (٥) فمثل الأئمة والأوصياء كمثل صاحب موسى ومن عنده علم الكتاب سئل الصادق عن الأئمة بمن يشبهون وما منزلتهم ممن مضى فقال كصاحب موسى وذى القرنين كانا عالمين ولم يكونا نبيين اذ لهما ما للنبى (٦) .

والامام يعلم ما فى السموات وما فى الأرض وما فى الجنة وما فى النار وما هو كائن وما سيكون الى يوم القيامة (٧) .

والعلم عندهم ليس للمعرفة فقط وانما للتطهير أيضا يقول النعمان : العلم يطهر من أحداث النفوس الباطنة وأفاعيلها الردية الموبقة (٨) فهناك

---

(٣) سورة العنكبوت آية ٤٩ .
(٤) نظرية الامامة أحمد صبحى ص ١٤٥ ، ١٤٦ .
(٥) سورة النمل الآية (٤٠) .
(٦) المرجع السابق .
(٧) نظرية الامامة : أحمد صبحى ص ١٤٨ .
(٨) تأويل الدعائم : النعمان ص ٧٢ .

أشياء يجب التطهير منها بالعلم كما يجب التطهر بالماء مثل الغائط مثل الكفر والذى يطهر منه العلم بالايمان بالله .

مثل البول مثل الشرك والذى يطهر منه من العلم توحيد الله .

مثل الريح مثل النفاق والذى يطهر منه من العلم التوبة الخ (٩) .

وكل علم غير ذلك فانما يدعى علما ويدعى عالمه مجازا وكل ما خالفة وان سمى علما فليس بعلم (يعنون علوم أهل السنة من التفسير والحديث وجميع العلوم التى تخالف علومهم ويعتبرون انها السحر فى الباطن والضلال ومن انتحله فهو ضال ومن علمه غيره فهو مضل (١٠) .

ولذلك كان علم أولياء الله غير مطلق الا لمن أطلقوه له لانه لو كان مطلقا لأهلك بعض الناس به بعضا كما يهلك الطفل اذا حمل عليه الطعام فى حين ولادته والجنين اذا استخرج قبل أن ينتهى الى حد التمام (١١).

ثانيا ـــ من هم الأئمة :

هم الأئمة الطاهرين من أهل بيت رسول الله ﷺ فهم أصل العلم الذى استودعهم الله عز وجل اياه وفضلهم به وخصهم بنوره وجعلهم حفظته (١٢) .

ثالثا ـــ كيف انتقل اليهم هذا الارث :

ان هذا الارث السماوى والذى انتقل بين الأنبياء حتى وصل الى محمد صلوات الله وسلامه عليه فأودعه محمد ﷺ كما يقول الدكتور محمد كامل حسين .

---

(٩) تأويل الدعائم : النعمان ص ٧٩ .
(١٠) تأويل الدعائم : النعمان ص ٧١ .
(١١) الهمة فى آداب الأئمة : محمد كامل حسن ص ٥٥ .
(١٢) دعائم الاسلام : النعمان ص ٩٧ .

عند وصية الذى دل ببلاغته عليه فقال أنا مدينة العلم وعلى بابها فمن أر د العلم فليأت البـــاب (١٣) ثم نقل ذلك العلم الى ذريته الذين اصطفاهم الله لحمله حفظا وصحفا (١٤) فلم يكن الرسول ﷺ يعلمهم من ذلك ظاهر دون باطن ولا باطن دون ظاهر بل أسبغ الله عليهم به كما أخبره (يعنون قوله تعالى واسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنة) (١٥) .

فعلمهم مما علمه الله تعـالى ظـاهر العلم وباطنـه بأن علمهم تنزيل الكتـاب وأخبرهم بواجب الســـنة وأوقفهم عـلى امام زمانهم من بعده وعلى واجب الامامة للصفوة من ولده وأودع علم التأويل من أقامه مقامه لهم ليكون معجزة له بأن ينقله كذلك واحد منهم فيمن يخلفه للامة ويقوم فيها مقامة من بعده (١٦) .

وربما يرد سؤال ولكن كيف يصل اليهم العلم بعد الرسول وانقطاع الوحى ؟

يبنون اجابتهم على التفريق بين الرسول والنبى والامام .

فيقولون : الرسول هو الذى ينزل عليه جبريل فيراه ويسمع كلامه وينزل عيه الوحى وربما رأى فى منامه نحو رؤيا ابراهيم .

والنبى ربما سمع الكلام وربما رآه الشخص ولم يسمع .

والامام هو الذى يسمع الكلام ولا يرى الشخص (١٧) .

فان الامام يسمع صوت الملاك ولكن لا يراه فى المنام ولا فى اليقظة (١٨)

ويبدو أنهم لا يفرقون بين النبى والامام كما يقول كوربان :

فليس بين الامامة والنبوة البسـيطة أى تلك التى تصاحب رسالة تشريعية من خـلاف فى استعمال الكلمة أما الفكرة والمعنى فواحد فحالة

---

(١٣) المجالس المستنصرية : محمد كامل حسن ص ٢٦ .

(١٤) المجالس المستنصرية : محمد كامل حسن ص ٢٧ .

(١٥) سورة لقمان آية ٢٠ .

(١٦) تأويل الدعائم : النعمان ص ٧١ .

(١٧) نظرية الامامة : أحمد صبحى ص ١٤٦ .

(١٨ تاريخ الفسفة : هنرى كوربان ص ١٠٥ .

الأنبياء القدامى من حيث العرفان هى حالة الأئمة تماما ذلك أنهم يمتلكون الادراك السمعى للملاك فى الحلم . انهم المحدثون الذين يتحدث الملاك اليهم وهذا الوضع ذو أهمية قاطعة فهو أساس الفكرة الشيعية عن دور الولاية الذى يلى دور النبوية كلها وهى تجعل استمر ر النبوة الباطنية تعنى استمرار التاريخ القدساني تحت ستار الولاية ممكنا وذلك لماختم هو النبوة التشريعية وحدها (١٩) .

وهذا واضح الدلالة على أن دور الامامة هو نفس دور النبوة وان كان قد انتهى دور نبوة التشريع فان النبوة الباطنية مازالت مستمرة فى الأئمة .

يقول الدكتور أحمد صبحى تفترق الامامة عن النبوة من حيث العلم وليس من حيث المصدر وانما تختلف عنه فى الوسيلة التى يصل علم الله بها فانقطاع الوحى بعدم نزول الملائكة لا يعنى نزول علم الله لأن الله سدد خطى الأئمة بروح من عنده قال تعالى « وكذلك أو حينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان » (٢٠) .

وقال الصادق منذ نزل الوحى على النبى ما صعد الى السماء وهو فينا (٢١) .

ان جسد الامام ليس جسدا مكونا كبقية أجساد الناس الأخرى من اللحم اذ أن هذا الجسد انما ينتج من مغناطيس كونى يمارس عمله على أجساد المستجيبين الاثيرية ونفوسهم الريحية وهذه البقايا الاثيرية تتصاعد من سماء الى سماء ثم تنزل مطهرة ومعها اشعاعات قمرية فلا يراها الادراك النظرى ثم تحط على شكل ندى سماوى على سطح ماء صافى وعلى بعض الثمار حتى اذا استهلك امام الفترة هذه الماء وهذه الثمار هو وزوجته يصبح الندى السماوى برعما لجسد لطيف هو جسد الامام الجديد (٢٢).

---

(١٩) تاريخ الفلسفة : هنرى كوربان ص ١٠٤ ، ١٠٥ .
(٢٠) سورة الشورى : آية ٥٢ .
(٢١) نظرية الامامة : أحمد صبحى ص ١٤٧ .
(٢٢) تاريخ الفسفة الاسلامية : هنرى كوربان ص ١٥٣ .

ويستدلون بهذا الحديث على أن النور السماوى نور النبوة كان نصفين بين محمد ﷺ وعلى كرم الله وجهه .

ونص الحديث كما ترويه كتب الشيعة ...

لم أزل أنا وأنت يا على من نور واحد ننتقل من الأصـــلاب الطاهرة الى الأرحام الزكية كلما ضمنا صلب ورحم ظهر لنا قدره وعلم حتى انتهينا الى الجد الافضل والاب الاكمل عبد المطلب فانقسم ذلك النور نصفين فى عبد الله وأبى طالب فقال الله تعالى « كن يا هذا محمدا ويا هذا كن عليا » (٢٣) .

فمادة أرواح الأئمةاذن من هذا النور الخلاب الذى بهر المخلصين والمحبين فأمنوا به ايمانا عجيبا ولقد آمن به من قبل الملائكة حين انتقل هذا النور الى آدم فلم يسجدوا فى الحقيقة لآدم وانما لهذا النور الا ابليس أبى واستكبر وقد أمر الله آدم أن ينظر الى قمة العرش فشاهد تلك الاجسام النورانية المقدسة منعكسة فى هذا القدس العظيم كما تنعكس صورة الوجه فى مرآة صافية فاحتوى العرش الالهى انعكاسات الاجسام المقدسة بذلك يؤمن خلص المؤمنين ويكفر اتباع الشياطين من ابليس وجنوده (٢٤) .

وجوب الأخذ عن الأئمة :

تعلموا من عالم أهل بيتى يعنى الامام وممن تعلم من عالم أهل بيتى يعنى حجة الامام تنجوا من النار (٢٥) .

ومن حديث للصادق : أما والله لا يصيب العلم الا من أهل البيت نزل عليهم جبريل عليه السلام (٢٦) وقال الصادق ، نحن أبواب الله وأسبابه لعباده ومن تقرب منا قرب ومن استشفع بنا شفع ومن استرحم بنا رحم

---

(٢٣) أدب مصر : محمد كامل حسن ص ٢٥ .
(٢٤) نشأة التفكير : د. النشار ص ١٦٠ جـ ٢ .
(٢٥) تأويل الدعائم : النعمان ص ٧١ .
(٢٦) الكافى .

ومن أعرض عنا ضل (٢٧) وجعلوا العلم الباطن معجزة الأئمة يقول النعمان : فجعل عز وجل ظاهرة معجزة رسوله وباطنه معجزة الائمة من أهل بيته لا يوجد الا عندهم ولا يستطيع أحد أن يأتى بظاهر الكتاب غير محمد رسول الله ﷺ .

ولا أن يأتى بباطنه غير الأئمة من ذريته وهو علم متوافر بينهم مستودع فيهم يخاطبون كل قوم منه بمقدار ما يفهمون ويعطون أهل كل حد مايستحقون ويمنعون منه من يجب منعه (٢٨) .

ولذا نجد الباطنية لا يقولون بالرأى ولا بالقياس كما يقول الدكتور محمد كامل حسين .

بل رفضوا الأخذ بالرأى والقياس وقالوا بالرجوع الى الامام المعصوم والى علوم أهل البيت التى خصهم الله تعالى دون غيرهم من سائر البشر فعلم الباطن والذى خص الله به الأئمة دعاهم الى القول بأن اعجاز القرآن من ناحية المعنى أقوى من اعجازه من ناحية اللفظ فالقرآن بلفظه ومعناه ولكن اعجازه يظهر بما يحتويه من معان (٢٩) .

ولما كانت المعانى معجزة الأئمة ولا توجد الا عندهم اذا وجب الاخذ عنهم والتعلم منهم ؟ ونحن لا نرى فيما ذكرته وتذكره الباطنية ما يشير الى أن الله سبحانه وتعالى اختص أئمتهم دون غيرهم بالعلم اللدنى كما لم يقم دليل على صدقهم فى دعوى عصمة الائمة وضرورة الاخذ عنهم . ولهذا فان علماء أهل السنة يرفضون مبدأ عصمة الأئمة ومبدأ ضرورة الأخذ عنهم دفاعا عن الاسلام وحفظا لنصوصـــه من التشويه بالتأويلات الفاسدة بالاضافة الى أن ديننا قد اكتمل ولا حاجة بنا الى امام يعيد لنا دور النبوة من جديد لأن النبوة قد ختمت بمحمد ﷺ .

---

(٢٧) الهمة فى آداب اتباع الأئمة : محمد كامل حسين ص ٥١ .
(٢٨) أساس التأويل : النعمان ص ٣٢ .

وبايدنا كتاب الله وسنة رسوله وكل ما يتصل بديننا وما ينظم حياتنا فلسنا فى حاجة الى معلم يبين لنا ما بأيدينا ونعرفه كما يعرفه . أو أن يضيف الى ما بأيدينا جديدا لا نعرفه . لأن هذا طعنا فى كمال الدين وهذا لايقول به مسلم لأن الدين قد تم وأحكم الله كتابه ولم يترك الكتاب الكريم كبيرة او صغيرة ونحن نتأسى فى هذا بقول الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه .

تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى كتاب الله وسنتى .

بهذا المنهج وعلى هذا الدرب سار ويسير علماء أهل السنة يقول حجة الاسلامى الغزالى وهو يفند آراء للباطنية ويرد عليهم : كل ما عرفتموه من صدق الامام وعصمته وبطلان الرأى ووجوب التعلم (من الامام) بما ذا عرفتموه ؟

ودعوى الضرورة غير ممكنة فيبقى النظر والسماع وصدق السمع أيضا لا يعرف ضرورة فيبقى النظر وهذا لا مخرج عنه (٣٠) .

ويلزمهم الحجة السعد صاحب المقاصد ويطلب منهم اقامة الديل على صدق المعلم أولا فى كونه معلما ثم اقامة الدليل على صدق علومه . فيقول : صدق المعلم لابد منه لأن الناظر المحتاج أن لم يعلم صدق المعلم لم يلتفت لتعليمه ولا يعلم صدقه فى التعليم حتى يعلم صدقه فى أخباره أنه صادق (فى دعواه الامامة لنفسه) ولا يعلم صدقه فى أخباره حتى يعلم صدقه فى كلما يعلم به والذى من جملته اعلان صدقه .

أو يحصل للناظر العلم بصدق المعلم بقول معلم آخر فيحصل تسلسل وهو محال اذ لا يعلم صدقه الا بمعلم آخر وذلك الآخر لا يعلم صدقه الا بآخر . وهلم جرا وهو تسلسل (٣١) .

---

(٢٩) أدب مصر الفاطمية : محمد كامل حسين ص ٣١ .
(٣٠) فضائح الباطنية : الغزالى ص ٨٦ .

ويفصل الغزالى الرد عليهم فيقسم العلوم الى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : لا يمكن تحصيله الا بالسماع والتعلم كالاخبار عما مضى من الوقائع ومعجزات الأنبياء وما يقع فى أحوال الجنة والنار فهذا لا يعرف الا بالسماع من النبى المعصـــوم أو الخبر المتواتر عنه فاذا سمع بقـــول الاحاد حصل به علم ظنى لا يقينى .

القسم الثانى : من العلوم النظرية العقلية فليس ما يرشد الى الأدلة فيه بل لابد فيه من التعليم لا ليقلد المعلم فيه بل لتنبيه المعلم على طريقة ثم يرجع القائل فيه الى نفسه فيدركه بنظره وعند هذا فليكن المعلم من كان ولو كان أفسق الخلق واكذبهم فأنا لسنا نقلده بل نتنبه بتنبيهه فلا يحتاج فيه الى معصوم وهى العلوم الحسابية والهندسية .

القسم الثالث : العلوم الشرعية والفقهية وهى معرفة الحلال والحرام والواجب والثواب وأصل هذا العلم السماع من صاحب الشرع والســـماع يورث العلم ... وليت شعرى معلمهم المعصـــوم ماذا يغنى فى هذين الطرفين أيعرف كافة الخلق نصوص أقاويله وهم فى أقصى الشرق والغرب بقول آحاد هؤلاء الدعاة ولا عصمة لهم حتى يوثق بهم أو يشترط التواتر عنه فى كل كلمة وهو فى نفسه محتجب لا يلقاه الا الآحاد والشواذ هــذا لو سلم أنه مطلع على الحق بالوحى فى كل واقعة كما كان صاحب الشرع فكيف والحال كما نعرفه ويعرفه خواص اشياعه المحدقين به فى بلده وولايته . أنه محتجب فكيف يزول ظنه بامامكم المعصوم وأن شافهه به اذ لا معجزة له على صدقه فبأى وجه نثق بقوله وكيف يزول ظنه ... ثم يسائلهم الغزالى ليبطل آخر حججهم فيقول :

فان قيل معرفة صفات الله ومعرفة الشرائع ومعرفة الحشر والنشر كل ذلك لابد منه فمن أين يعرف ؟ قلنا بتعلم من النبى ﷺ المعصوم المؤيد بالمعجزة .

فان قيل ففى كلام الله وفى القرآن المشكلات والمجملات كحروف أوائل السور والمتشابه كأمر القيامة فمن أين يطلعكم على تأويله والعقل لا يدل عليه .

قلنا للألفاظ الشرعية ثلاثة أقسام : ألفاظ صريحة لا يتطرق اليها الاحتمال فلا حاجة فيها الى معلم بل نفهمها كما تفهمون كلام المعصوم اذ لو افتقر صريح كلام الشارع الى معلم ومؤول لافتقر صريح كلام المعصوم الى مؤول ومعلم آخر ولتسلسل الى غير نهاية .

الثانى ألفاظ مجملة ومتشابهة كحروف أوائل السور فمعانيها لا يمكن أن تدرك بالعقل بل تعرف بالسماع من الرسول الكريم ويتم هذا سماعا .

الثالث . الألفاظ التى ليست مجملة ولا صريحة ولكنها ظاهرة فانها نثير ظنا ويكتفى بالظن فى ذلك القبيل والفن (٣٧) .

والذى أخلص اليه :

ان القرآن الكريم وهو كتاب الاسلام لم يترك أمرا من أمور تمام الدين أو صلاح الدنيا الا أبرزه وقرره ووضحه .

ونحن نؤمن بهذا ونؤمن بأن محمدا ﷺ عبد الله ورسوله ونتبعه فيما جاء به وأمر به ونص عليه .

وأما ما لم يأمرنا به كتابنا أو ينص عليه رسولنا ﷺ فلسنا مكلفين به فنحن لا نقر الا ما أقره وصرح به ونرفض ما يرفضه كتابنا ولم ينص عليه رسولنا الكريم واذا كان هناك كتاب آخر أو دين آخر أو نزعة أخرى كالباطنية تأتى بأشياء لم يصرح بها قرآننا أو يقررها رسولنا سواء أكان بقوله أو فعله أو عمله فاننا نرفضها ونعمل على هدمها وتعريتها .

واذا كان محمد ﷺ قد أعطى التنزيل كما تدعى الباطنية وهو ظاهر القرآن الكريم وأعطى التأويل الى أئمتهم ؟

فنحن لا نؤمن الا بما أعطاه الله سبحانه وتعالى الى محمد ﷺ ونرفض ما رفضت السماء أن تعطيه لمحمد ﷺ .

ويكفينا شرفا أننا مسلمون نتبع فيما تبع ﷺ . ونرفض فيما نرفض فى خشوع المؤمنين ما رفضت السماء أن تكلف به محمدا ﷺ .

---

(٣٧) فضائح الباطنية : ص ٧٦ وما بعدها ملخصا .

ثم أعود فأؤكد أن الله سبحانه وتعالى لم يختصهم دون غيرهم بالعلم اللدنى وانطلق لاثبات هذا من النقطة التى انهيت بهاردى عليهم فى نهاية العصمة والزمهم الحجة وأبطل قولهم فأقول : لقد ثبت مما قررناه سابقا وباعترافهم أن عبيد الله المهدى جد الخلفاء الفاطميين ليس من زرية محمد بن اسماعيل .

وهذا السبب دون غيره كاف فى قطع الطريق عليهم وابطال زعمهم .

فان الباطنية تدعى أن العلم اللدنى اختص به الأئمة من آل البيت وهو مستمر فى ذرية محمد ابن اسماعيل ابن جعفر الصادق .

وعلى فرض التسليم جدلا بصحة هذا الادعاء فان العلم الارثى المتنقل كالنور بين الأئمة قد انقطع لانقطاع الأئمة من ذرية محمد بن اســماعيل وانتقال الامامة الى غيرهم والغير بالطبع ليس من فرع محمد بن اسماعيل بل ولا من آل البيت .

وبهذا انقطع خيط العصمة والعلم السارى فى الأئمة ؟

وأصبح الباطنية الآن أمام الأمر الواقع .

اما أن يتوقفوا لعدم وجود امام حقيقى معصوم يحمل امانة العلم الارثى يتعلمون منه ؟

أو يستمروا مع ائمتهم الحالين ؟ أو يلجأ الى الغير ليتلقوا العلم عليه ؟

وهم لا يقولون بالتوقف لأنهم يعتقدون أن الامامة مستمرة .

كما لا يمكنهم ان كانوا صادقين مع أنفسهم أن يتلقوا علومهم من أئمتهم الحالين لأنهم كما ثبت ليسوا معصومين ولا يملكون العلم الارثى لأنهم ليسوا من آل البيت .

واذا زعموا أن ما لديهم من زاد تركه لهم الأئمة الأوائل يكفيهم . لكان هذا هو عين التناقض مع أصول مذهبهم وهو ضرورة وجود الامام الحق من آل البيت واستمرار امامته لمعالجة ما يجد من أمور ؟ .

اذا فلم يبق امامهم وقد تحطم بهم آخر لوح فى السفينة .

الا الالتجـــاء الى الغير للتعلم منه أو البقاء مع ائمتهم وهو كالغير لا يملكون من العلم الارثى شيئا واذا ما التجئوا الى الغير فالى من يلتجأون . هل يلتجئون الى من ينتسبون الى الشيطان أو يلجئون الى من ينتسب الى محمد ﷺ .

فان اختاروا طريق الشيطان وهو ما يسيرون عليه الآن فهم المكابرون والضالون وان اختاروا طريق محمد ﷺ فقدو عادوا الى حظيرة الايمان ودخلوا تحت لواء الاسلام .

وعليهم أن يؤمنوا بما نؤمن به وهو عدم عصمة الأئمة .

الفصل السادس

التقيـــة

لعبت الظروف السياسية دورا هاما وأساسيا فى اختفاء بعض أئمة الباطنية وألجأتهم الى عدم الظهور فى ساحة العمل أمام أعدائهم .

الا أنهم كانوا وهم فى كهف الاختفاء يبثون عيونهم ويرسلون دعـاتهم وينظمون دعوتهم وكان التخفى والتنكر يغطى تحركتهم ويموه على أعدائهم ملا يعرفونهم أو يعرفوا مكانهم وطالت بهم هذه الفترة منذ اختفاء محمد بن اسماعيل وحتى ظهور عبيد الله المهدى بالقيروان .

ولهذا فان بحث هذه الفترة يحتاج الى جهد مضنى نظرا لما يحيط بها من غموض وما يكتنفها من سرية وبحثها تاريخيا لا يعنينا الآن انما الذى يعنينا هنا هو :

ما المراد بالتقية ؟

وهل التقية مبدأ من مبادىء الباطنية ؟

وهل التقية بمفهومها عند الباطنية تتمشى وروح الاسلام أم لا ؟

وللاجابة على هذه التساؤلات نقول :

اولا المراد بالتقية :

يقول أحمد أمين المراد بالتقية المداراة كأن يحافظ على نفســه أو عرضه أو ماله بالتظاهر بعقيدة أو عمل لا يعتقد بصحته فمن كان على دين أو مذهب ثم لم يستطع أن يظهر مذهبه فيتظاهر بغيره فذلك تقية .. ومداراة (١) .

---

(١) فجر الاسلام : أحمد أمين ، ص ٢٧٤م .

ويقول ابن تيمية هو أن يقول الرجل بلسانه ما ليس فى قلبه كما أخبر الله تعالى عن المنافقين أنهم يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم (٢) .

وعلى هذا تكون التقية هى اخفاء حقيقة ما يعتقده الانسان واظهار غيره مداراة له من عدوه .

ثانيا — التقية مبدأ أساسى ورئيسى من مبادىء الباطنية بل وبه تمام الدين وكمال اليقين ولا دين لمن لا تقية له .

يقول الصادق : التقية من دينى ودين آبائى ولا دين لمن لا تقية له ان الله يحب أن يعبد فى السر كما يحب أن يعبد فى العلانية والمذيع لأمرنا كالجاحد له (٣) .

ويقول الصادق أيضا : أقرب ما يكون العبد من الله جل ذكره وأرضى ما يكون اذا افتقدوا حجة الله جل وعز ولم يظهر لهم يعلموا مكانه ... وعندها فتوقعوا الفرج صباحا ومساءا فان أشد ما يكون غضب الله على أعدائه اذا افتقدوا حجته ولم يظهر لهم وقد علم أن أولياءه لا يرتابون ولو علم أنهم يرتابون ما غيب حجته طرفة عين ولا يكون ذلك الا على رأس أشرار الناس (٤) .

والباطنية بهذا القول تجعل التقية أمرا هاما من أمور دينهم ويؤكد هذا ابن تيمية فيقول والرافضة تجعل هذا من أصول دينها وتسمية تقية ، ويرفض ابن تيمية نسبة هذا القول الى) آل البيت الذين برأهم الله عز وجل ونزههم عن ذلك (٥) ثم يؤكد أن آل البيت كان دينهم التقوى وليس التقية والتستر كما تزعم الباطنية فيقول :

وكان دينهم التقوى لا التقية وقوله تعالى « لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون الله ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء الا أن تتقوا

---

(٢) منهاج السنة : ابن تيمية ، ص ٢١٣ .
(٣) دعائم الاسلام : النعمان ، ص ٥٩ جـ ١ .
(٤) الكافى : باب الغيبة ، ص ٢٠٠ .
(٥) منهاج السنة : ابن تيمية ، ص ٢١٣ .

منهم تقاة (٦) انما هو الأمر بالاتقاء من الكفار لا الأمر بالنفاق والكــذب والله قد أباح لمن أكره على كلمة الكفر أن يتكلم بها اذا كان قلبه مطمئنا بالايمان لكنلم يكره أحد من أهل البيت على شيء من ذلك (٧) .

ويقول الايجى : جوز الشــيعة اظهار الكفر تقية عند الخوف من الهلاك (٨) .

هــذا فى الوقت الذى كان فيه الشيعة عموما والباطنية خاصة لا يتناصرون من كفار أو يعيشون فى مجتمع تحكمهم فيه أو اليد الغالية عليهم فيه فئة كافرة حتى يختفوا ويؤمنوا بالتقية ويظهروا ما ليس فى قلوبهم لأن ما فى قلوبهم ان كانوا يؤمنون بالاسلام حقا هو ما فى قلوب حكامهم الذين يخشون منهم بل وهم فى الأصل أبناء عمومه ويجمعهم دين واحد فكيف يختفون ويخفون مبادئهم من قوم هم لا يختلفون معهم فى العقيدة .

اللهم الا اذا كان هناك خلاف فى العقيدة لأن الخلاف على الســلطة لا يستدعى تغير العقيدة ؟ ولا خلاف بينهم على العقيدة لانهم جميعا يدينون بالاسلام اللهم الا اذا كانت الباطنية لا تدين بدين الاسلام ولهذا أخفت أمرها حتى لا يقصدها المسلمون بالقتل وهذا ما حدث فعلا وثبت من خلال مبادئهم .

وقد كان الخلاف على السلطة والانتماء الى آل البيت هو الغطاء الذى ،وهت به الباطنية على العامة أهدافها الخبيثة ضد الاسلام والمسلمين .

ثالثا : التقية بمفهومها عند الباطنية لا تتمشى وروح الاسلام لأن الله سبحانه وتعالى أمر رســوله بالتبليغ والاعلان ولم يأمره بالاختفاء ونشر الدعوة فى الظلام وهنا يرد سؤال .

---

(٦) سورة آل عمران : آية رقم ٢٨ .
(٧) منهاج السنة : ابن تيمية ، ص ٢١٣ .
(٨) المواقف : الايجى ، ص ٢٦٤ جـ ٨ .

اذا كانت دعوة الباطنية لا تتناقض ومبادىء الاسلام فلماذا يخفونها أو بمعنى أدق . اذا كان الخلاف بين الباطنية وبين أهل السنة وجماهير المسلمين ينصب على نظام الحكم فلماذا لم تقتصر مسائل الخلاف بينهم على القضايا السياسية دون دخول فى المبادىء والأسس الدينية ؟ وهل الخلاف بين الاخوة أو ابناء العم على المسائل السياسية يدعو أحد الأطـراف وهم الباطنية الى الاختفاء بدلا من الوقوف والمطالبة بحقوقهم السياسية ؟

وأعتقد أنه بالاجابة على هذا السؤال سوف تنحل المشكلة .

وذلك لأن المبادىء الواحدة لا تتغير ولا تتصادم وان جاز أن تختفى الأفراد أو أن ينتهى نهائيا بعض الأفراد .

وفى رأيى أن الباطنية وان كانت تسربلت فى كهف سترها وخفيتها بسربال سـياسى وهو الامامة الا أنها كانت تهدف من وراء هذا لهـدم مبادىء الدين . لأنه لو لم يكن هناك اختلاف بين مبادئهم ومبادىء الدين لفاخروا بها وتمسكوا بها لجمع الناس من حولهم وقد كانت الفرصـة مواتية لهم فقد كان بعض الحكام يسرف فى البذخ والنعيم وكان يمكنهم أن يتجملوا بالمحافظة على الدين والتمسك به ويكسبوا بهذا ثقة الجماهير ومن هنا كان يمكنهم الوصول الى السلطة باسم المحافظة على الدين .

اما أن يختفوا ثم يخفوا مبادئهم فهذا لا يقبله العقل وان جاز له أن يقبله فمن زاوية واحدة وهى مخالفة مبادئهم لمبادىء الدين والا لما أخفوها وعملوا على نشرها فى طى الكتمان وبين جهال الناس وعلمتهم .

ومن هذا يتضح أن الباطنية وان كانت دخلت على الجماهير من باب المطالبة بحق آل البيت فى الامامة . الا أنها استعملت كل معاول الهدم ضد الدين تحت هذا الستار واستظلت بظلال التقية الزائفة لتموه على الناس حقيقتها وتخفى أغراضها .

تعقيب

وعلى الرغم من وضوح هدف الباطنية لدى أغلب كتاب أهل السنة ومعرفة ألاعيبهم وأنه قد ثبت كذبهم ولا يعنيهم سوى تكذيب الصحابة وتشويه صورهم وصولا الى هدم أركان الدين والتشكيك فيها . فقد نجحوا فى أن يشدوا بعض الكتاب من أهل السنة الى الطعن فى بعض الصحابة ايضا دون أن يدرى أحد أو ان يتنبه لألاعيبهم .

فقد نهج نهجهم الكثير من كتاب أهل السنة حينما يعالجون موضوع الامامة فى أن يعقدوا فصلا يقيمون فيه موازنة بين أبى بكر والصحابة من ناحية وبين على رضى الله عنه وآل البيت من ناحية أخرى ويبالغون فى تعدد الفضائل والأدلة عليها ...

ناسين أو متناسين أن الصحابة جميعا متقاربون فى الفضل وهم كالنجوم بأيهم اقتدينا اهتدينا وكيف نسمح لأنفسنا ونجارى الباطنية ونحقق لهم أغراضهم ونفرق بين على وسائر الصحابة . بل وكيف نقصر على عليهم أو نقصرهم عليه .

وكأن الحديث حينما يتطرق الى أهل السنة لا يعنى سوى أبو بكر وعمر .

وحينما يتطرق الى الشيعة لا يعنى سوى على وآل البيت .

حتى أضحت مأساة تدعو للأسى والحزن وتحضرنى فى هذه اللحظة واقعة وقعت فى الباكستان يرويها فضيلة الشيخ الغزالى فيقول :

ومن بين مظاهر الفرقة التى تثير الأسى ما نشرته الصحف أخيرا عن رجال الشرطة فى مدينة كراتشى أعلنوا أن عشرين ومائة شخص من المسلمين قد قتلوا كما أصيب ستة وعشرون شخصا آخرين بجراح على أثر معارك دامية نشبت بين السنيين والشيعة فى قرية « ثارى » التى تبعد خمسا وعشرين ميلا عن العاصمة الباكستانية وأن النيران اشتعلت فى القرية التى دارت فيها المعارك وأن اشتباكا مماثلا وقع فى لاهور راح

ضحيته شخصان ــ كما جاء فى الخبر أن السنيين هم أنصار النبى محمد ﷺ بينما الشيعة هم أنصار على رابع الخلفاء الراشدين (٩) .

واذا كان الباطنية يقسون فى الحكم على الصحابة ويتهمونهم بأبشع التهم . وقد ثبت أنه لا يهمهم الدين فضـــلا عن الصحابة . ونحن نفهم هذا ونعى حقيقة غرضهم .

فلماذا يجاريهم كتابنا ــ وينساقون خلفهم وبدلا من التركيز على دحض شبـــههم يحاولون اقامة الأدلة على أفضلية أبى بكر ــ بل ويعدد بعضهم أخطاء ينسبها لعلى وما ذنب على فى قول مفترى عليه ــ وبدلا من أن نبرىء عليا رضى الله عنه من أقوالهم نجعله هدفا لمقارناتنا .

وهب أن الباطنية لا يعرفون قدر الصحابة . أو بمعنى أدق لا يهمهم الصحابة ألا نعرف نحن قدر على وقدر آل البيت وقدر الصحابة ؟ حتى نجاريهم .

وهب أن هذه الشناعات قد انتشرت ووصلت أقواما جددا يريدون ان يدخلوا فى الاسلام .

فبماذا يحكمون علينا وكيف يفرقون بين الحق والباطل وقـــد امتلأت الكتب بالطعن فى الصحابة من جانب الباطنية من ناحية . وبالاقلال من حق على من جانب بعض أهل السنة من ناحية أخرى ؟ .

الا يدعو هـــذا الى التشكيك فى الصحابة الأجلاء ــ وبالتالى فى ديننا ؟ لأنهم الأمناء فى توصـــيله الينا وبهذا ألا نكون قد حققنا غرض الباطنية . وساعدناهم دون أن ندرى على تحطيم صـــورة الصحابة ، وبالتالى تشويه صورة الدين والتشكيك فى مبادئه التى وصلت الينا عن طريق هؤلاء الصحابة الأجلاء .

واذا كانت قنوات التوصيل ملوثة ــ ألا يكون ما وصل الينا من مياه ملوث أيضا لتلوث القنوات ؟

---

(٩) دفاع عن العقيدة والشريعة : محمد الغزالى ، ص ٣٣٦ .

ولهذه المعانى . تعمدت عدم كتابة هذا الفصل او عمل مقارنة بين أبى بكر وعلى بل اكتفيت بما عمله الصحابة أنفسهم — باجماعهم علـى اختيار أبى بكر وبقول على رضى الله عنه فى حق أبى بكر رضينا لديننا من من رضيه رسول الله ﷺ لديننا (١٠) .

وعملا بقول الرسول الكريم :

« أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » .

واذا كنا قد انتهينا من ذلك وان الباطنية أستعملت فيما استعملت من أسلحة لهدم الدين سلاح الانتساب الى آل البيت والمطالبة بحقهم فى الامامة وبالغت فى ذلك كل المبالغة حتى افترضت امامتهم على الناس .

فهل استعملت فيما استعملت سلاح التأويل لتشويه القرآن الكريم وتحريفه واخراجه عن ظاهره ؟ هذا ما سنبينه فى الباب التالى .

---

(١٠) الصواعق المحرقة : لابن حجر .

البابُ الثالث

تأويل الباطنية لظاهر القرآن الكريم

الفصل الأول

التأويـــل

تبعا لعقيدة الباطنية ونظرتها الخاصة لطبيعة الامام ودوره وتعويلها الشديد على ضرورة تلقى العلم من الأئمة واختصاصهم دون غيرهم من البشر بالعلم السماوى ومعرفة حقيقة التأويل وتحت هذا الادعاء تعرض ويتعرض القرآن الكريم من الباطنية لحملة مسعورة من الهجوم والتشويه والتحريف بدعوى أن للقرآن الكريم ظهرا وباطنا وأن الظاهر لا يعبر عن الحقيقة لأنه قشر وغلاف لها .

وأما الحقيقة فهى مستتره وراء هذا اللفظ وهى التأويل وهو سر أودعه الله لدى الأئمة وهو معجزة الأئمة ، كما أن القرآن الكريم معجزة محمد ﷺ .

وحتى نكشف عن حقيقة هذه الدعوى الخبيثة التى تستهدف أول ما تستهدف هدم الدين وتشويه نصوصـــه وتشـــكيك الناس فى مبادئه وأسسه يجب أولا أن نعرف المراد بالتأويل .

وهذا يستلزم منا .

أن نبحث عن المراد بالتأويل فى اللغة العربية التى نزل القرآن بها لنحدد المراد منها ثم نبحث التطورات التى مرت بها كلمة التأويل منذ عصر الصحابة وحتى المتأخرين ثم نقارن بين هذا وبين ما تدعيه الباطنية من التأويلات فى ظلال ما جاء به القرآن الكريم وما أشار اليه بكلمة التأويل . لنصل الى حقيقة المراد من التأويل ؟

اولا ـــ التاويل فى اللغة :

ففى تهذيب اللغة .

يقول الأزهرى : التأويل فعيل . من آل يؤول تأويلا وثلاثية . آل يؤول أى رجع وعاد . وسئل أحمد بن يحيى عن التأويل . فقال التأويل والتفسير واحد . قلت ألت الشىء جمعته وأصلحته فكان التأويل جمع معان مشكلة بلفظ واضح لا اشكال فيه .

وقال بعض العرب أول الله عليك أمرك أى جمعه .

وكانوا اذا ادعوا على شخص يقولون : لا أول الله عليك شملك .

ثم يقول الأزهرى : عن الليث : التأول والتأويل : تفسير الكلام الذى يختلف معانيه ولا يصح الا ببيان غير لفظه وأنشد :

نحن ضربناكم على تنزيله فاليوم نضربكم على تأويله

واما قوله هل ينظرون الا تأويله يوم يأتى تأويله .

قال أبو اسحاق معناه هل ينظرون الا ما يؤول اليه أمرهم من البعث قيل وهذا التأويل هو قوله عز وجل : « وما يعلم تأويله الا الله » أى يعلم متى يكون أمر البعث . وما يؤول اليه الأمر عند قيام الساعة الا الله .

والراسخون فى العلم يقولون آمنا به . أى آمنا بالبعث .

ثم يقـــول :

وقال أبو عبيدة فى قوله تعالى « وما يعلم تأويله الا الله » التأويل المرجع والمصير مأخوذ من آل يؤول الى كذا أى صار اليه (١) .

وفى القاموس :

أول الكـــلام تأويلا وتأوله دبره وقـــدره وفسره والتأويل عبارة عن الرؤيا (٢) .

وفى لسان العرب :

---

(١) تهذيب اللغة للأزهر : ص ٤٥٨ وما بعدها جـ ١٥ .

(٢) القاموس المحيط : ص ٣٤١ جـ ٣ .

ألت عن الشيء ارتدت عنه وفى الحـديث من صـام الدهر فلا صام ولا آل . أى رجع الى خير .

وأول الكلام وتأوله دبره وقدره وأوله وتأوله فسره وقـوله عز وجل (ولما يأتيهم تأويله) أى لم يكن معهم علم تأويله وقيل معناه لما يأتهم ما يؤول اليه أمره فى التكذيب به من العقوبة .

وفى حديث ابن عباس : (اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل) وعن الليث فالتأويل تفسير ما يؤول اليه الشيء) .

وقال ابو عبيدة « التأويل المرجع والمصير » .

وفى الافصاح فى فقه اللغة .

التأويل . أول الرؤيا تأويلا فسرها والمعنى فسر الشيء يفسره فسرا وفسره وضحه — والتفسير والتأويل واحد أو التفسير كشف المراد عن المشكل واستفسره كذا سأله أن يفسره (٣) .

ويذكر ابن منظور معنى آخر للتأويل . ينقله عن ابن الأثير .

فيقول التأويل هو نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلى الى ما يحتاج الى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ .

وهذا المعنى ينقله الزبيدى فى تاج العروس عن ابن الكمال اذ يقول « قال ابن الكمال » التأويل صرف الآية عن معناها الى معنى تحتمله اذا كان المعنى المحتمل الذى تصرف اليه الآية موافقا للكتاب والسنة .

ثم ينقل عن جمع الجوامع للسبكى أن التأويل « هو حمل الظاهر على المحتمل المرجوح فان حمل لدليل فصحيح أو لما يظن دليلا ففاسـد أو لا لشيء فلعب لا تأويل (٤) .

---

(٣) لسان العرب : ابن منظور ، ص ٣٣ ج ١٣ .
(٣) الافصاح في فقه اللغة : حسن يوسف ، عبد الفتاح الصعيدى ، ص ٣٠١ ج ١ .
(٤) انظر غريب الحديث لابن الأثير ١ — ٨٠ تاج العروس ٧ — ٢١٤ . الامام ابن تيمية : ص ٣٢ ، ٣٣ .

وبهذا يتضح أن للتأويل معنيان استعملهما الصحابة والتابعون وهما :

١ — المرجع والمصير والعاقبة .

٢ — التفسير والتدبر .

ومعنى محدث استعمله المتأخرين والأصولين .

وهو نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي الى ما يحتاج الى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ .

التاويل عند السلف

التأويل عند السلف له معنيان :

أحدهما : تفسير الكلام وبيان معناه (٥) وحسن تقدير الأمور (٦) كذلك فمثلا تأويل هـذه الكلمة على كذا ويكون بمعنى ما يؤول الأمر اليه واشتقاقه من آل الأمر الى كذا يؤول اليه أى صار وأولته تأويـلا أى صيرته (٧) سواء وافق ظاهره أم خالفه فيكون التأويل والتفسير على هذا مترادفين وهذا هو ما عناه مجاهد من قوله « ان العلماء يعلمون تأويله يعنى القرآن وما يعنيه ابن جرير الطبرى فى تفسيره . القول فى تأويل قوله تعالى كذا وكذا وبقوله اختلف أهل التأويل فى هذه الآية (٨) .

ثانيهما : هو نفس المراد بالكلام فان كان الكلام طلبا كان تأويله نفس الفعل المطلوب .

وان كان خبرا كان تأويله نفس الشيء المخبر به وبين هذا المعنى والذى قبله فرق ظاهر فالذى قبله يكون التأويل فيه من باب العلم والكلام

---

(٥) التفسير والمفسرون : د. الذهبى ، ص ١٧ — ج ١ .

(٦) الامام ابن تيمية وموقفه من التأويل الجلیند : ص ٥٠ .

(٧) الجامع لأحكام القرآن : القرطبى ، ص ١٥ ج ٤ .

(٨) التفسير والمفسرون : د. الذهبى ، ص ١٧ ج ١ .

كالتفسير والشرح والايضاح ويكون وجود التأويل فى القلب واللســـان وله الوجود الذهنى واللفظى والرسمى أما هذا فالتأويل فيه نفس الأمور الموجودة فى الخارج سواء أكانت ماضية أو مستقبله (٩) ٠

التأويل عند المتاخرين :

هو : صرف اللفظ عن المعنى الراجح الى المعنى المرجوح لدليل يقترن به وعلى هذا فالمتأول مطالب بأمرين :

الأمر الأول : أن يبين احتمال اللفظ للمعنى الذى حمله عليه وادعى أنه المراد ٠

الأمر الثانى : أن يبين الدليل الذى أوجب صرف اللفظ عن معناه الراجح الى معناه المرجوح والا كان تأويلا فاسداً أو تلاعبا بالنصوص قال فى جمع الجوامع وشرحه (التأويل حمل الظاهر على المحتمل المرجوح فان حمل عليه لدليل فصحيح أو لما يظن دليلا فى الواقع ففاسد أولا لشىء فلعب لا تأويل) (١٠) ٠

ويقول ابن رشـــد :

السبب فى ورود الظواهر المتعارضة فيه هو تنبيه الراسخين فى العلم على التأويل الجامع بينهما (ثم يورد سؤالاً ويرد عليه فيقول) ٠

فان قال قائل ان فى الشرع أشياء قد أجمع المسلمون على حملها على ظواهرها وأشياء على تأويلها وأشياء اختلفوا فيها ؟

فهل يجوز أن يؤدى البرهان الى تأويل ما أجمعوا على ظاهره ؟ أو ظاهر ما اجمعوا على تأويله ؟

قلنا لو ثبت الاجماع بطريق يقينى لم يصح وان كان الاجماع فيها ظنيا فقد يصح ٠ ولذلك قال أبو حامد وأبو المعالى وغيرهما من ائمة النظر

---

(٩) التفسير والمفسرون : د٠ الذهبى ، ص ١٧ جـ ١ ٠
(١٠) التفسير والمفسرون : د٠ الذهبى ، ص ١٨ جـ ١ ٠

انه لا يقطع بكفر من خرق الاجماع فى التأويل فى أمثال هذه الأشياء (١١).

ويرفض (ابن تيمية هذا التعريف الحادث) .

يقول ابن تيمية أن التأويل بهذا المعنى • وهو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح الى الاحتمال المرجوح فهذا الاصطلاح لم يكن بعد قد عرف فى عهد الصحابة بل ولا التابعين بل ولا الأئمة الأربعة ولا كان هذا الاصطلاح معـروفا فى القرون الثلاثة بل ولا علمت أحدا فيهم خص لفظ التأويل بهذا (١٢) .

الا أن هذا المعنى هو الذى شاع أخيرا بأن لكل ظاهر باطنا ولكل تنزيل تأويلا ووضعوا للتأويل قواعد ومن هنا استطاع الباطنية أن يستغلوا التأويل بهذا المعنى أسوأ استغلال مستندين فى ذلك الى الاشتراك المذكور لـكل ظاهر باطن ولـكل تنزيل تأويل ليروجوا عقائدهم تحت ستار علم الباطن بعيدا عن أعين الظاهر المصروف عنه اللفظ (١٣) ولم يتردد (ابن تيمية) فى تسـمية التأويل بهـذا المعنى تحـريفا وتبديلا لكتاب الله وأصـحابه هـم أهـل التحـريف والتبـديل بـل والـذين فتحوا الباب على مصراعيه للفلاسفة والباطنية والقرامطة لحمل كلام الله ورسوله على معانيهم واصطلاحاتهم التى ضللوا بها المسـلمين ومن أجل هذا حارب (ابن تيمية) التأويل بهذا المعنى بكل ما أوتى من حجة وبرهان ولقى فى سبيل ذلك من الأذى ما ينوء به الجبال .

ويعلق الجلنيد بأن الذى دفع ابن تيمية الى هذا ما وجد من مغالات الفلاسفة والصوفية والباطنية والشيعة من مقالات لا أصل لها فى كتاب أو سنة .

وكان القول بالتأويل هو سبيلهم الوحيد لاظهار هذه المقالات بين المسلمين ثم تلقاها عنهم المسلمون بحسن الظن بهم ولم يتنبهوا الى خطورتها

---

(١١) فصل المقال : ابن رشد ، ص ١٦ ، ١٧ .
(١٢) تفسير المنار : محمد عبده ، ص ١٨١ جـ ٣ .
(١٣) ابن تيمية وموقفه من التأويل : للجلنيد .

ولذلك لا تعجب من ابن تيمية حين يكرر على قارئه بين الحين والآخر فى كتاب واحد أن التأويل عطل الآيات عن مدلولها وصرف الشيعة عن اغراضها .

ثميقدم لنا وجهة نظر ابن تيمية فى تقسيم معانى التأويل ؟

ويقول نستطيع القول بأنه لم يرفض التأويل بمعناه المطلق وانما رفض المعنى الحادث المتأخر أما المعنى الأول الذى تحدث به القرآن « حقيقة الأمور ومآلها » فهذا مما اختص الله بعلمه فلا يجوز القول به .

وأما المعنى الثانى الذى تحدث به السلف وهو التفسير والبيان فهذا ما حث عليه (ابن تيمية) .

الفرق بين التفسير والتأويل :

التفسير فى اللغة . الايضاح والتبيين . ومنه قوله فى سورة الفرقان : ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا ...

والتفسير فى الاصطلاح علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بنور الطاقة البشرية ...

والتأويل مرادف للتفسير فى أشهر معانيه اللغوية قال صاحب القاموس : أول الكلام تأويلا وتأوله دبره وقدره وفسره ومنه قوله تعالى « فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله (١٤) وكذلك جاءت آيات كثيرة فيها لفظ التأويل ومعناه فى جميعها البيان والكشف والايضاح (١٥) .

وقال الأصفهانى :

أعلم أن التفسير فى عرف العلماء كشف معانى القرآن وبيان المراد أعم من أن يكون بحسب اللفظ المشكل أو غيره أو بحسب المعنى الظاهر وغيره ...

---

(١٤) سورة آل عمران : آية ٧ .
(١٥) انظر مناهل الفرقان : محمد عبد العظيم الزرقا ، ص ٤٧٠

والتأويل . أكثره فى الجمل والتفسير انما يستعمل فى غريب الألفاظ نحو البحيرة والسائبة والوصيلة أو فى وجيز يتعين بشرح نحو « وأقيموا الصلاة وأتوا الزكاة » (١٦) .

وأما فى كلام متضمن بعضه بعضا لا يمكن تصويره الا بمعرفتها كقوله تعالى .

انما النسىء زيادة فى الكفر (١٧) .

وأما التأويل فانه يستعمل فى لفظ مشترك بين معان مختلفة نحو لفظ « جد » المستعمل فى الجدة والوجود (١٨) .

وقال الراغب .

أن التفسير أعم من التأويل وأكثر ما يستعمل فى الألفاظ .

أما التأويل فأكثر ما يستعمل فى المعانى والجمل وأكثر ما يستعمل فى الكتب الالهية أما التفسير فيستعمل فيها وفى غيرها (١٩) .

وقال الزمخشرى :

التفسير بيان لفظ لا يحتمل الا وجها واحدا والتأويل توجيه لفظ يحتمل معان مختلفة الى واحد منها بما ظهر من الأدلة (٢٠) .

وقال بعضهم :

التفسير هو علم نزول الآية ونصها والأسباب التى نزلت فيها وبيان وضع ألفاظها حقيقة ومجازا والتأويل « أخبار عن حقيقة المراد من الآية » (٢١) . وقالوا فى معنى التأويل .

---

(١٦) سورة البقرة رقم ٤٣ .

(١٧) سورة التوبة رقم ٣٧ .

(١٨) المؤتمر السادس لجمع البحوث الاسلامية مجلد البحوث القرآنية ص ٤٧ نقلا عن كتاب أبى مسلم الأصفهانى .

(١٩) مفتاح السعادة : لطاشى كبرى زاده ص ٥٧٣ جـ ٢ .

(٢٠) الاتقان : السيوطى ، ص ٢٧٩ جـ ٢ .

(٢١) انظر عوارف العوارف للسهروردى : ص ٤٨ بهامش احياء علوم الدين .

التأويل من الأول أى الرجوع الى الأصل ومنه الموئل للموضـــع الذى يرجع اليه وذلك هو رد الشىء الى الغاية الواردة علما كان أو فعلا ففى العلم نحو « وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم » (٢٢).

وفى الفعل كقوله تعالى (هل ينظرون الا تأويله يوم يأتى تأويله)(٢٣) اى بيان الذى هو غاية المقصود منه وقوله تعالى (ذلك خير وأحسن تأويلا) (٢٤) .

وقيل أحسن معنى وترجمة وقيل أحسن ثوابا فى الآخرة (٢٥) .

وقال قومٌ ما وقع فى كتاب الله تعالى مبينا وفى صحيح السنة معينا يسمى تفسيرا لأن معناه قد ظهر ووضح وليس لاحد أن يتعرض له باجتهاد ولا غيره بل يحمله على المعنى الذى ورد ولا يتعداه والتأويل : ما استنبطه العلماء العاملون بمعانى الخطاب الماهرون فى آلات العلم (٢٦) .

والتفســـير ما كان راجعا الى الرواية والتأويل ما كان راجعا الى الدراية . وقيل التفسير القطع بأن مراد الله تعالى كذا والتأويل ترجيح أحد المحتملات والذى تختاره من بين هذه التعريفات هـــو ما اختاره ورجحه الدكتور عبد العظيم الغباشى وهو هذان التعريفان الأخيران فيقول معللا لأن الكشف عن مراد الله تعالى لانقطع به الا اذا ورد عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة الذين شهدوا الوحى والتنزيل وخالطوا رسول الله ﷺ ورجعوا اليه فى كل ما أشكل عليهم من معانى القرآن . أما التأويل :

فمرده الى الاجتهاد الذى يعتمد على معرفة الألفاظ ومدلولاتها فى اللغة العربية وكثير من الألفاظ يحتمل عدة معان فالوصول الى المعنى المراد لا يكون مقطوعا به .

---

(٢٢) سورة آل عمران : آية ٥٧ .
(٢٣) سورة الأعراف : آية رقم ٥٣ .
(٢٤) سورة النساء : آية رقم ٥٩ .
(٢٥) المفردات غريب القرآن : الاصفهانى .
(٢٦) الاتقان : السيوطى ، ص ٧٩ جـ ٢ .

وعلى ذلك فالتفسير مرده الى الرواية للقطع بالمراد والتأويل مرده الى الدراية لعدم القطع (٢٧) .

وبعد هذا العرض وبيان معنى التأويل والتفسير بقى أن نقرر :

أن التأويل . فى عهد الصحابة رضوان الله عليهم — وهم اقـرب الناس الى رسول الله ﷺ وأدرى الناس بأسباب النزول ومعنى التأويل والذين نزل القرآن بلغتهم وبينهم فكان اماما ومرشدا وهاديا لهم وموجـه لمسيرتهم . لم يخرج فى زمنهم عن أحد معنيين .

الأول : المرجع والمصير والعاقبة .

والثانى : التفسـير والتدبر .

أما فى عصر المتأخرين فقد أطلق عليه أنه صرف اللفظ عن المعنى الراجح الى المعنى المرجوح لدليل يقترن به .

ورغم بعد المسافة بين المعنيين اللذين تداولتهما الصحابة والمعنى الذى شاع فى زمن المتأخرين الا أنه لم يقل أحد أن التأويل خروج عن اللفظ الى معان أخرى لا يحتملها النص أو من غير دليل . سوى الباطنية الذين يهجرون اللفظ ويهربون الى معان لا تمت الى اللفظ بصلة . ويعتبرونها هى المراده وهى عين الحقيقة وما عداها القشور زاعمين أنها وصلتهم عن طريق الامام المعصوم .

ولهذا نجد تأويلاتهم لا تخضع لقاعدة ولا يؤيدها دليل . ومن هنا .

فان المنهج الذى ارتضيه واحتكم اليه ويطمئن اليه ضميرى فى الحكم على المتشابه هو منهج ابن تيمية وهو :

١ — أن يفسر القرآن بالقرآن فما أجمل فى مكان قد بين فى مكان آخر وما اختصر فى موضع قد بسط فى موضع آخر فاذا تتبع المفسر المواضع التى ورد فيها تفسير من القرآن فانه يجده قد فسر بعضه بعضا .

---

(٢٧) تاريخ التفسير ومناهج المفسرين د. عبد العظيم الغباشى ، ص ٥ ، ٦ .

٢ ـ اذا تعذر ذلك فعليه بالسنة المطهرة فانها شارحة ومفسرة للقرآن وكل ما نطق به الرسول فى أمور الدين فهو ما فهمه من القرآن نصا أو استنباطا ولهذا قال الرسول ﷺ « ألا انى أوتيت القرآن ومثله معه » بمعنى السنة .

٣ ـ تفسير القرآن بأقوال الصحابة الذين عاصروا تنزيل القرآن وفهموه من الرسول فانهم أقرب الناس الى عهد الرسالة وأكثرهم سماعا من الرسول فهم أدرى بأحواله من سائر المسلمين لما لهم من علم بأحوال نزوله ولا سيما علماؤهم كالخلفاء الراشدين وابن عباس وابن مسعود وغيرهم .

٤ ـ اذا تعذر على من أراد تفسير القرآن من كل ما سبق فقد رجع كثير من الأئمة الى أقوال التابعين كمجاهد فانه كان آية فى التفسير وسعيد ابن جبير وعكرمة والحسن البصرى وأبى العالية وقتاده والضحاك وغيرهم فيذكر أقوال هؤلاء فى الآية فاذا اتفقوا على قول واحد فلا ريب فى حجيته وان اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض وعليه أن يرجع فى ذلك الى لغة لقرآن وطريقته فى التفصيل والتوضيح ثم عموما لغة العرب وعاداتهم فى الخطاب ، أما أن يفسر بمجرد الرأى فهذا حرام بالاتفاق واذا أعوزته هذه الطرق الأربعة ولجأ الى تفسير القرآن فى ضوء لغة العرب فعند ذلك عليه أن يلتزم بشرطين :

الأول : أن يفطن الى أن كثيرا من ألفاظ العربية قد تحتمل معنى فى سياق قد لا يحتمله فى سياق آخر كلفظ اليد مثلا عند الاطلاق تحتمل معان كثيرة كالنعمة والقدرة والحاجة وانما يتضح معناها بحسب السياق والموقف الذى وردت فيه الكلمة ومن لم يفرق بين ما يقتضيه السياق من المعنى المراد وقع فى الخطأ .

الثانى : أن يبين احتمال اللفظ للمعنى المراد فى ذلك التركيب أو غيره فان اللفظ قد لا يحتمل ذلك المعنى بحسب العرف اللغوى واذا احتمله

اللفظ لغة فانه قد لا يحتمله فى ذلك السياق بعينه وفى هذا التركيب بالذات كتفسيرهم لفظ اليدين (بالتثنية) بالقدرة أو النعمة فان لفظه مفردا وعند الاطلاق قد يحتمل أحد هذين المعنيين اما فى التركيب بعينه وبصيغة التثنية فان اللفظ لا يحتمل ذلك فى لغة العرب وليس لأحد ان يحمل كلام الله على أى معنى ساغ حمل اللفظ عليه (٢٨) .

وهذا هو مفهوم التأويل عند أهل السنة فما هو مفهوم التأويل عند الباطنية .

---

(٢٨) انظر مقدمة فى أصول التفسير : ابن تيمية ، ص ٤٣ وما بعدها

الفصل الثانى

التأويل عند الباطنية

ينقل الأعظمى عن المؤيد .

أن للقرآن معانى سوى ما تتداوله السنة العامة مما يستنبطونه بحولهم وقوتهم من دون الرجوع فيه الى أهل الاستنباط (يعنى الأئمة) .

ثم يقول معرفا التأويل :

علم التأويل معناه : علم العاقبة وما يفضى الأمر اليه فى النهاية (١) .

وينقل عنهم كوربان الفرق بين التنزيل والتأويل . فيقول :

التنزيل : يعنى الدين الوضعى أو الكلام الذى أملاه الملاك على النبى أنه انزال الوحى من الملأ الأعلى .

أما التأويل : فهو على العكس انه عودة ورجوع الى الأصل وبالتالى الى المعنى الحقيقى الأصلى للكتاب انه اعادة الشىء الى أصله .. فالذى يمارس التأويل اذن هو شخص يحيد بالمقالة عن ظاهرها الخارجى ويعيدها الى حقيقتها ... ذلك هو التأويل الذى هو كالتفسير الروحانى الداخلى أو قل كالتأويل الرمزى الباطنى (٢) .

وقيل التأويل : هو باطن المعنى أو رمزه أو جوهره وهو حقيقة مستتره وراء لفظة ولا تدل عليها (٣) أى أن القرآن الكريم أنزل على محمد ﷺ بلفظه ومعناه الظاهر للناس أما أسراره التأويلية الباطنية فقد خص

---

(١) تأويل الدعائم : النعمان ، ص ٣٨ .
(٢) تاريخ الفلسفة : كوربان ، ص ٥٢ .
(٣) أساس التأويل : النعمان ، ص ٧ .

بها عليا والأئمة من بعده (٤) فجعل عز وجل ظاهرة معجزة رسوله وباطنه معجزة الأئمة من أهل بيته لا يوجد الا عندهم ولا يستطيع أحد أن يأتى بظاهر الكتاب غير محمد ﷺ ولا أن يأتى بباطنه غير الأئمة من ذريته ، فهو علم متوافر بينهم مستودع فيهم يخاطبون كل قوم منه بمقدار ما يفهمون ويعطون أهـل كل حد ما يستحقون ويمنعون منه من يجب منعه (٥) .

اذ القاعدة فى التأويل عند الاسماعيلية (الباطنية) هى تطبيق نظرية المثل والممثول فظاهر القرآن مثل وباطنه ممثول والظاهر هـو هذه المعانى التى يعرفها العامة وينطق بها علماء أهل السنة والباطن هو هذه المعانى التى يستخلصها الوصى . ثم يعقب الدكتور محمد كامل حسين على نظريتهم هذه مؤكدا أنهم تأثروا فى هذا بنظرية بالمثل الأفلاطونية القديمة (٦) .

ضرورة التأويل عند الباطنية :

وبناء على قاعدة المثل والممثول والظاهر والباطن لابد من التأويل عندهم وصولا الى الحقيقة فان الظاهر لا يؤدى الى الحقيقة ولا يجب الاعتماد عليه .

ويورد هنرى كوربان سـؤالا فى هذا المعنى ويقدم الاجابة عليه كاشفا النقاب عن وجهة نظر الباطنية فيقول :

هل يمكن أن نوقف الدين الاسلامى على التفسير الفقهى الشرعى . اى هل يمكن أن نوقفه على الشريعة والظاهر .

وحيثما كان الجواب بالايجاب لم يعد ثمة مجال للكلام عن فلسـفة فيه . أم أن هذا الظاهر هذا الأمر الخارجى الذى يدعون أنه يكفى بنفسه فى تنظيم الحياة العملية ليس سوى غلاف لأمر آخر أو هو غلاف لباطن ولشىء داخلى . فاذا قلنا نعم بات كل معنى السلوك العملى متغيرا ذلك أن نص الشريعة لا معنى له الا فى التقية أى فى الواقع الروحى الذى هو

---

(٤) أساس التأويل : النعمان ، ص ٨ .

(٥) اساس التأويل : النعمان ، ص ٣١ ، ٣٢ .

(٦) أدب مصر الفاطمية : محمد كامل حسين ، ص ٢٨ .

المعنى الباطنى للوحى الالهى ... وهذا لا يوجد الا بالعلم الموروث لدى الأئمة ... وعندما تستعمل الشيعة كلمة سنة فانها تختلف عن شأن أهل السنة فيه ان هذه السنة عندهم تحتوى على تعاليم الأئمة (٧) . الا أن الباطنية لا يستطيعون أن يقدموا الدليل على صدق ما يدعون وذلك أن تأويلاتهم لا تخضع لقاعدة . بل تتوقف على معرفة العلم الارثى وسماعة من الامام .

وفى رأيى أن الباطنية امام هذه القضية مطالبون بأمرين :

١ ــ اثبات وجود امام وورود النص عليه .

٢ ــ اثبات انتقال العلم الارثى اليه بالدليل والنص وأنه وارث العلم السماوى .

وقد ثبت بالفعل فيما مضى عجز الباطنية عن اقامة الدليل على وجود نص على الامام كما ثبت بالتالى عدم وجود علم ارثى يعرفونه دون غيرهم .

واذا ما ثبت هذا فقد انهدمت من أساسها قضية التأويل الباطنى الذى لا يعرفه أحد سواهم والذى لا يخضع لقاعدة وهذا ما يتمشى مع روح الاسلام الحنيف ومع ما وصلت اليه العقول السليمة . فلو كان للباطنية كما يدعون تأويلا باطنيا لا يعرفه سوى الأئمة والمقربين وهو سرى لا يجوز التصريح به وكتمانه سر من أسرار السماء كالايمان به فمن أين خرجت هذه المعلومات واشتهرت . فاذا كانت هذه المعلومات قد خرجت عن ضعف فى الأئمة فهو سلب لعصمتهم وهم لا يقولون بهذا .

واذا لم تكن قد خرجت عن ضعف فى الأئمة وان الأئمة معصومون عن الخطأ وأن تأويلاتهم مازالت سرية فمن أين خرجت هذه التأويلات .

اللهم الا اذا كانت هذه التأويلات ليست تأويلاتهم وهى تأويلات باطلة وهو ما نقول به ونؤمن به . الا أنه تبقى هناك قضية أخرى . وهى

---

(٧) تاريخ الفلسفة : هنرى كوربان ، ص ٦٩ .

أن تأويلات الباطنية مازالت سرية وهم مطالبون بالكشف عنها واقـامة الدليل على صدقها وصدق نسبتها الى الأئمة وانها ارث السماء .

فاذا ما عجزت الباطنية وهو الواقع فقد ثبت أنه لا أصل لما يزعمونه من وجود تأويلات باطنية وأن ما يرددونه هو تشويه وتشكيك فى كتاب الله بغية الانسلاخ عن الدين والخروج به عن حـده الذى رسمته له السماء الى دين المجوس وهـذا هو عين ما كشـفت عنـه نواياهم وخططهم المشبوهة .

الفصل الثالث

استدلال الباطنية على التأويل بالآيات القرآنية

يعرض لنا الأعظمى رأى المؤيد فى التأويل فيقول :

ان للقرآن معان سوى ما تتداوله ألسنة العامة مما يستنبطونه بحولهم وقوتهم من دون الرجوع فيه الى أهل الاستنباط ممن قال الله تعالى فيهم :

« ولو ردوه الى الرسول والى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم » (١) ونص القرآن ناطق بأن للقرآن تأويلا يقول سبحانه وتعالى :

« وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم » (٢) .

ويقول تعالى « ولنعلمه من تأويل الاحاديث » (٣) .

ويقول عز وجل « بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تاويله » .

وقال النبى ﷺ « أنا صاحب التنزيل وعلى صاحب التأويل » .

وعلم التأويل معناه علم العاقبة وما يفضى الأمر اليه فى النهاية .

ويدلك على هذا قوله تعالى :

« ذلك خير وأحسن تأويلا » (٥) أى أحسن عاقبة (٦) .

وحتى يتضح الموقف سنعرض لهذه الآيات التى استدلوا بها لنعرفه التأويل كما جاء فى القرآن الكريم .

---

(١) سورة النساء : آية ٨٣ .
(٢) سورة آل عمران : آية ٧ .
(٣) سورة يوسف : آية ٢١ .
(٤) سورة يونس : آية ٣٩ .
(٥) سورة النساء : آية ٥٨ .
(٦) تأويل الدعائم : النعمان ، ص ٣٨ .

الآية الأولى قوله تعالى :

« وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولوا الألباب » (٧) .

يقول الباطنية فى هذه الآية :

ان الأنبياء والأوصياء هم الراسخون فى العلم وهم الذين يعلمون تأويله وذهب علماؤهم الى أن قوله تعالى « والراسخون فى العلم » معطوفة على ما قبلها ، وقوله (يقولون آمنا به) أخرجوه مخرج الحال بمعنى أنهم ليعلمونه ويقولون أمنا به اذ لو لم يكن الراسخون فى العلم يعلمونه لكان مستحيلا منهم أن يقولوا آمنا لأن الايمان معناه التصديق والتصديق بالشىء لا يثبت الا بعد احاطة العلم به ولا يجوز تصديق المرء بما لم يعلمه . ثم أنه لا يخلو من أن يكون النبى علم بتأويل ما أتى به أو لم يعلم فان كان علم به يطل الوقف بعد لفظ الجلالة ووجب دخول النبى فى شرط من علمه :

وهو أول الراسخين فى العلم وأفضلهم وعنه أخذ من أخذ من الراسخين فى العلم ، وان كان النبى لم يعلم فارسال الله تعالى اياه بشىء اذا سئل عنه لا يعلمه خارج عن حكمة الرسالة (٨) .

فالنبى كان يعلم تأويل القرآن ومن يقوم مقام النبى فى كل عصر يعلم هذا التأويل أيضا (٩) .

وسنحاول أن نعرض اهم آراء العلماء فى هذه الآية حتى نصل الى مهم المراد منها وهذا يستلزم منا أن نحدد سبب نزولها أولا وبتحديد سبب نزولها يتضح المعنى المراد منها ويروى العلماء سببين لنزول هذه الآية الكريمة .

أولهما : يقول القرطبى : ان جماعة من اليهود فيهم حيى بن أخطب دخلوا على رسول الله ﷺ وقالوا بلغنا أنه نزل عليك « ألم » فان كنت صادقا

---

(٧) سورة آل عمران : آية ٧ .

(٨) أنظر المجالس المؤيدية : محمد كامل حسين ، ص ٥١ جـ ٢ .

فى مقالتك فان ملك أمتك احدى وسبعين سنة لأن الألف فى حساب الجمل واحد واللام ثلاثون والميم اربعون — فنزل « وما يعلم تأويله الا الله » . ثم يبين لنا ما هو المراد بالتأويل هنا فيقول : والتأويل يكون بمعنى التفسير كقولك تأويل هذه الكلمة كذا ويكون بمعنى ما يؤول الأمر اليه .. واشتقاقه من آل الى كذا يؤول اليه أى صار وأولته تأويلا أى صيرته (١٠) .

ثانيهما : أنها نزلت فى وفد نجران عندما وفدوا على رسول الله ﷺ ناظروه فى أمر المسيح عليه السلام ثم دعاهم الرسول الى المباهلة المذكورة فى سورة « آل عمران » آية رقم ٦٦ (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساؤكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكافرين) .

يقول ابن تيمية مدعما هذا الرأى « ولهذا عامتها » سورة آل عمران فى أمر المسيح عليه السلام) (١١) .

وسواء صح هذا أم ذاك فان التأويل المسئول عنه من قبل أى منهما هو الحقيقة والمآل والمصير لما سئل عنه ؟

فاذا صح أنها نزلت فى اليهود فمعتقدهم من سؤالهم عن تأويل الحروف هو معرفة حقيقة المدة التى ستمكثها أمة محمد ﷺ .

واذا صح أن الآية نزلت فى وفد أهل نجران فانهم أيضا يدعون معرفة حقيقة التأويل . فالتأويل على أى من القولين هو الحقيقة الخارجية والمدلول الواقعى للفظ وليس معناه التفسير والبيان كما لا يمكن بحال ما حمله على المعنى الثالث : الذى هو صرف اللفظ عن ظاهره الى معنى آخر . ومما يؤكد استعمال التأويل فى القرآن بمعنى الحقيقة والمآل : ان ابن عباس لما قرأ الآية « منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات »

---

(٩) أدب مصر الفاطمية : محمد كامل حسين ، ص ٢٦ .
(١٠) تفسير القرطبى : ص ١٢٥٧ جـ ٢ .
(١١) الامام ابن تيمية وموقفه من التأويل : الجلبند ، ص ١٥٩ .

الى قوله وابتغاء تأويله « قال انه الأجل الذى أرادت اليهود معرفته من انقضاء أمر محمد وأمته » .

وروى عن السدى أنه قال : عواقب القرآن ولذلك كانت خاتمة الآية تقول « وما يعلم تأويله الا الله » يقول ابن جرير الطبرى : يعنى جل ثناؤه بذلك : وما يعلم وقت قيام الساعة وانقضاء مدة أجل محمد وأمته وما هو كائن الا الله دون من سواه من البشر الذين ابتغوا ادراك علم ذلك من قبل الحساب والتنجيم والكهانة .

وروي ابن تيمية بعد استقراء آيات القرآن الكريم وما نبهت عليه العرب واستعمالاتها من أنه من آل يؤول اذا عاد ورجع ومنه المآل والمرجع (١٢) .

وعليه فان استدلال الباطنية بهذه الآية على أن المراد بالتأويل هنا هو باطن هذه الآيات دون ظاهرها — قول لا أساس له ولا دليل لهم عليه مسبب نزول الآية حاسم فى تحديد المراد منها .

وعلى هذا فسواء أكان سبب نزولها أنها نزلت ردا على سؤال اليهود أو ردا على وفد نجران فانها تعنى الحقيقة والمآل والمصير ولا تعنى بأى حال من الأحوال ترك الظاهر وهجرة الى معان باطنية لا يحتملها اللفظ أو تقترب منه فى المعنى أو تشير من قريب أو من بعيد الى تأويل باطنى لا يعرفه سوى الأئمة .

واذا ما اتضح أن المراد بالتأويل ليس اخراج اللفظ عن ظاهره فهل الراسخون فى العلم يعلمون حقيقة التأويل ؟ أم أن لهم حدا من المعرفة لا يتعدونه ؟

اختلف العلماء فى قوله تعالى « الراسخون فى العلم » .

---

(١٢) انظر الامام ابن تيمية وموقفه من التأويل : الجلبند ، ص ١٦١ ، ١٦٢ .

وهل هو ابتداء كلام مقطوع مما قبله (١٣) .

أو معطوف على ما قبله فتكون الواو للجمع . فالذى عليه الأكثر أنه مقطوع عما قبله وأن الكلام تم عند قوله « الا الله » هذا قول ابن عمر وابن عباس وعائشة وعروة بن الزبير وعمر بن عبد العزيز وغيرهم وهو مذهب الكسائى والأخفش والفراء وأبى عبيده وغيرهم (١٤) .

قال أبو نهيك الأسدى :

انكم تصلون هذه الآية وانما هى مقطوعة وما انتهى علم الراسخين الا الى قولهم « آمنا به كل من عند ربنا » وقال مثل هذا عمر بن عبد العزيز وحكى الطبرى نحوه عن يونس عن أشهب عن مالك بن أنس (١٥) .

قال الأستاذ الامام (محمد عبده) استدل الذين قالوا بالوقف عند لفظ الجلالة ويكون ما بعده استئناف بأدلة منها .

١ — أن الله تعالى ذم الذين يتبعون تأويله .

٢ — قوله يقولون آمنا به كل من عند ربنا فان ظاهر الآية التسليم المحض لله تعالى ومن عرف الشىء وفهمه لا يعبر عنه بما يؤول على التسليم المحض وهـو رأى كثير من الصـحابة رضى الله عنهم كأبى بن كعب وعائشة (١٦) .

(٣) وجزم ابن تيمية . بأن الوقف فى الآية على لفظ الجلالة بناء على أن التأويل المذكور فيها هو معرفة حقائق الأمور الغيبية التى استأثر الله بعلمها . ولا يجوز القول بالموقف على الراسخين فى العلم لأن حقائق ما أخبر الله به لا يعلمها كيفا وقدرا الا الله (١٧) .

---

(١٣) تفسير القرطبى : القرطبى ، ص ١٢٥٨ جـ ٢ .
(١٤) الجامع لاحكام القرآن : القرطبى ، ص ١٦ .
(١٥) تفسير القرطبى : الطبرى ، ص ١٧٠ جـ ٦ .
(١٦) تفسير المنار : الامام محمد عبده ، ص ١٦٧ جـ ٣ .
(١٧) الامام ابن تيمية وقضية التأويل : الجلنيد ، ص ١٦٣ .

ثانيا ــ القائلون بالعطف ؟

روى ابن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس أنه قال أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله ويقولون آمنا به وكذا قال الربيع ابن أنس (١٨) .

وقالوا فى استدلال أولئك أن الله تعالى انما ذم الذين يبتغون التأويل بذهابهم فيه الى ما يخالف المحكمات يبتغون بذلك الفتنة والراسخون فى العلم ليســـوا كذلك فانهم أهل اليقين الثـابت الذى لا زلزال فيه ولا اضطراب فهؤلاء يفيض الله تعالى عليهم فهم المتشـــابه بما يتفق مع المحكم ...

وأما دلالة قولهم « آمنا به كل من عند ربنا » على التسليم المحض فهو لا ينافى العلم فانهم انما سلموا بالمتشابه فى ظاهرة أو بالنســبة الى غيرهم لعلمهم باتفاقه مع المحكم فهم لرسوخهم فى العلم ووقوفهم عــلى حد اليقين لا يضطربون ولا يتزعزعون بل يؤمنون بهذا وذاك على حد سواء لأن كلا منهما من عند الله (١٩) .

ويحاول ابن كثير أن يوفق بين الرأيين فيقول :

(أن أريد بالتأويل حقيقة الشىء وما يؤول اليه أى حقيقة ما اخبر به من أمر المعاد) فالوقف على لفظ الجلالة لأن حقائق الأمور وكنهها لا يعلمها على الجلية الا الله عز وجل ويكون قوله (والراسخون فى العلم) مبتدأ و (يقولون آمنا به) خبره وأما أن أريد بالتأويل المعنى الآخر وهو التفسير والبيان عن الشىء كقوله (نبئنا بتأويله) أى تفسيره . فان أريد به هذا المعنى فالوقف عــلى (والراســـخون فى العلم) لأنهم يعلمون ويفهمون ما خوطبوا به بهذا الاعتبار وان لم يحيطوا علما بحقائق الأشياء على كنة ما هى عليه (٢٠) .

---

(١٨) تفسير القرآن العظيم : لابن كثير ، ص ٨ جـ ٢ .
(١٩) تفسير المنار : محمد عبده ، ص ١٦٦ ، ١٦٧ جـ ٣ .
(٢٠) انظر تفسير القرآن العظيم : لابن كثير ، ص ٨ جـ ٢ .

ويرى ابن تيمية أن نجعل الواو عطف مفرد على مفرد ويكون الراسخون فى العلم يعلمون معنى المتشابه من القرآن ومن جعل الواو للاستئناف ووقف على لفظ الجلالة فهذا جائز أيضا ويكون التأويل المنفى علمه عن الراسخين غير التأويل الذى يعلمونه أما من جعل التأويل بمعنى التفسير والبيان ووقف على لفظ الجلالة فهذا غير جائز (٢١) .

وأما قول ابن عباس انا من الراسخين الذين يعلمون تأويله فقد رد بعض العلماء على هـذا القـول يقول القرطبى : تقدير تمام الكـلام : عنـد الله) أن معناه وما يعلم تأويله الا الله يعنى تأويل المتشـابهات والراسخون فى العلم يعلمون بعضه قائلين آمنا به كل من عند ربنا بما نصب لهم من الدلائل فى المحكم ومكن من رده اليه فاذا علموا تأويل بعضه ولم يعلموا البعض قالوا آمنا بالجميع كل من عند ربنا ولم يحط به علمنا من خفايا شرعه ... عند ربنا (٢٢) .

وفى رأيى أن الذى عناه ابن عباس بقوله انا من الراسخين الذين يعلمون تأويله أى حقيقة تفسيره لأنه عاصر نزول القرآن عاش أحداثه وما اختص الله سبحانه وتعالى بعلمه ونفاه عن غيره لا يعلمه ابن عباس أو غيره وهذا هو المنطقى مع موقف ابن عباس نفسه لانه من القائلين كما سبق أن ذكرنا بتمام الكلام عند لفظ الجلالة وضرورة القطع والوقف على لفظ الجلالة .

كما أنه لا يجوز كما يقول القرطبى أن ينفى الله سبحانه شيئا عن الخلق ويثبته لنفسـه ثم يكون لـه فى ذلك شريك ألا ترى قـوله عـز وجل قل لايعلم من فى السموات والأرض الغيب الا الله(٢٣) وقوله تعالى «لايجليها لوقتها الا هو » (٢٤) وقوله « كل شىء هالك الا وجهه » (٢٥) فكان هذا

---

(٢١) الامام بن تيمية وموقفه من التأويل : الجلينيد ، ص ١٧٠ .
(٢٢) الجامع لاحكام القرآن : القرطبى ، ص ١٧ ، ١٨ جـ ٤ .
(٢٣) سورة النمل : آية ٦٥ .
(٢٤) سورة الاعراف : آية ١٨٧ .
(٢٥) سورة القصص : آية ٨٨ .

كله مما استأثر الله سبحانه بعلمه لا يشركه فيه غيره وكذلك قوله تعالى وما يعلم تأويله الا الله » ولو كانت الواو فى قوله تعالى « والراسخون » للعطف لم يكن لقوله كل من عند ربنا فائدة » (٢٦) لأنهم لو كانوا يعلمون حقيقة ما جاء به لما جاء جوابهم بالتسليم المحض .

ولهذا فان الذى أميل اليه وأرجحه على غيره هو ما اتفق عليه أكثر الصحابة من ضرورة الوقف على لفظ الجلالة .

ولقد روى ابن كثير ما يؤيد هذا صراحة قال : قال عبد الرازق . أنبأنا معمر عن ابن طاووس عن أبيه كان ابن عباس يقرأ « وما يعلم تأويله الا الله » ويقول « الراسخون فى العلم يقولون آمنا به » وكذا روى ابن جرير عن عمر بن عبد العزيز ومالك بن أنس يؤمنون به ولا يعلمون تأويله . وحكى ابن جرير أن قراءة عبد الله بن مسعود : ان تأويله الا عند الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به وكذا أبن كعب واختار ابن جرير هذا القول (٢٧) .

فعلى هذا يكون الوقف على لفظ الجلالة لازما وانما خص الراسخين بما ذكر لأنهم الذين يفرقون بين المرتبتين ما يجول فيه علمهم وما لا يجول فيه (٢٨) .

ويتضح من هذا الاستعراض أن عامة الصحابة رضوان الله عليهم وعلماء اللغة يجعلون الوقف لازما على لفظ الجلالة . ويجعلو ما بعده كلاما مستأنفا .

وهو ما نميل اليه ونقرره .

فان الله سبحانه وتعالى أورد هذا القول فى معرض الذم للذين يخرضون فى فهم المتشابه . وحدد الغاية المذمومة التى يهدفون اليها

---

(٢٦) الجامع لأحكام القرآن : القرطبى ، ص ١٦ ، ١٧ جـ ٤ .
(٢٧) تفسير القرآن العظيم : ابن كثير ص ٨ جـ ٢ .
(٢٨) تفسير المنار : محمد عبده ، ص ١٦٧ جـ ٣ .

بأنها أما الفتنة واما التأويل فالتأويل المخرج للالفاظ عن حد معانيها لا يقل عن الفتنة .

ولهذا فرق الله سبحانه وتعالى بين موقف الراسخين فى العلم وغيرهم بل ومدح الراسخين فى العلم لأنهم يرجعون كل شيء الى الله ما يعلمونه وما لا يعلمونه لانهم يصدرون عن مورد واحد وهو الايمان بالله وبما جاء به فهم لا يفرقون فى الايمان بين محكم ومتشابه بل الكل من عند الله (آمنا به كل من عند ربنا) .

فهو تفويض وتسليم وايمان كامل بأن هذا وذاك من عند الله فما يعلمونه وما لا يعلمونه من عند الله وهم يؤمنون به جميعا من غير تفريق وهذا ما يتوافق وسياق الآية .

ولو كانوا يعلمون المحكم والمتشابه على حد سواء لما فرقوا ...

فتأكيدهم الايمان به وانه من عند ربهم وأن ايمانهم به كايمانهم بالمحكم يدل دلالة واضحة أنهم لا يعلمون حقيقة تأويله والا ما جاء جوابهم بصيغة التسليم المحض . لاعتقادهم أن هذا وذاك من عند الله .

وهذا ما يتمشى مع اعتقاد كل مسلم سليم الايمان والفطرة ويتمشى مع طبيعة هذا الدين الحنيف فقد آمن المسلمون بأمور غيبية كثيرة وهم لا يعرفون حقيقتها آمنوا بالجنة ولكنهم لا يعرفون عنها الا أنها فيها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

آمنوا بالساعة وهم لا يعلمون وقتها ولا حقيقتها .

وما ذلك الا لصدورهم عن مورد واحد وهو الايمان بالله والتسليم بما جاء به وما موقف الراسخين فى العلم الا كموقف المؤمنين العارفين بحقيقة الله فهم يربطون فى ايمانهم بين المادة والروح بين السماء والأرض .

وموقف الذين لا يعلمون هو موقف الذين يقفون بفكرهم امام المادة ويحاولون ارجاع كل شيء لها من غير تحليق بعقولهم فى عالم الروحانيات .

فبينما يكون موقف الراسخين فى العلم هو موقف الايمان بحقيقة ما علم وما لم يعلم يكون موقف قاصرى العلم هو موقف المتشكك الذى بعجزه عقله القاصر عن فهم الأشياء فيخوض فى المتشابه من غير علم ابتغاء الفتنة وابتغاء التأويل وكأن القرآن الكريم يعنى أول ما يعنى هنا الباطنية الذين أرادوا الأمرين معا أرادوا الفتنة وسلكوا التأويل المنحرف طريقا اليها فجميع تأويلاتهم لا تخضع لقاعدة ولا يحتملها اللفظ .

واذا ما انتهينا الى وجوب الوقف على لفظ الجلالة فقد سقط استدلال الباطنية بالآية الكريمة من أول درجات سلم البحث واذا جاوزنا العطف فاستدلالهم أيضا غير تام لأنه من قبيل أن الدليل اذا تطرق اليه الاحتمال سقط به الاستدلال .

ورغم أن الآيات التى ذكروها كلها لا تثبت لهم مدعاهم بحال من الأحوال الا أننا سوف نتعرض لآراء العلماء فيها لنتبين حقيقة المراد من التأويل فيها حتى لا يبقى لهم مستند أو منفذ ينفذون منه الى الخلط والتشويه على العامة وحتى ينجلى للجميع معنى التأويل فى هذه الآيات ومعنى التأويل الذى عناه القرآن الكريم .

وها أنا ذا أبدأ بعرض أراء العلماء فى الآية الثانية التى يستدل بها الباطنية وهى قوله تعالى « ولنعلمه من تأويل الأحاديث » (٢٩) .

التأويل . عند الطبرى	الرؤيـــا
وعن مجاهد	عبارة عن الرؤيا
وعن السدى	تعبير الرؤيا (٣٠) .

ويتأول صاحب المنار هذه الآية فيقول :

« وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث » .

وقوله حكاية عن الفتيين الذين كانا مع يوسف فى السجن «نبئنا

---

(٢٩) سورة يوسف : آية ٦ .
(٣٠) تفسير الطبرى : الطبرى ، ص ٢٠ ج ١٦ .

بتأويله » أى ما رأياه فى المنام ، وقوله حكاية عنه « قال لا يأتيكما طعـام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما » .

وقوله حكاية عن ملأ فرعون « وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين » وقوله حكاية عن الذى نجا من ذلك الفنيين « أنا آتيكم بتأويله » وقوله حـكاية لخطاب يوسف لأبيه (يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا) وقوله حكاية عنه (رب قد أتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث) فتأويل الأحاديث والاحلام هو الامر الوجودى الذى تدل عليه وهو فعل لا قول كما هو صريح فى مثل قوله : « نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما » فأخباره بالأمر الذى سيقع فى المآل وفى قوله (هذا تأويل رؤياى من قبل) أى هذا الذى وقع من سجود أبويه واخوته الاحد عشر له هو الامر الواقعى الذى آلت اليه رؤياه المذكورة فى أول السورة بقوله تعـالى « اذ قال يوسف لأبيه يا أبت انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين » (٣١) .

ويقول الطبرى :

نبئنا بتأويله . أخبرنا بما يؤول اليه ما أخبرناك أنا رأيناه فى منامنا (٣٢) .

« الا نبأتكما بتأويله » ما يؤول اليه ويصير (٣٣) .

وهذه الآية كغيرها لا يحتمل فيها التأويل بحال من الأحوال الاشارة الى معنى باطنى خفى لا يعلم به أحد سوى الأئمة . وانما هى صريحة فى أن المراد بالتأويل فيها هو ما يؤول اليه أمرهم ويصير لأنها تتحدث عن تأويل الرؤيا وأحاديث الناس وتأويل هذه الأحاديث وما أفاء الله به عـلى يوسف من علم تأويل هذه الأحاديث وتفسيرها (٣٤) .

الآية الثالثة : قوله تعالى :

« بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله (٣٥) .

---

(٣١) تفسير المنار : ص ١٧٣ ، ١٧٤ جـ ٣ .
(٣٢) تفسير الطبرى : الطبرى ، ص ٩٨ جـ ١٦ .
(٣٣) تفسير الطبرى : الطبرى ، ص ١٠١ جـ ١٦ .
(٣٤) يلاحظ أن كل الآيات السابقة من سورة يوسف .
(٣٥) سورة يونس : آية ٣٩ .

فسر أهل الأثر تأويله هنا ... بما يؤول اليه الأمر من ظهور صدقه ووقوع ما أخبر به ولما كانت عاقبة المكذبين قبلهم الهلاك كان تأويله أن تكون عاقبتهم كعاقبة من قبلهم (٣٦) .

ويقول الطبرى . يقول تعالى ذكره . ما بهؤلاء المشركين يا محمد تكذيبك ولكن بهم التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه ، فما أنزل الله عليك فى هذا القرآن من وعيدهم على كفرهم (ولما يأتهم) بعد بيان ما يؤول اليه ذلك الوعيد الذى توعدهم به فى هذا القرآن (٣٧) .

الآية الرابعة : قوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا (٣٨) .

يقول الحافظ بن كثير : (وأحسن تأويلا) أحسن عاقبة ومآلا .

كما قال السدى . وقال مجاهد . أحسن تأويلا وأحسن جزاءا (٣٩) .

وقال صاحب المنار : (ذلك خير وأحسن تأويلا) فسر التأويل ههنا مجاهد وقتادة بالثواب والجزاء والسدى وابن يزيد وابن قتيبة والزجاج بالعاقبة وكلاهما بمعنى المآل .

لكن الثانى أعم فهو يشمل حسن المآل فى الدنيا (٤٠) .

(وأحسن تأويلا) يعنى وأحمد موئلا ومغبة وأجمل عاقبة .

وعن مجاهد (أحسن تأويلا) أحسن جزاءا

وعن يزيد , أحسن تأويلا) عاقبة

وعن ابن زيد (ذلك خير وأحسن تأويلا) أحسن عاقبة

فالتأويل التصديق (٤١) .

---

(٣٦) تفسير المنار : ص ١٧٣ جـ ٣ .
(٣٧) تفسير الطبرى : الطبرى .
(٣٨) سورة النساء : آية رقم ٨٥ .
(٣٩) عمدة التفاسير : ص ٢٠٥ جـ ٣ .
(٤٠) تفسير المنار : ص ١٧٣ جـ ٣ .

وواضح من سياق الآيات ومن أقوال العلماء فيها أن التأويل لا يعنى صرف ظاهر النص الى معنى آخر لا تحتمله الآيات لأن هذه الآيات واضحة وصريحة فى دلالتها وفى معناها .

والمراد بالتأويل فيها اما ما يؤول اليه الأمر ويصير وأما حسن العاقبة فكيف تخرجها عن ظاهرها الى معان أخرى لا يحتملها النص أو يشير اليها سياق الآيات .

واستكمالا للفائدة سنعرض هنا للأيات الأخرى التى ذكر فيها التأويل فى القرآن الكريم حتى لا نترك لدعى من مرضى النفوس حجة ونكشف عن حقيقة المراد من التأويل فى القرآن الكريم .

١ ــ قوله تعالى : « هل ينظرون الا تأويله يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق (٤٢) .

فسر ابن عباس تأويله هنا بتصديق وعده ووعيده أى يوم يظهر صدق ما أخبر به من أمر الآخرة .

وقال قتادة	. تأويله ثوابه
ومجـاهد	. جـزاؤه
والسـدى	. عـاقبته
وابن زيد	. حقيقته

وكل هذه الألفاظ متقاربة المعنى والمراد ما يؤول اليه الأمر من وقوع ما أخبر به القرآن من أمر الآخرة ولا يحتمل أن يراد به تفسيره (٤٣) .

ويقول الطبرى (قال تعالى) (هل ينظرون الا تأويله يوم يأتى تأويله .

الا تأويله . يقول : ما يؤول اليه أمرهم .

---

(٤١) تفسير الطبرى : ص ٥٠٧ جـ ٨ .
(٤٢) سورة الاعراف : رقم ٥٣ .
(٤٣) تفسير الطبرى : ص ٤٧٨ ، ٤٧٩ جـ ١٢ .

وعن قتادة . تأويله عاقبته .

وعن مجاهد . يوم يأتى تأويله جزاؤه (٤٤) .

٢ — **قوله تعالى** : (وأوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا » أى مآلا (٤٥) .

٣ — **قوله تعالى** : (سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا) (٤٦).

وقوله بعد أن نبأه بما تؤول اليه تلك الأعمال التى أنكرها موسى (ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبرا) فالأنباء بالتأويل لم يـــرد فى القرآن الا بمعنى الأمر العملى الذى يؤول فى المآل تصديقا لخبر أو رؤيا أو لعمل ما مضى يقصد به شىء فى المســـتقبل فيجب أن تفسر آيـــة آل عمران بذلك . ولا يجوز أن يحمل التأويل فيها على المعنى الـــذى اصطلح عليه قدما ءءاءلمفسرين وهو جعل التأويل بمعنى التفسير كما يقول ابن جرير .

القول فى تأيل الآية كذا ولا على ما اصطلح عليه متأخروهم من جعل التأويل عبارة عن نقل الكلام عن موضعه الى ما يحتاج فى اثباته الى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ ومثله قول أهل الاصول . التأويل صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح الى الاحتمال المرجوح لدليل (٤٧) .

وبهذا البيان المشرق تتضـــح حقيقة التأويل فى القرآن الكريم وهى بطبيعة الحال ليست كما تدعى الباطنية زورا وبهتانا أن الله اختصـــهم بالتأويل الباطنى وهو سر لديهم لايجوز لأحد غيرهم معرفته ليروجوا تحت هذا الادعاء الكاذب خرافاتهم الباطلة ويعتدوا على القرآن الكريم بالتحريف والتبديل والتغير تحت ستار ما يدعونه من معرفة حقيقة التأويل .

---

(٤٤) تفسير المنار : ص ١٧٤ جـ ٣ .
(٤٥) سورة الاسراء : آية ٣٥ .
(٤٦) سورة الكهف : آية ٧٨ .
(٤٧) تفسير المنار : ص ١٧٣ جـ ١ .
(٤٨) تفسير المنار : محمد عبده ، ص ١٧٤ جـ ٣ .

وفى رأيى أن الباطنية ان جاز لهم أن يعرفوا حقيقة فهى حقيقة التضليل وليست حقيقة التأويل ؟

وفى ختام ردى على المؤيد فى هذا الصدد وعلى الباطنية أؤكد أن الحديث الذى ذكره وهو أن الرسول ﷺ قال لعلى انا صاحب التنزيل وأنت صاحب التأويل . بأنه حديث موضوع ولم يرد فى الكتب الصحاح ولا المعتمدة .

ولكن على فرض صحته وعلى فرض أن المراد بالتأويل هو العلم المحتجب لدى الأئمة فان هناك حديث آخر يقول فيه الرسول ﷺ لابن عباس : « اللهم فقه فى الدين وعلمه التأويل » وهذا حديث صحيح اتفق على صحته ، وصحته تجلب على الباطنية المصائب وتوقعهم فى الحيرة . فان ابن عباس ليس من سلسلة الأئمة عندهم ؟ وعليه فهل يجوز لابن عباس أن يعرف حقيقة التأويل ؟ فان كانت الاجابة بالايجاب لكان هذا اعترافا من الباطنية بأن غير الأئمة يجوز له معرفة التأويل والباطنية لا تقول بهذا .

وان كانت الاجابة بالنفى فماذا تقول الباطنية فى قول ابن عباس نفسه انا من الراسخين الذين يعلمون التأويل ؟ وبماذا يفسرون دعاء الرسول الكريم له .

وهل كان الرسول الكريم يعلم أن حقيقة التأويل يحتجبها الله عن كل ما سوى الأئمة من البشر ثم يخالف رغبة السماء ويدعو لابن عباس ليعلمه الله شيئا هو يعلم أن الله يحرم معرفته على ابن عباس لانه ليس بامام . أو لا يعلم ؟

فان كان يعلم واذا كنتم أنتم تؤمنون أن الرسول لا ينطق عن الهوى فبماذا تحكمون ؟ أتحكمون أن يكون التأويل الذى عناه الرسول هو الحقيقة التى لا يريد الله سبحانه وتعالى معرفتها لاحد غير الأئمة ؟ ويخالف بهذا أمر السماء ؟ أم أن للتأويل معنى غير هذا ؟

وان كان لا يعلم بوجود حقيقة للتأويل تخالف معانى اللغة التى

نزل بها القرآن وتعارف عليها الصحابة . فقد نفيتم وجود تأويل باطنى وأنتم لا تقولون بهذا .

الا أننى أظنكم تبعا لعقيدتكم التى تحرم على الناس جميعا وتحرمهم من معرفة حقيقة التأويل التى لا يعرفها عندكم الا أئمتكم .

ستقولون ان الرسول حينما دعا لابن عباس لم يرد حقيقة التأويل أو التأويل الباطنى .

وبهذا يتعين أن يكون للتأويل معنى آخر غير الذى تدعونه . وهو ما أراده الرسول هنا وعناه حين دعا لابن عباس وهو الذى عناه القرآن الكريم حينما تعرض للتأويل .

واعتقد أن التأويل فى هذه الواقعة التى دعى فيها الرسول لابن عباس بمعنى أن يعلمه الله حسن التفسير والتوضيح . والقرآن الكريم حينما تعرض للتأويل لم يعن بالتأويل كما أثبت علماء الاسلام سوى معنيين :

الأول : المرجع والمصير والعاقبة .

والثانى : التفسير والتدبر .

ولم يعن بحال من الاحوال ما ذهب ويذهب اليه الباطنية من صرف ظاهر النص الى باطن لا دليل لهم عليه ولا مستند الا التحريف والتعدى على القرآن الكريم .

الفصل الرابع

نماذج من تأويلات الباطنية

الطهارة : هى التطهير بالعلم وما يوجبه العلم من أحداث النفوس(١) والطهور هو التبرىء والتنظيف من اعتقاد كل مذهب سوى مبايعة الامام (٢) .

وأنزلنا من السماء ماءا بقدر فأسكناه فى الأرض » (سورة المؤمنون آية ١٨) السماء مثل الناطق والأرض مثل الصامت .

فمثل نزول الماء من السماء الى الأرض مثل وصول العلم عن الناطق الى الأساس ثم يصير الى الحجج واللواحق والدعاة والمأذونين لكل واحد من ذلك بقدر (٣) .

ثم أخذوا يؤولون كل لفظ ورد فى القرآن والسنة فقالوا :

« أنهار من لبن » أى معادن الدين وهو العلم الباطن يرتضع منها أهلها ويتغذى بها تغذيا تدور حياتهم اللطيفة فان غذاء الروح اللطيفة بارتضاع العلم من المعلم كما أن حياة الجسم الكثيف بارتضاع اللبن من ثدى الأم وأنهار من خمر هو العلم الظاهر (٤) .

وعند النعمان الخمر هى العلوم الغامضة (٥) وأنهار من عسل مصفى

---

(١) تأويل الدعائم : النعمان ، ص ٧٢ .
(٢) فضائح الباطنية : الغزالى ، ص ٤٦ .
(٣) تأويل الدعائم : النعمان ، ص ٩٠ .
(٤) فضائح الباطنية : الغزالى ، ص ٥٧ .
(٥) تأويل الدعائم : النعمان ، ص ١٣٣ .

هو علم الباطن المأخوذ من الحجج والأئمة (٦) وذكر الله تعالى أن ذلك كله فى الجنة ومثل الجنة فى الباطن مثل الدعوة لأنها سبب الوصول اليها أمثال الماء فى الجنة واسمها مشتق من صفتها لأن الجنة مشتقة من الاجتنان وهو الاستتار والدعوة (٥) .

وصرح كوربان أنهم يعتبرون الجنة هى الدعوة (٦) (٧) .

« وانا عليكم لحافظين » (سورة الانفطار آية رقم ١٠) الامام والحجة (٨) .

وابليس وآدم عبارة عن أبى بكر وعلى اذ أمر أبو بكر بالسجود لعلى والطاعة له فأبى واستكبر .

الدجال زعموا أنه أبو بكر وكان أعور اذ لم يبصر الا بعين الظاهر دون عين الباطن . يأجوج ومأجوج هم أهل الظاهر (٩) .

« أن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة » سورة البقرة يعنى عائشة « ولئن أشركت ليحبطن عملك » أى أن أشركت بين أبى بكر وعلى فى الولاية (١١)

بهذه الحماقة وأمثالها تملأ الباطنية كتبها وفضلا عن كون التأويلات الباطنية لا تخضع لقاعدة فانها لا تعتمد على دليل وتتجافى كل التجافى مع روح الاسلام ومع التطبيق العملى والممارسة الفعلية لأركان الاسلام وأحكام العبادات . كما كان يؤديها رسول الاسلام الكريم صلوات الله وسلامه عليه وهو أدرى الناس بأركان الدين وأحكام العبادات والخبير بأسرارها .

ولم يؤثر عن الرسول الكريم مطلقا لا قولا ولا فعلا تصريح أو اشارة الى أن الطهارة تكون بالعلم دون الماء .

---

(٦) فضائح الباطنية : الغزالى ، ص ٥٧ .
(٧) تأويل الدعائم : النعمان ، ص ١٣٥ .
(٨) تاريخ الفلسفة : ص
(٩) تأويل الدعائم : النعمان ، ص ١٣٥ .
(١٠) فضائح الباطنية : الغزالى ، ص ٥٨ .
(١١) منهاج السنة : ابن تيمية ، ص ١١١ جـ ٢ .

كما لم تقدم الباطنية دليلا واحدا يؤكد أن عليا بن أبى طالب رضى الله عنه وهو ما ينسبون اليه هذه التأويلات قد صرح بهذا أو تهاون يوما فى التطهر بالماء بل تجمع كل المصادر أنه لم يقل بهذا وكان مثالا صادقا رأمينا للتمسك بالكتاب والسنة والعمل بهما .

فمن أين جاءت الباطنية بهذه التأويلات التى يلفظها الواقع العملى للاسلام ويرفضها الذوق السليم فضلا عن عدم وجود قاعدة تحكمها أو دليل يؤيدها .

وكيف يستعاض فى الطهارة بالعلم بدل الماء ؟ وأى علم هذا ؟
انه العلم السماوى الذى يرثه الأئمة ولا يجوز لغيرهم معرفته .
واذا كان ذلك كذلك . والتطهير لا يتم الا بترك كل مذهب لا يعترف ببيعة الامام .

فان الجماهير الغفيرة من المسلمين التى لا تعرف العلم المخزون لدى الأئمة ولاتعرف طريق امام الباطنية . تعتبر غير طاهره وأعمالها باطلة ؟

وهو نفس ما تعنيه الباطنية وتهدف اليه من تأويلاتها . اذ تحاول بتأويلاتها الغريبة أن تشيع الشك بين الناس وتضعف فى نفوسهم الثقة فى كتابهم وفى أعلامهم وأئمتهم وصولا الى سلخ الناس عن الدين فخذ مثلا من أبلغ سخافاتهم قولهم (ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) (١٢) يعنى عائشة وكذب هذه الفرية لا يحتاج الى تأمل لما يأتى :

١ ــ من الناحية التاريخية هذه الحادثة تسبق زمن وجود عائشة بكثير اذ كانت فى عهد سيدنا موسى عليه السلام .

٢ ــ الخطاب موجه لقوم موسى عليه السلام وليس للباطنية الذين يحلون لأنفسهم قتل عائشة لحقدهم عليها لمحاربة على رضى الله .

٣ ــ ولئن قلتم ان هذا تكليف للباطنية واشارة ورمز باطنى لهم منذ عهد موسى وحتى وجود عائشة بضرورة قتلها نقول لكم أن البقرة التى

---

(١٢) سورة البقرة : آية ٦٧ .

عناها القرآن أخبر القرآن أيضا أنهم ذبحوها . وسقط بهذا استدلالكم بالاضافة الا ان هذا تم قبل وجود عائشة بزمن طويل .

٤ — لو جاز فى العربية اطلاق لفظ البقرة على عائشة من غير اشتراك لفظى بينهما لجاز اطلاقه على كل نساء العالمين . والا فمن يخصص عائشة دون غيرها وأين الدليل ؟

ثم لنتساءل معهم :

أكان الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه يعلم أن الله يأمره بذبح عائشة أم لا ؟ فان كان يعلم ولم ينفذ فقد خالف أمر ربه — وهذا باطل وان كان لا يعلم فمن أين جاءكم هذا العلم وأين دليلكم ؟ ... وأنتم تدعون أن هذا التأويل أفضى به رسول الله ﷺ الى على رضى الله عنه سرا ...

ثم كيف تعللون هذا التناقض فى تأويلكم لو كان من السهاء حقيقة .

فان القاعدة فى مذهبكم أن كلمة ذبح معناه تحمل أعباء الرسالة بدليل قولكم فى قوله تعالى (يا بنى انى أرى فى المنام انى أذبحك) (١٣)أى أخذ عليك ميثاق الامامة وأقيمك لشريعتى .. والذبح اخذ الميثاق (١٤) .

فكيف خالفتم مذهبكم هنا وقلتم ان القرآن يعنى ذبح عائشة على الحقيقة ولماذا لا تكون اشارة الى تحملها أمانة العهد والميثاق تمشيا مع مذهبكم .

ان هذا التناقض وهذا التعسف فى تأويلات آيات الله البينات ان دل على شىء فانما يدل على منتهى التآمر على كتاب الله وبس السموم بغية هدم الدين وكسر شوكة المسلمين .

وتأويلات الباطنية كثيرة تناولت معظم آيات الكتاب الكريم بالتحريف والتغير والتبديل وسنعرض لنماذج منها لنكشف عن حقيقتها وسوف يجد

---

(١٣) سورة الصافات : آية رقم ١٠٢ .

(١٤) أساس التأويل : النعمان ، ص ١٢٤ ، ١٢٥ .

المطالع لها ما يغنيه عن اجهاد ذهنه لمعرفة مدى انحرافها لكثرة تناقضها وبعدها عن روح الاسلام ومخالفتها لقواعد الذوق السليم .

فقد تأولوا قصص الأنبياء والمعجزات على وجه يسقطها فقالوا (١٥) :

« واذ قال ربك للملائكة انى خالق بشراً من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين » (١٦) .

الطين فى الباطن هو العلم الظاهر الكثيف الجسدانى وكان الله قد خلق الملائكة من خلق العلم اللطيف الروحانى الباطن . وكان فيما سبق لهم من العلم اللطيف الروحانى لا يتصل بالمادة والكشف لا يكون الا بالتعلم وأن العلم الروحانى اللطيف لا ترتبط به الأعمال وانما هو علم بلا عمل ولا تكليف كما يكون العلم الظاهر (١٧) .

ومن هنا كان التفاخر والتفاضل على آدم من ابليس . وخلق الله عز وجل حواء من آدم ذلك لقوله تعالى : « وخلق منها زوجها » (١٨) خلق التأيد لا الخلق الجسدانى أى أمر الله تعالى آدم فتولى تأيدها وتعليمها وتبصيرها وقرنها به وجعلها زوجته وهى حجته عوض الله سبحانه وتعالى بها على آدم بدلا من ابليس لا كما زعمت العامة أن الله تعالى ألقى على آدم النوم فنام ثم سل أحد أضلاعه فخلق منها حواء .

ثم يقولون فى قوله تعالى : « اسكن أنت وزوجك الجنة » (سورة البقرة) وهى فى الباطن حدود الرسل من التأيد (١٩) .

والشجرة التى نهاه أن يقربها ومنعه وحرمها عليه مثلا لحد قائم الزمان الذى هو صاحب القيامة والذى يكون التكليف فى حده مرفوعاً ان لم تكن عملت به من قبل .

(وبذلك يزعمون أن هذا القائم يقيم الحساب ويحاسب الناس ويقتل

---

(١٥) منهاج السنة : ابن تيمية ، ص ١١١ جـ ٢
(١٦) سورة ص : آية ٧٢ .
(١٧) أساس التأويل : النعمان ، ص ٥٤ .
(١٨) سورة النساء : آية رقم ١ .
(١٩) أساس التأويل : النعمان ، ص ٥٩ .

الخارجين عن دعوته ويسقط التكاليف) ويتجرد حينئذ الباطن ويسقط الظاهر ويكون الباطن ظاهرا على خلاف ما هو فى حدود الرسل قبل ذلك .

لأنه فى حدودهم مرفوع الى حججهم مستور عندهم محمول من واحد الى واحد وهو معجزة لهم وعلم يستضاء به حتى يصل الى صاحبه أى صاحب القيامة فيظهره ويجرده وذلك محظور ممنوع قبله فمنع الله عز وجل آدم فى ابتداء الأمر من ذلك ليجرى سنة الله التى لا تبديل لها عليه .

وسأل ابليس انظاره الى يوم الوقت المعلوم (٢٠) وعنى باليوم صاحب القيامة (٢١) ثم يقولون فى قوله تعالى : فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما (٢٢) أى جاوز حدود النطقاء التى أبيحت لهما الى حد صاحب القيامة .

وبدت لهما سوآتهما أنه ظهر لهما مكان مستهجنا فيهما من كثافة الصورة الطبيعية لما عرى من لباس التقوى .

فلما انقطع عنهما التأيد طفقا كما قال عز وجل (يخصفان عليهما من ورق الجنة) (٢٣) يعنى أنهما جعلا يتعلقان من نور الحكمة بالتذكار ليسترا به عورة ما بدا منهما وانكشف من حالهما بزوال التأييد وقيل الجهل بالحدود وقد هلك كثير ممن تعلق بهذا الأمر وصار الى الاباحة .

وليس كما تأوله وأخذه البعض على ظاهره من أن الشجرة كشجرة الحنطة وقال آخرون شجرة التين وقال آخرون شجرة العنب .

ولهذا لا يصح فى التحصيل وكذلك ما زعموه من أن آدم وحواء انكشفت سوآتهما فخاطا لهما مئزرا من ورق التين فذلك أيضا مالا يثبت اذ أنه لم يحصل (٢٤) .

---

(٢٠) سورة الأعراف : آية ١٤ .
(٢١) أساس التأويل : النعمان ، ص ٦٢ ، ٦٣ .
(٢٢) سورة الاعراف : آية ٢٢ .
(٢٣) سورة الاعراف : آية ٢٢ .
(٢٤) أساس التأويل : النعمان ، ص ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ .

قال جل ذكره (حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور) (٢٥) يعني جاء علم التأييد وبلغكم به الاساس وصدر عنه علم التأويل ذو النور (٢٦) والطوفان معناه طوفان العلم أغرق به المتمسكون بالسنة والسفينة حرزه الذى تحصن به من استجاب لدعوته (٢٧) والموج مثل لمن تصور بالعلم ووسم نفسه به من علماء الظاهر وهو خـال من العلم يتلاشى من بين يديه كما يتلاشى الموج الذى اذا اجتمع كان فى رأى العين كالجبل .

ودعوة الحق تجرى على رؤوس هؤلاء المتشبهين بالعلماء وتخرقهم كما تخرق السفينة الموج (٢٨) .

وهم يعنون بهذا أن معجزة نوح من العلم الباطن وحرزه سفينته كانت تصدم الدعوة الظاهرة فتفتتها كما تفتت السفينة الموج وتجرفه وعلماء الظاهر كالموج لا شيء فيها وهى هشه بمجرد أن تصدمها السفينة تتوزع .

يقول النعمان (سآوى الى جبل يعصمنى من الماء) (٢٩) أى ألوز بأحد علماء الظاهر فآخذ عنه واعتصم .

ثم يقول : وقيل يا أرضى ابلعى ماءك ويا سماء أقلعى) (٣٠) فالأرض مثل الأساس الذى أقامه نوح لدعوته الباطنة والسماء مثل للناطق وهو هنا نوح أمر لما أقام أساسه لتأدية الباطن أن يقلع هو عنه ويسلمه الى من اقامه له ويقبل هو على الظاهر الذى أقيم له .

كما زعموا أن محمدا ﷺ سلم الأمر لأساسه يوم غدير خم الى على ابن أبى طـالب وغيض الماء (٣١) أى غاض العلم الباطنى فى الحجة

---

(٢٥) سورة هود : آية ٤٠ .

(٢٦) أساس التأويل : النعمان ، ص ٨٢ .

(٢٧) فضائح الباطنية : الغزالى ، ص ٥٧ .

(٢٨) أساس التأويل : النعمان ، ص ٨٣ .

(٢٩) سورة هود : آية ٤٣ .

(٣٠) سورة هود : آية ٤٤ .

(٣١) سورة هود : آية ٤٤ .

الذى هو أساسا لشريعة (واستوت على الجودى) يعنى الدعوة انتهت الى المستجيبين (٣٢) . ثم يقولون فى قوله تعالى :

(ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر) (٣٣) . أى انفتاح أبواب الناطق أى الذين اقامهم للظاهر بعلم الظاهر .

(وفجرنا الأرض عيونا) أى تفجر العلم من حدود الباطن يعنى النقباء الاثنى عشر الذين نصبهم أساسه للعلم الباطن .

(وحملناه على ذات ألواح ودسر) الألواح وهى اثنا عشر لوحا مثل النقباء والأساس يجمعهم والدسر المسامير التى تشدها وهى الفوائد الملكوتية العالية التى تتصل بهم) (٣٤) .

وقوله تعالى : « ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا فى ذريتهم النبوة والكتاب » (٣٥) المراد بالكتاب هاهنا العلم المثبت عند الأئمة سماه كتابا لما كان مثبتا فى كتاب . والكتاب فى الباطن هو الامام (٣٦) .

وفى قوله تعالى فى قصة صالح عليه السلام .

ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل فى أرض الله (٣٧) .

الناقة الحجة (وبوأكم فى الأرض) (٣٨) انزلكم على تأويل الاساس (وتنحتون من الجبال بيوتا) يعنى تنشئون من حد التأويل لواحقا (ولا تعثوا فى الأرض مفسدين) لا تتعرضوا حد التأويل بالتبديل والتغيير (وفى ثمود

---

(٣٢) أساس التأويل : النعمان ، ص ٨٥ .
(٣٣) سورة القمر : آية ١٢ .
(٣٤) أساس التأويل : النعمان ، ص ٩٢ ، ٩٣ .
(٣٥) سورة الحديد : آية ٢٦ .
(٣٦) أساس التأويل : النعمان ، ص ٩٣ .
(٣٧) سورة هود : آية ٦٤ .
(٣٨) سورة الأعراف : آية ٧٤ .

اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون) (٣٩) وهى مسائل صاحب الزمان وحججه التأيدية (٤٠) .

ويقولون فى ابراهيم عليه السلام (فلما جن عليه الليل رأى كوكبا)(٤١) مثل الليل الكتمان . فلما أخذ عليه الداعى العهد الكريم وأمره فيه بالستر والكتمان (أى لم تكن هناك أدلة مادية من نجم وقمر وشمس وانما هو تصوير لما تم مـع ابراهيم وانتقاله بين الدعاه ومراتب الدعـوة فكان كلما تعلم علمـا من صاحب مرتبة ظن انه لا يوجد من هو اعلم منه فاذا انتقل الى غيره رأى الكثير .

ويصور لنا النعمان تسلسل ابراهيم مع الحدود فيقول :

فأول حد رآه هو النجوم : ولم يطلعه بعد على غيره من الحدود وفتح له بعض ما عنده مما ينبغى أن يفتح لمثله وسمع من ذلك ما هاله سماعه وأكبره وتوهم انه الغاية وأنه ليس فوقه حد فقال فى نفسه هذا ربى ... أى متولى أمرى ... فلما أفل قال لا أحب الآفلين ...

و (لما انتقل الى حد أعلى كما يقولون) واطلع على الحد الذى فوقه وهـو الحجة وعـرفه الذى عنده وأخبـره بابنائه ووصـله به واطلع على فوق ما اطلعه الأول عند هذا وتوهم فيه كما توهم فى الأول وظن أنه الغـاية .

فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى ... وانحط له الحجة واطلعه على الحد الذى فوقه وهو الامام وأطلع على أكثر مما أطلعه الثانى وأراه برهانه وذلك قوله (فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القـوم الظالمين) (٤٢) يقول لئن لم أظفر بالهدى من عند صاحب الزمان انى لمن الضالين .

---

(٣٩) سورة الزرايات : آية ٤٣ ، ٤٤ .
(٤٠) انظر أساس التأويل : النعمان ، ص ١٠٠ وما بعدها .
(٤١) سورة الانعام : آية ٧٦ .
(٤٢) سورة الأنعام : آية ٧٧ .

فلما اطلع على أمر الامام وهو قوله فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا اكبر يعنى اعترف انه ولى أمره ومربيه الاكبر .

فلما أفلت . يقول فلما وقف على خطط صاحب الزمان ووضعه لمن فوقه من الحدود العلوية قال يا قوم انى برىء مما تشركون انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين .

ثم ينكرون تفاسير أهل السنة وروایاتهم فى هذه الآيات (٤٣) .

« وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين » (٤٤) يعنى طهارة اسم الحـــرم من كل دنس للطائفين يعنى اللواحق الاثنى عشر « والعاكفين » هم الأئمة الملازمون المقيمون .. والركع الأسس والسجود النطقـــاء .

« واذن فى الناس بالحج » (سورة الحج آية ٢٧) يقولون أعلن الدعوة ليستجيب لك المستجيبون السعى بين الصفا والمروة وهو مثل النطقاء السبعة والأئمة السبعة والحجر الذى نصب فى الركن مثل يد الناطق ... واستلامه مصافحة المبايعة له والصفا والمروة مثل الامام والحجة والطواف بهما مثل لطاعتهما (٤٥) .

« واذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا » (٤٦) يا أبت يعنى الذى أخذ عنه علم الظاهر ... يا أبت انى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا يعنى ما جاء من العلم الروحانى المخزون . فاتبعنى أهدك . أى أدلك على امام زمانك وهو الصراط السوى (٤٧) .

---

(٤٣) أساس التأويل : النعمان ، ص ١١١ ، ١١٢ .
(٤٤) سورة البقرة : آية ١٢٥ .
(٤٥) انظر أساس التأويل : النعمان ، ص ١١٧ ، ١١٨ .
(٤٦) سورة مريم آية ٤٢ .
(٤٧) أساس التأويل : النعمان ، ص ١١٨ ، ١١٩ .

ثم يتحدث القاضي النعمان عن كسره للأصنام فيقول :

الكسر ـ أكثرهم بالحجة .. « فأسألوهم ان كانوا ينطقون » (سورة الأنبياء آية ٦٣) أى ان كان عندهم حجة (وهم بهذا ينفون قصة كسرة للأصنام) « قالوا احرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين » (سورة الأنبياء) احماؤهم اياه عليه (قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم)(٤٨) يعنى انه سبحانه جعل كيدهم وما أتى به سلطانهم بردا فى قلبه ولم يسعر قلبه (٤٩) .

فنار ابراهيم عبارة عن غضب نمرود لا عن النار الحقيقية وذبح اسماعيل معناه أخذ العهد عليه (٥٠) « قال يا بنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك » (٥١) أى آخذ عليك ميثاق الامامة وأقيمك لشريعتى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين . يعنى على حمل أثقال الملكوت . فلما أسلم يعنى استسلما كلاهما ابراهيم بتسليم الأمر واسماعيل بتسلمه واحتماله . فالذبح فى الباطن أخذ الميثاق (٥٢) .

ويظهر بوضوح هنا التعسف فى تحريف الآيات وانكار المعجزات . فالنار التى ألقى فيها ابراهيم عليه السلام ليست نارا حقيقة عندهم وانما هو غضب النمرود ؟

ولكن مهما كانت حدة غضب النمرود فلا مناسبة بينه وبين النار ولا يناسب هذا الفهم مع سياق الآية الكريمة ولا مع تقيدها منة تعالى بأن تكون بردا وسلاما على ابراهيم . فان تقييدها بأن تكون بردا وسلاما يعنى مباشرته الفعلية لها . وتعرضه لخطر احراقها له ... فكان تعطيل النار عن خواصها وطبيعتها معجزة لابراهيم عليه السلام .

---

(٤٨) سورة الأنبياء : آية رقم ٦٩ .
(٤٩) أساس التأويل : النعمان ، ص ١٢٢ ، ١٢٣ .
(٥٠) فضائح الباطنية : الغزالى ، ص ٥٧ .
(٥١) سورة الصافات : آية رقم ١٠٣ .
(٥٢) أساس التأويل : النعمان ، ص ١٢٤ ، ١٢٥ .

اما كلام النمرود مهما كان قاسيا فهو لا يستدعى التقيد بالبرد والسلام لانه غير مباشر للحواس وليس بمضر .

كما وأن الخطاب السماوى كان يتجه الى نمرود نفسه وليس الى الفعل . وكان يقول له يا نمرود كن .

وكما تعرضت معجزة النار للانكار والتحريف تعرضت كذلك حادثة الذبح الى التحريف فالذبح عندهم هو أخذ العهد والميثاق وبهذا ينكرون قصة الذبح والفداء ... وهو ما لا يتناسب مع مقام الاصطفاء والتكريم والقرب من الله ... وهل القرب من الله يسمى ذبحا .

وهل يقابل من يصطفيه ربه ويكرمه بأسلوب العجز والتسليم وكأنه يلقى النار (يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى انشاء الله من الصابرين) وهل يقبل أى عقل سليم ان يسلم بهذا .

واذا كان ما تقولون صحيحا وأخذ العهد والميثاق هو الذبح فى الباطن .. فماذا تقولون حينما صدق ابراهيم الرؤيا وهم بذبح ابنه ثم فدته السماء بذبح عظيم ورفع ابراهيم يديه شاكرا لله ثم وضعها ليذبح الكبش . وهل عدلت السماء عن اعطاء العهد لابنه ثم وهبته الكبش أم ماذا تقولون ؟ وهل يقبل مثل هذه المفتريات الا مفتر كذاب .

واذا كان الذبح بمعنى تحمل أمانة الدعوة والميثاق فلماذا أجريتموه على حقيقته حينما ادعيتم افتراءا ذبح عائشة وأجريتموه هنا بمعنى الميثاق ؟

وفى قصة يوسف عليه السلام :

ينكرون قصة زليخا ويقولون انه حجة الملك أراد أن يأخذ من يوسف علمه الباطن . يقول النعمان فى تفسير قوله تعالى (وهمت به وهم بها) (٥٣) أى همت به أن يفاتحها بالعلم الحقيقى وهم هو بها أن يلقى

---

(٥٣) سورة يوسف آية رقم ٢٤ .

ذلك لها لولا ان رأى برهان ربه . اى تأيده ان يضع الحكمة فى غير موضعها ثم يعقب بقوله فأما ما نسبه أهل الظاهر من ألهم بالفحشاء من امرأة الملك الى آخر القصة فقد عصم الله أولياءه من ذلك .

ثم يقول . سبع بقرات سمان . أى حجج الناطق يأكلهن سبع عجاف يعنى حجج الأئمة أى يصير عليهم اليه فيكون ذلك السمن وهو العلم وسبع سنبلات خضر يعنى الأئمة السبعة الذين اخضرو بالتأيد .

« ثم يأتى عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون » (سورة يوسف آية رقم ٤٩) يأتى بعد هذه الأدوار القائم المنتظر (٥٤) .

وقصة القائم المنتظر تحدثنا عنها بالتفصيل فى معتقداتهم (٥٥) والذى يعنينا هنا هو انكارهم لما صرح به القرآن وما حدث مع يوسف عليه السلام فى بيت العزيز .

فالباطنية يقولون أن امرأة العزيز يعنى حجته فى الباطن وأن هـــذه الحجة أراد ان يأخذ عن يوسف العلم الباطنى . ولم تكن المراودة عن النفس تعنى الفحشاء ولكنها لطلب العلم وهذه القضية تثير قضية أخرى ؟

فاذا كان العلم الباطنى سرا ولا يجوز للامام أفشاءه والا اعتبر خائنا وأنتم تنفون عن الامام الخيانة وتصفونه بالعصمة المطلقة فى جميع مراحل حياته من غير خلل ويوسف عليه السلام مازال ضيفا عليهم ولم يبح بسر الباطن لامرأة الملك . فمن الذى عرفها بسره .

فان كان يوسف هو الذى كشف لها عن سره فقد خان الامانة وأنتم لا تقولون بهذا وهو لا يتناسب مع سياق الآية فهى التى همت به أولا ؟

وان كانت عرفته من طريق آخر فقد انكشف لها علم الحقيقة وهى من أرباب العلم الباطنى فما حاجتها فى ارغام يوسف على التصريح لها بسره ؟

---

(٥٤) اساس التأويل : النعمان ، ص ٤٢ وما بعدها .
(٥٥) انظر معتقداتهم فى القيامة .

كما انه لا يعقل أن تطلب من يوسف عليه السلام أن يحدثها عن شيء وهى لا تعرفه ولا تسمع به .

وعلى فرض التسليم بأنها كانت تطلب منه أن يعلمها سر الباطن وهى لا تعرفه . فكان يكفيه أن يقول لها أى كلام لتصـــدقه .. من غير اصرار على التعلم والتعلق به مما مزق قميصه ..

أما اصرارها وتعلقها به فيدل على أحد أمرين : اما أنها تعرف شيئا عن العلم الباطنى ولم تقتنع بهروبه منها . وهو ما ينكرونه لانه يثلم العصمة بتسرب بعض المعلومات السرية الباطنية واما انها تريد شيئا آخر ؟

جعلها تتعلق به وتوصد الأبواب دونه . وجعله وهو النبى الكريم يهرب منها ...

ولولا شدة الموقف أمام يوسف لما حذرته السماء ولما رأى برهان ربه وهذا ما يتناسب مع ما ذهب اليه علماء الاسلام وما صرح به ظاهر القرآن الكريم وهو ما يتمشى مع سياق الآية الكريمة وما تصرح به من ألفاظ فى دلالتها غنية عن التعبير والاشارة .

« كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء » (٥٦) فان لفظ السوء والفحشاء لا يتناسب مع مقام القاء علم سماوى بين حجة الملك ويوسف عليه السلام ولكن مقام الذى ترد فيه مثل هاتين الكلمتين هى ما صرح به القرآن الكريم الموصل الى الاثم والذى جعل يوسف يهرب منها لتمزق قميصه من الخلف وهى تلاحقه .

« ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين » (٥٧) واذا كان هدف زليخا هو معرفة العلم الباطن لانها تعرف انه أشرف العلوم فهل يتناسب هذا مع قولها حين رأت العزيز بالباب (ما جزاء من أراد بأهلك سوءا الا أن يسجن أو عذاب أليم) (٥٨) .

---

(٥٦) سورة يوسف : آية ٢٤ .
(٥٧) سورة يوسف : آية ٢٦ .
(٥٨) سورة يوسف : آية ٢٥ .

ان منتهى الانحراف والتخبط أن يقترن فى ذهنكم السوء والفحشاء بالعلم السماوى ....

وفى موسى عليه السلام يقولون :

عصا موسى حجته التى تلقفت ما كانوا يأفكون من الشبه لا الخشب (وانفلاق البحر) افتراق علم موسى فيهم على أقسام (والبحر) هو العلم و (الغمام الذى أظلهم) معناه الامام الذى نصبه موسى لارشادهم وأفاضه العلم عليهم و (الجراد والقمل والضفادع) هو سؤالات موسى والتزاماته التى سلطت عليهم و (المن والسلوى) علم نزل من السماء لداع من الدعاة هو المراد بالسلوى (تسبيح الجبال) معناه تسبيح رجال شداد فى الدين راسخين فى اليقين و (الجن الذين ملكهم سليمان بن داود) باطنية ذلك الزمان و (الشياطين) هم الظاهرية الذين كلفوا بالاعمال الشاقة .

وفى عيسى عليه السلام يقولون :

له أب من حيث الظاهر وانما أراد (أى القرآن الكريم) بالأب المنفى : الامام : اذا لم يكن له امام بل استفاد العلم من الله بغير واسطة وزعموا لعنهم الله أن أباه يوسف النجار (وكلامه فى المهد) اطلاعه فى مهد القالب قبل التخلص منه على ما يطلع عليه غيره بعد الوفاه والخلاص من القالب و (احياء الموتى من عيسى) معناه بحياة العلم عن موت الجهل بالباطن و (ابراؤه الأعمى) عن عمى الضلال و (الابرص) عن برص الكفر ببصيرة الحق المبين (٥٩) .

ولا أدرى كيف ساغ للعقل الباطنى أن ينكر النصوص الصريحة ثم يتصور أو يصور أن عيسى هو ابن يوسف النجار .

وأن مراد القرآن من نفى الابوة عنه أنه لم يكن له معلم .. وهى سقطة لا يسقطها الا جاهل موغل فى الجهل .

فان سن الاستعداد للتعليم وقبول العلم لا تكون لحظة الولادة

---

(٥٩) فضائح الباطنية : الغزالى ، ص ٥٧ ، ٥٨ .

ولا يمكننا الحكم لحظة الولادة اذ سن التعليم بعدها بسنوات حينما يكتمل ويستعد الطفل للتعليم ..

أما نفى الابوة عن عيسى فقد صرح به القرآن الكريم على لسان مريم عليها السلام قبل مولده وحينما أخبرت بأن الله وهب لها غلاما ذكيا (قالت انى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا) (٦٠) فان النفى صريح وقاطع فى عدم اتصال البشر بها وعدم الأبوة لعيسى .

واذا كان يوسف النجار أبا عيسى فلماذا خافت مريم من أهلها وتركت الديار الى المكان القصى ولماذا لم تمكث فى بيت زوجها ...

ولماذا ندبت حظها حينما جاءها المخاض ثم من شدة هلعها وفزعها (قالت يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا) (٦١) أكان هلعها وفزعها لأن ابنها سوف لا يجد معلما فى المستقبل يعلمه ومن الذى أدراها بذلك .

ثم بماذا تفسرون قولها : « لم يمسسنى بشر » وأيضا « لم أك بغيا » ثم لماذا اختارت فى التعبير لفظ بشر وأكدت أنها لم يمسسها كما اكدت أنها لم تك بغيا أليس هذا حاجزا منيعا فى وجه من يزعم أنها أنجبته بالمعاشرة الزوجية أو عن طريق السفاح ؟ ألا يكفى هذا دليلا وشهادة من رب الأرباب لها بالطهر والعفاف .

ثم كيف تربط الباطنية بين هذه الآيات وقوله تعالى فى مجال اثبات حالة عيسى فى عدم وجود أب له كآدم سواءا بسواء .

(ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) (٦٢) ان الباطنية وهى تسلك طريقها المعوج فى التأويل تكشف عن نواياها وتميط اللثام عن حقيقة غرضها وهو التشكيك والتشويه للقرآن الكريم وصرف الناس عنه .

---

(٦٠) سورة مريم : آية رقم ٢٠ .
(٦١) سورة مريم : آية ٢٣ .
(٦٢) سورة آل عمران : آية ٥٩ .

ويقولون فى محمد ﷺ :

قال تعالى : « هو الذى بعث فى الاميين رسولا » (١٣) .

الأميون هم أهل الحقيقة من المؤمنين وقيل لهم أميون لانهم ينسبون الى حجة ناطق الزمان الذى اليه الدعوة الباطنية .

النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم (٦٤) ازواجه فى الباطن حججه .

يا يها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس (٦٥) يدعون أن الله أمر محمدا ﷺ بنصب على بن أبى طالب اماما ووصيا فى ذلك اليوم ولكن الرسول تباطأ فأمره الله وعنفه) .

فقام بغدير خم بولاية على . يقول النعمان ولما كبر ذلك على رسول نزل قوله تعالى :

« وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما الا بالحق » والسموات أمثال النطقاء والأرض أمثال الاسس . يعنى ما أقمنا ما أقمناه الا بالحق . وأن الساعة آتية يعنى قائم الزمان .

ولقد آتيناك سبعا من المثانى . يعنى الأئمة السبعة من ذريته . والقرآن العظيم يعنى أساسه الذى أقامه .

« انا فتحنا لك فتحا مبينا » (٦٦) يعنى فتحا ما كان مقفلا فى شريعتك من البيان باقامة أســـاسك لذلك ويتم نعمته عليك أى بظهور القائم من ذريتك ومبشرا ونذيرا

مبشر بالاساس والائمة من ذريته من تعيين منهم ونذيرا فتنذر بالقائم من ذريته .

---

(٦٣) سورة الجمعة : آية ٢ .
(٦٤) سورة الأحزاب : آية ٦ .
(٦٥) سورة المائدة : آية ٦٧ .
(٦٦) سورة الفتح : آية رقم ١ .

فصلى لربك وانحر اى أقم الدعوة لله باطنا . انحر أى خذ العهد على أساسك ونصبه للبيان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان الحسن والحسين .

وكل شيء أحصيناه فى امام مبين . على بن أبى طالب رضى الله عنه .

« ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العاملين » (٦٨) آل أبى طالب واسم أبو طالب عمر .

فقاتلو أئمة الكفر طلحة والزبير والشجرة الملعونة فى القرآن بنو أمية (٦٩) .

وقد تعرضنا بالتفصيل لموقف الباطنية من الآيات الواردة فى رسول الاسلام الكريم سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه عندما تحدثنا عن النبى والرسول .

الرمز فى القرآن الكريم عند الباطنية :

ان الله سبحانه وتعالى جعل افتتاح كل سورة من سور القرآن على سبعة واثنى عشر حرفا وهى . بسم الله الرحمن الرحيم .

فبسم الله . عددها سبعة أحرف وهى تدل على الأئمة السبعة .

والرحمن الرحيم . اثنى عشر حرفا وهى تدل على الحجج الاثنى عشر (٧٠) .

ولهذا عندهم بنى الاسلام على سبع دعائم . وهى :

الولاية والطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد

ولها فى الباطن تأويل :

الولايـــة مثلها مثل آدم

(٦٧) انظر أساس التأويل : النعمان ، ص ٣٢ وما بعدها .

(٦٨) سورة آل عمران : آية ٣٣ .

(٦٩) منهاج السنة : ابن تيمية ، ص ١١١ جـ ٢ .

(٧٠) رسالة الاسابيع : قيس ابن منصور ص ٥٨ ضمن خمس رسائل لعارف تامر .

الطهارة	مثلها	مثل نوح
الصلاة	مثلها	مثل ابراهيم
الزكـــاة	مثلها	مثل موسى
الصوم	مثلها	مثل عيسى
الحج	مثلها	مثل محمد ﷺ
الجهاد	مثلها	مثل صاحب القيامة (٧١)

ومنهــا :

الجبال سبعة والسماوات سبعة والأرض سبعة وأبواب جهنم سبعة . وجعل القرآن أسباع والحواميم سبعة والنطقاء سبعة وأسسهم سبعة . والنطفاء سبعة . والأئمة سبعة وجعل سورة الحمد سبع آيات والطواف حول البيت سبعا . والسعى بين الصفا والمروة سبعة (٧٢) وهى مثل للنطقاء السبعة والأئمة السبعة (٧٣) وأيام الأسبوع سبعة ثم خلق الانسان فى نفسه وجعله على سبع طبقات لتأكيد الحجة عليه ولذلك قال جل ثناؤه . « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكســونا العظـــام لحما ثم انشـــأناه خلقا آخـــر فتبارك الله أحســـن الخالقين ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين (صدق الله العظيم) .
سورة المؤمنون الآيات (١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧) .

ولقد خلق الانسان على سبع طبقات هى : مخ وعظم وعصب ولحم ودم وعروق وجلد ثم جعل هيئة المفاصل سبعة من كل ناحية هى قدمين وساقين وفخذين وكتفين وذراعين وعضدين ورأس وهو العضو السابع(٧٤)

---

(٧١) تأويل الدعائم : النعمان ، ص ٥١ و ٥٢ ملخصا .
(٧٢) رسالة الاسابيع : قيس بن منصور ، ص ١٥٩ .
(٧٣) أساس التأويل : النعمان ، ص ١١٧ .
(٧٤) رسالة الأسابيع : قيس بن منصور ، ص ١٥٩ ضمن خمس رسائل اسماعيلية لعارف تامر .

والمنافذ سبعة : وهى الفم والنخران والعينان والاذان . وهذه المنافذ السبعة مثل النطقاء السبعة (٧٥) .

والآدمى على شكل حروف محمد فان رأسه مثل « ميم » ويداه مبسوطتان « كالحاء » وعجزه ك « ميم » ورجلاه « الدال » وبهذا الجنس يتكلمون على شكل الطيور والبهائم (٧٦) .

وكما استدلوا على العدد سبعة للائمة السبعة استدلوا بالعدد اثنى عشر وأولوا قوله :

ولقد أخذنا ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا » (٧٧).
هم الحجج (٧٨) .
وزعموا أن البروج اثنا عشر فتدل على الحجج الاثنى عشر (٧٩) .

ومثل السبعة عشر ركعة فى كل يوم وليلة . مثل الخمسة النطقاء أولى العزم والاثنى عشر دعوة لكل صاحب زمان .

الرد على الباطنية

آثارت تأويلات الباطنية عليهم موجة شديدة من الرد والانكار لآرائهم الباطلة ولدعواهم بأن هـــذه التأويلات ارث لهم ولايعرفها أحــد غيرهم واستباحوا لأنفسهم تحت هذا الستار تأويل القرآن الكريم تأويلا يخرج به عن كونه كتاب الاسلام ودستوره المقدس الى اشارات ورموز لعقائدهم .

وأولوا جميع آيات القرآن تبعا لنظرية المثل والممثول ؟ وهذا يدعونا

---

(٧٥) انظر تأويل الدعائم : النعمان ، ص ٣٧ .
(٧٦) فضائح الباطنية : الغزالى ، ص ٦٧ .
(٧٧) سورة المائدة : آية ١٢ .
(٧٨) تأويل الدعائم : النعمان ، ص ١١٥ .
(٧٩) فضائح الباطنية : الغزالى ، ص ٦٧ .
(٨٠) تأويل الدعائم : النعمان ، ص ١٨٢ ، ١٨٣ ملخصا .

لنتساءل هل اذا جاز لنا على رأى من يقول بالتأويل أن تؤول آيات القرآن كلها ؟ أم أن هناك آيات لا يجوز تأويلها ؟

يقول ابن رشد . أجمع المسلمون على أنه ليس يجب أن تحمل ألفاظ الشرع كلها على ظاهرها . ولا أن تخرج كلها من ظاهرها بالتأويل .

واختلفوا فى المؤول منها وغير المؤول . فالأشعريون مثلا يتأولون آية الاستواء وحديث النزول والحنابلة تحمل ذلك على ظاهره .

والسبب فى ورود الشرع فيه الظاهر والباطن هو اختلاف فطر الناس وتباين قرائحهم فى التصديق (٨١) .

ويقول الامام النسفى :

والنصوص من الكتاب والسنة تحمل على ظواهرها ما لم يصرف عنها دليل قطعى كما فى الآيات التى يشعر ظواهرها الجهة والجسمية ونحو ذلك . لا يقال هذه ليست من النصوص بل من المتشابه لا تقول المراد بالنص هاهنا ليس ما يقابل الظاهر والمفسر والمحكم بل ما يعم أقسام النظم على ما هو المتعارف . فالعدول عنها أى عن الظواهر الى معان يدعيها أهل الباطن وهم الملاحدة وسمو الباطنية لادعائهم أن النصوص ليست على ظواهرها بل لها معان باطنة لا يعرفها الا المعلم وقصدهم بذلك نفى الشريعة بالكلية .

الحاد أميل وعدول عن الاسلام واتصال واتصاف بكفر لكونه تكذيبا للنبى عليه السلام فيما علم مجيئه به بالضرورة (٨٢) .

واذا كان الامام النسفى حكم عليهم من خلال تأويلاتهم بالكفر والالحاد فقد اشتد عليهم أكثر منه ابن تيمية اذ يقول كاشفا عن أغراضهم وعن الوسيلة الوحيدة التى دخل منها هؤلاء على المسلمين بترويج مبادئهم واشاعتها بين الناس هى التأويل . وكانوا يهدفون من وراء ذلك الى غرضين :

---

(٨١) فصل المقال : ابن رشد ، ص ١٦ .
(٨٢) العقائد النسفية ، ص ١٤٨ .

الأول : كسر شوكة الصحابة والسلف فى نفوس المسلمين .

الثانى : صرف عقول الناس عما نقله السلف والصحابة من الأحاديث الصحيحة والآثار ليسهل بذلك استدارجهم الى ما يريدون من الانخلاع عن الدين وتشكيكهم فى المنقول اليهم عن طريق السلف ليشعروا بحاجتهم الى هؤلاء الدعاة ليشرحوا لهم ما التبس أمره وعز فهمه عليهم .

ويربط ابن تيمية بينهم وبين الرافضة فى علاقة تجمع بينهم فى الآتى :

١ ــ الطعن فى خيار الأمة وفيما عليه السلف وأهل السنة .

٢ ــ الطعن فى أصول الدين وقواعد الملة .

٣ ــ تحريف القرآن وادعاؤهم أن هناك باطنا له امتازوا به واختصوا به عمن سواهم .

ثم لا يتردد ابن تيمية فى الحكم على معتقد هذه التأويلات بالزندقة والكفر والالحاد ثم يتتبع المنهج الباطنى لدى جميع الفرق التى سلكت فى تاويل القرآن مسلك الظاهر والباطن أو الرمز والمرموز أو المثل والممثول فيبين لكل من سلك هذا المسلك انه سلك طريق الشيطان وليس طريق الرحمن (٨٣) .

ويرد الغزالى عليهم مفندا آراءهم فيقول :

هذه البواطن والتأويلات التى ذكرتموها لو سامحناكم انها صحيحة دما حكمها فى الشرع ؟ أيجب اخفاؤها . أم يجب افشاؤها ؟ فان قلتم يجب افشاؤها الى كل أحد قلنا فلم كتمها محمد ﷺ فلم يذكر شيئا من ذلك لعامة الخلق حتى درج ذلك العصر ولم يكن لاحد من هذا الجنس خبر ؟ وكيف استجاز كتمان دين الله وقد قال تعالى (لتبيننه للناس ولا تكتمونه) تنبيها على أن الدين لا يحل كتمانه . وان زعموا انه يجب اخفاؤه فنقول ما وجب على رسول الله ﷺ ــ اخفاؤه من سر الدين حل لكم افشاؤه ؟

---

(٨٣) انظر الامام ابن تيمية وموقفه من التأويل : الجلنيد ص ٢٩٧ وما بعدها .

والجناية فى السر بالافشاء ممن اطلع عليه من أعظم الجنايات فلولا ان صاحب الشرع عرف سرا عظيما ومصلحة كلية فى اخفاء هذه الاسرار لما أخفاها ولما كرر هذه الظواهر على اسماع الخلق ولما تكررت فى كلمات القرآن صفة الجنة والنار بألفاظ صريحة من علمه بأن الناس يفهمون منه خلاف الباطن الذى هو حق .

ويعتقدون هذه الظواهر التى لا حقيقة لها . فان نسبتوه الى الجهل بما فهمه الخلق منه فهو نسبة الى الجهل بمعنى الكلام ، اذا كان النبى ﷺ يعلم قطعا أن الخلق ليس يفهمون من قوله (وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهه كثيرة) (٨٤) الا المفهوم منه فى اللغة فكذا سائر الألفاظ ثم مع علمه بذلك كان يؤكده عليهم بالتكرير والقسم ولم يفش اليهم الباطن الذى ذكرتموه لعلمه بأنه سر الله المكتوم فلم أفشيتم هذا السر وخرقتم هذا الحجاب ؟ وهل هذا الا خروج عن الدين ومخالفة لصاحب الشرع ، وهدم لجميع ما أسسه ؟ أسلم لكم جدلا أن ما ذكرتموه من الباطن حق عند الله وهذا لا مخرج لكم عنه فان قيل هذا سر لا يجوز افشاؤه الى عوام الخلق ولهذا لم يفشه رسول الله ﷺ ولكن حق النبى أن يفشيه الى سوسه الذى هو وصيه وخليفته من بعده وقد أفشاه الى على دون غيره قلنا . وعلى هل افشاه الى سوسة وخليفته أم لا ؟ . فان لم يفشه الا الى سوسه وكذا سوس سوسه وخليفة خليفته الى الآن .

فكيف انتهى الى هؤلاء الجهال من العوام حتى تناطقوا به وشحنوا التصانيف بحكايته وتداولته الألسنة ؟ فلابد وأن يقال : أن واحدا من الخلفاء عصى وأفشى السر الى غير أهله فانتشر وعندهم أنهم معصومون لا يتصور عليهم العصيان فان قيل السوسى لا يذكره الا مع من تعاهده عليه قلنا وما الذى منع الرسول من أن يعاهد ويذكره أن كان يجوز افشاؤه مع العهد ؟ فان قيل لعله عاهد وذكر ولكن لم ينقل لاجل العهد الذى أخذ ممن

---

(٨٤) سورة الواقعة الآيات من ٢٠ الى ٢٢ .

أفشى اليه قلنا ولم انتشر ذلك فيكم وائمتكم لا يظهرون ذلك الا مع العهد عليه ؟ وما الذى عصم عهد أولئك دون عهد هؤلاء ؟

ثم يقال اذا جاز افشاء هذا السر بالعهد فالعهد يتصور نقضه فهل يتصور أن يفشيه الى من يعلم الامام المعصوم أنه لا ينقضه أو يكفى أن يظنه بفراسته واجتهاده واستدلاله بالامارات

فان قلتم . لا يجوز الا الى من علم الامام المعصوم أنه لا ينقضه بتعريف من جهة الله فكيف انتشرت هذه الاسرار الى كافة الخلق ولم تنتشر الا ممن سمع ؟ فاما أن يكون المبلغ ناقضا للعهد أو لم يعاهد أصلا . وفى أحدهما نسبة المعصوم الى الجهل ، وفى الآخر نسبته الى المعصية . ولا سبيل الى واحد منهما عندهم وان زعمتم انه يجل الافشاء بالعهد عن شهادة الفراسة فى المأخوذ عليه عهده انه لا ينقضه استدلالا بالامارات ففى هذا نقض أصل مذهبهم لانهم زعموا انه لا يجوز اتباع أدلة العقل ونظره .

ويخرج من هذا الامام الغزالى الى رفض تأويلاتهم واعتبارها باطلة مستندا الى فعل الرسول فيقول :

ولنا فى رسول الله أسوة حسنة فى قوله وفعله فلا نقول الا ما قال ولا نظهر الا ما يظهر ونسكت عما سكت عنه (٨٥) .

أما الرمز فقد أنكره الكل .

يقول الامام الصدر أن طريقة القرآن لا تعتمد أصلا على الطريقة الرمزية والدلالات العقلية الغامضة ولا على علم الاعداد وحروف الجمل ومقاطع الابجدية .

ثم يرتضى طريقة أهل السنة فيقول :

وهذه هى الطريقة التى اعتمدت عليها السنة المطهرة وبالذات فى بيان الأحكام وفى تفسير الآيات الالهية وقد حذا حذو الرسول فى هذه الطريقة خلفاؤه والأئمة من بعده .

---

(٨٥) فضائح الباطنية : الغزالى ، ص ٦١ وما بعدها .

والقرآن الكريم يؤكد فى مواضع كثيرة اعتماده هذه الطريقة منها آية ١٥ من سورة المائدة « قد جاءكم من الله نور وكتاب يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه » وآية ٤ من سورة السجدة « كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون » .

وآية ١٨٥ من سورة البقرة « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » .

والسنة المطهرة تؤيد هذا فى أحاديث كثيرة منها الحديث المستفيض المشهور اذ التبست عليكم الفتن كغياهب الليل المدلهم فعليكم بالقرآن » الكافى أبواب القرآن .

ان هذه الآيات والروايات تنفى بوضوح ، الرمزية فى القرآن وتؤكد أن القرآن كتاب هداية للبشر كل البشر على اختلاف درجات معرفتهم نزل بلغة عربية ظاهرة لا رمز فيها ولا غموض (٨٦) .

واذا كانت قضية التأويل لدى الباطنية لا تخضع لقواعد اللغة والتأويل عندهم ليس علما كسبيا بل هو علم سماوى موروث اختص به الامام كما اختص النبى بالتنزيل ؟

وهو أمر يقتضى من الباطنية أولا : أن يقيموا الدليل على تعين امام واثبات النص عليه وانه وارث علم التأويل .

ثانيا : اقامة الدليل على صدق الامام .

ثالثا : اقامة الدليل على أن هذه التأويلات ارث سماوى تناقلته الأئمة فيما بينهم من غير تحريف أو تبديل حتى يتميز عن تأويلات الادعياء ؟

ولما كانت دعواهم فى اثبات الامامة بالنص عليها قد تهاوت ولا دليل لهم عليها بل وبطلت أدلتهم عليها سابقا (فى باب الامامة) .

---

(٨٦) تاريخ الفلسفة الحديثة : كوريان ، ص ١١ ، ١٢ .

وأصبحوا مطالبين باقامة الدليل على صـــدق الامام كما يتعين على الامام أن يأتى بمعجزة يثبت بها صدقه فى دعواه وصدقه فى نسبة التأويل الى الله .

فان لم يستطيع الامام أن يأتى بعلامة دالة على صدقه أو بمعجزة يثبت بها نسبة التأويل الى الله فمن اين يتأتى لنا أننصدقه فى دعواه أن التأويل من عند الله مادام التأويل لا يخضع لقواعد اللغة ؟ !

فاذا كان الله سبحانه وتعالى قد أيد نبيه صاحب التنزيل بالمعجزة كدليل على صدقه فى دعواه فلماذا لم يؤيد الامام صاحب التأويل وهو عند الباطنية أهم بالمعجزة .

ولماذا يختص النبى بالتنزيل مع أنه يمثل ظلال الحقيقة ويختص الامام بالتأويل وهو عين الحقيقة . ثم يؤيد الأول بالمعجزة ولا يؤيد الثانى بالمعجزة ... ولماذا يجعل دور النبوة معلنا ودور الامام مخفيا مع أنه يمثل الحقيقة ... ولماذا يأمر بتعلم القرآن واعلانه والتقيد به مع أنه قشر غير مراد ثم يخفى التأويل ويكتمه مع أنه المراد .

وهل أراد الله بهذا أن يخدع الجم الغفير من الناس ويعلن عليهم القشور ويخفى عنهم الحقيقة ؟ والا فما الدليل على أنها من عند الله ؟ !

فقد كانت معجزة صدق القرآن الكريم انه جاء بلغة العرب ثم تحداهم فلم يستطيعوا أن يأتوا بسورة من مثله .

فما معجزة التأويل وما هو الدليل المادى على أنه من عند الله ؟

وما دام التأويل لا يخضع لقاعدة ومادام الامام لا تؤيده المعجزة فمن الذى يميز بين قول الامام وقول غيره من الادعياء والادعياء كثيرون ومن الذى يميز تأويلاتهم من تأويلات الامامية مع دعوى كل من الطرفين أنهم دون غيرهم ورثة علم التأويل فى الوقت الذى يكذب كل منهم الآخر فى دعواه ومن الذى يحدد لنا صدق أحد الطرفين ومن الذى يميز قول المبطل من الحق ؟!

أهو لمجرد أن يقول أنا الامام ؟

اذا كان هذا فالكل يدعى الامامة ويعلن أحقيته لها ولا نستطيع التمييز بين المحق والمبطل ؟ أم لمعجزة خارقة للعادة تفصل بين الحق والباطل وتثبت فى صراحة أن التأويل من عند الله . ومادام الأمر يتعلق بالسماء . تعين أن تكون هناك معجزة تفرق بين الحق والباطل .

وما دام الطرفان قد عجزا عن اقامة الدليل أو الاتيان بمعجزة . فقد ثبت كذبهما . فيما يدعيانه من نزول تأويل من السماء على الامام .

والذى نخلص اليه أن التأويل كما يفهمه ويدعيه الباطنية لم يقم عليه دليل بل هو تحريف للقرآن واخراج له عن حده وتشكيك الناس فيه ويجب الرجوع الى القرآن والتمسك به والاحتكام فى تفسيره الى القرآن نفسه فالقرآن يفسر بعضه بعضا أو السنة الغراء فهى شارحة وموضحة للقرآن وصاحبها أمام النبيين وخاتم المرسلين أدرى الناس بأسرار القرآن وطرق تفسيره .

أما ما تشيعه الباطنية من تأويلات فهى غنية بما فيها من تناقض وكذب وبعد عن الواقع عن الرد وقد أقمنا الدليل على كذبها وتهافتها ..

وبعد أن ثبت أن تأويلاتهم فاسدة فهل انتهت آراؤهم الفاسدة أم لهم آراء أخرى فاسدة هذا ما سنتناوله فى الباب التالى .

الباب الرابع

آراءهم وأفكـــارهم الفاســـدة

فى الألهيات ـــ والنبوات ـــ والقيامة ـــ والميعاد

الفصل الأول

الآله عند الباطنية

أحاط بفكرة الباطنية عن الاله الغموض حتى زمن غير بعيد كما أحاط بالكثير من مبادئهم ونظرا للخلط الشديد بين أقوالهم وأقوال الفلاسفة من جهة وأقوالهم وأقوال الفرق الضالة من جهة أخرى لم تتضح أكثر مبادئهم الا منذ زمن غير بعيد ويرجع هذا الى عدة عوامل أهمها :

١ ــ السرية الشديدة التى يفرضها الباطنية على مبادئهم وعلومهم ولا يصرحون بها الا لاتباعهم .

٢ ــ اختلاط مبادئهم وأفكارهم بأقوال الفلاسفة وتأثرهم بهم .

٣ ــ عدم ظهور كتبهم التى تعبر عن وجهة نظرهم المستقلة الا منذ زمن قريب .

ولهذا اقتصرت أغلب المصادر التى تحدثت عنهم وتناولت مبادئهم منذ زمن غير بعيد على ما يتناثر هنا أو هناك من بعض المبادىء التى تتسرب من بعض اتباعهم وتخرج من كهف السرية .

لهذا وحتى نكشف عن حقيقة وجهة نظرهم فى الالهيات يجب أن نتحقق بادىء ذى بدء من الآتى :

١ ــ هل الباطنية تقول بالتعدد أم انها تنزه البارى سبحانه وتعالى عن الشريك ؟

٢ ــ هل الباطنية تجرد الذات عن الصفات فهى من المعطلة ؟ أم أنها تعترف بالصفات ؟

ولنتحقق من هذا نقول :

أولا : ان الباطنية وان كانت قد انحرفت وتناقضت فى تفسيراتها وتأويلاتها مع الأسس والمبادىء الاسلامية وكشفت عن حقيقة دعوتها ومجافاتها لروح الاسلام فيما ظهر أخيرا من كتبهم الا أنها لم تصرح بما يفيد أو يشير الى أنهم يقولون بالتعدد بل أقوالهم صريحة فى أنهم يؤمنون بالله واحد ويشهدون له بالوحدانية .

ونستكشف هذا من حديث النعمان حينما يصف عقيدة التوحيد عند العقول فيقول : ان كل واحد منهم (أى من العقول) نظرا الى ذاته والى أبناء جنسه فعلم أن له ولهم مبدعا بخلافهم فنفى عنه وعن أبناء جنسه الألوهية وأثبتها لمبدعهم تعالى وشهدوا له بالوحدانية (١) وهذا واضح الدالة أنهم لا يطلقون على أى عقل من العقول أنه اله . بل الله فوق هده العقول وخالقها وهو المبدع وغيب الغيوب ولا تدركه الابصار (٢) أبدع الابداع المكنى عنه بعالم الأمر (٣) ثم أبدع بالأمر العقل الاول الذى هو تام بالفعل ثم بتوسطه (أى توسط العقل الأول) أبدع النفس(٤) والشرع سماهما باسم القلم واللوح والأول هو القلم فالقلم مفيد واللوح مستفيد ومتأثر والمفيد فوق المستفيد (٥) .

ولكن كيف تم الابداع ؟

ان كلمة ابداع وهو الابداع الخلاق المباشر هى وقف على الفعل الاذلى الذى يأمر عالم الابداع بقوله كن (٦) فالله أبدع الكلمة ... وهى « كن » من قوله تعالى « انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون »(٧) وكلمة « كن » حرفان كاف ونون ... فالكاف رمز للعقل الأول « القلم » وهو

---

(١) تأويل الدعائم : النعمان .
(٢) تاريخ الفلسفة : كوربان .
(٣) تأويل الدعائم : النعمان .
(٤) الملل والنحل : الشهرستانى .
(٥) فضائح الباطنية : الغزالى ، ص ٢٩ .
(٦) تاريخ الفلسفة : كوربان ، ص ١٤٢ .
(٧) سورة يس : الآية ٨٢ .

أقرب الحدود الى الله ونظر لأنه أقرب العقل الى الله وأسبقهم الى توحيده سمى السابق أما النون فهى رمز للنفس الكلية وهى التى رمز اليها فى القرآن الكريم باللوح وسميت بالتالى (٨) .

ويستدل النعمان على هذا بقول الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه .

أول ما خلق الله عز وجل من خلقه القلم ثم أجرى نهرا أحلى من العسل وأشد بياضا من اللبن وألين من الزبد ثم اللوح المحفوظ .

وفسر النعمان القلم بأنه أعلى الحدود التى حدها الله لعباده وأنه الحامل للعلم الذى استمده من الله سبحانه وتعالى وثبته فى اللوح واللوح حد من حدود الله دون القلم والنهر الذى أجراه سبحانه وتعالى هو العلم (٩) وكلمة الله سبحانه وتعالى ولذلك قيل أن الكلمة فوق العقل ودون المبدع تعالى اشارة الى هذا العلم الجارى والنور السارى ويسمى أيضا بالأمر وبه نص الكتاب الكريم بقوله تعالى « يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده » (١٠) وهو المسمى بروح القدس اذ القدس هو العقل الأول وهو العلم الجارى وهو روح له متصل به من الله عز وجل وهو علمه (١١) .

وهم يبالغون فى أسباغ صفات القداسة على القلم واللوح أو الأول والتالى وينسبون الى الأول الذى هو القلم الفعل والتأثير .

ولعل نصا من هذه النصوص وقع عليه الامام الغزالى ولهذا قال أنهم يقولون بالهين قديمين لا أول لوجودهما من حيث الزمان الا أن أحدهما علة لوجود الثانى واسم العلة السابق واسم المعلول التالى (١٢) .

---

(٨) أدب مصر الفاطمية : محمد كامل حسين ، ص ٢٨ ، ٢٩ .
(٩) أساس التأويل : النعمان ، ص ٣٩ .
(١٠) سورة غافر : الآية ١٥ .
(١١) تأويل الدعائم : النعمان ، ص ٢٨ .
(١٢) فضائح الباطنية : الغزالى ، ص ٣٨ .

ولهذا المعنى ذهب البغدادى أيضا الى حيث يقول أن الباطنية قالوا ان الاله خلـق النفس فالاله هـو الأول والنفس هـو الثانى وهمـا مدبرا هذا العالم وسموهما الأول والثانى وربما سموهما العقل والنفس(١٣)

ومما سبق ومن خلال أقوال الباطنية يتضح أن الباطنية لم يقولوا بالهين بل يؤمنوا باله واحد وفوق هذا ينزهونه عن كل وصف ونعت .

وهنا تظهر حقيقة أخرى فى العقيدة الاسـماعيلية وهى اطلاقهم الأسماء والصفات على العقل الأول ولذا يقولون الموصوف بصفات الذات هو العقل الأول وهو الاسم الحق بل هو أول بذاته واسم بذاته (١٤) وهو ستر ودعامة لاسم الله الاعظم واليه تعود الآيات التى يرد فيها هـذا الاسم (١٥) ونظرا لتقديسهم العقل الأول واطلاق الاسماء والصفات عليه وتأويل الصفات والأسماء التى وردت فى القرآن الكريم عليه وعدم اطلاقها على الله تعالى بدعوى أنهم ينزهون الله عن الوصف والنعت حدث الخلط فى نصوصهم .

ولعل نصا من هذه النصوص وقع عليه الامام الغزالى ففهم منه هذا وهو محق فى فهمه فان النصوص الباطنية كانت يومها بالاضافة الى الخلط فيها وتأويل آيات الصفات والأسماء على العقل الأول كانت تحوط بها السرية ويكتنفها الغموض ولم يكن قد كثر حولها الشرح والتوضيح وظهرت كتبهم فى السوق بمثل ما هى عليه اليوم فلم يتمكن الامام الغزالى يومها من كشف هذا الجانب من معتقدات الاسماعيلية الباطنية .

وعندى ان الباطنية رغم أنهم من أبناء المجوس كما أثبتنا هذا من قبل ورغم أن المجوس يقولون بالهين ؟ الا أنهم لم يحاولوا أن يخدشوا عقيدة

---

(١٣) انظر الفرق بين الفرق : البغدادى ، ص ٢٨٤ ، ٢٨٥ .
(١٤) رسالة الاسابيع : ص ١٦٠ ضمن خمس رسائل اسماعيلية لعارف تامر .
(١٥) تاريخ الفلسفة : كوربان ، ص ١٤٤ .

النوحيد وان كانوا تأثرا بعقيدتهم قد بالغوا فى اسباع صفات القداسة على العقل الأول والثانى ولكنهم لم يجرؤ فى اقوالهم على خدش عقيدة التوحيد لاعتقادهم أن أمثال هـــذه البذور لاتنبت فى البيئة الاســـلامية لأن مجرد التشكيك فى وحدانية الله كفيل بأن يظهر حقيقة شركهم وكفرهم ويؤلب المسلمين جميعا عليهم ويكشف عن حقيقتهم خاصة وهم يدعون أنهم حماة الدين وأنهم من نسل آل البيت فهم يخوضون فى الأمور التى لا تكشـــف عن حقيقتهم وتبطل مزاعمهم من أول الطريق .

ولهذا ورغم عدم تصريحهم بالقول بالهين الا أنهم صـــنعو بتأويلاتهم وتفسيراتهم ما يؤدى بمعتقديها الى أبشع من هذه النتيجة ؟

بتعطيلهم الذات عن الصفات واسباغها واسباغ كل صفات الفعل والتأثير للعقل الأول . ولما كان الامام عندهم هو شبيه العقل الأول أو امتداده فانهم يسبغون جميع الصفات على لامام .

يقول الدكتور محمد كامل حسين . وهذه العقيدة الاسماعيلية تقودنا الى حقيقة أخرى فى أسباغ الصفات على الأئمة .

فبناءا على نظرية المثل والممثول يجب أن يكون فى العالم الأرضى عالم جسمانى فى ظاهره يماثل العالم الروحانى الباطن فالامام مثل السابق وحجته مثل الثانى وكل خصائص العقل الأول السابق جعلت للامام فمثلا نـــرى الاسماعيلية ينزهون الله تعالى عن كل الصفات والأسماء وقالوا ان أسماء الله الحسنى هى أسماء الأول السابق وان الله سبحانه يتعالى عن أن يتصف بصفة ... وانما كل ما جاء فى القرآن الكريم من صفات الله فهى لعقل الأول السابق واذا فهى صفات يوصـــف بها مثل العقل الأول فى العالم الجسمانى وهو الامام (١٦) .

---

(١٦) أدب مصر الفاطمية : محمد كامل حسين ، ص.٢٩ .

ثانيا — الصفات :

تنفى الباطنية عن الله سبحانه وتعالى جميع الصفات بدعوى ان كمال التنزيه يقتضى نفى الصفات وحجتهم فى هذا ما يأتى :

أولا — منع الاشتراك :

ثانيا — كل اسم من الاسماء التى تطلق عليه تعالى يقابله آخر مقابله تضاد مثل الموجود يقابله المعدوم والعالم يقابله الجاهل والقادر يقابله العاجز فيحقق له ضد من ذلك الوجه فاحترزوا عن اطلاق لفظ وجودى أو عدمى لكيلا يقعوا فى التمثيل والتعطيل ؟ (١٧) والله سبحانه وتعالى عندهم لا يمكن أن ينسب اليه لا اسم ولا وصف ولا نعت ولا وجود ولا عدم وجرد (١٨) فان العدم نفى والوجود سببه فلا هو موجود ولا وهو معدوم ولا هو معلوم ولا وهو مجهول ولا وهو مؤصوف ولا غير موصوف (١٩) ولا عالم ولا جاهل ولا قادر ولا عاجز وكذلك جميع الصفات فان الاثبات الحقيقى يقتضى شركة بينه وبين سائر الموجودات فى الجهة التى أطلقنا عليه وذلك تشبيهه فلم يكن الحكم بالاثبات المطلق والنفى المطلق بل هو اله المتقابلين وخالق المتخاصمين والحاكم بين المتضادين (٢٠) وكل نفى لا يكون صحيحا الا اذا نفى هو الآخر فالحقيقة فى وقوع هذين النفيين فى آن واحد وهذان لا يكتملان الا بعمليتى التنزيه وهو ان يبعد عن الله الأسماء والأعمال التى تنسب الى الحدود الجسمانية (٢١) فالاسماء وضعت لموجوداته ... وان حروف اللغة لا يمكن أن تؤدى الى لفظ اسمه أو أن يطلق عليه شىء منها لأنها جميعا من مخترعاته (٢٢) .

---

(١٧) نهاية الاقدام : الشهرستانى ، ص ١٣٩ .
(١٨) تاريخ الفلسفة : كوربان ، ص ١٤٠ .
(١٩) فضائح الباطنية : الغزالى ، ص ٣٩ .
(٢٠) الملل والنحل : الشهرستانى ، ص ١٤٧ .
(٢١) تاريخ الفلسفة : كوربان ، ص ١٤١ .
(٢٢) انظر تأويل الدعائم : النعمان ، ص ١٨ .

ونحن فضلا عن رفضنا لهذا لانقر لهم به بل وننكره كل الأمكار لأن تجريد الذات عن الصفات جحود والحاد فى حق الله سبحانه وتعالى وانكار لما جاءت به النصوص الصريحة فى القرآن الكريم والسنة المطهرة وعندنا ان كمال التنزيه لله جل وعلا ان نصفه بما وصف به نفسه من غير تشبيه أو تمثيل ايمانا منا بأن صفاته تعالى لا تماثل بحال من الأحوال صفات مخلوقاته ولهذا يقول الشهرستانى . نحن نعلم بأن الاسماء المشتركة هى التى تختلف حقائقها من حيث المعانى فان أسماء البارى تبارك وتعالى انما تتلقى من السمع وقد ورد السمع أنه سبحانه عليم قدير حى قيوم سميع بصير لطيف خبير وأمرنا ان ندعوه عز وجل بأحسن الاسمين المتقابلين كما قال تعالى « ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون » (٢٣) .

ولم يحترزوا هذا الاحتراز البارد ولا تكلفوا هذا التكليف الشارد . ولا شك أن من أثبت صانعا لم يكن له بد من عبارة وذكر اسم له ثم الاشتراك فى الأسماء ليس يوجب اشتراكا فى المعانى (٢٤) .

ويقول صاحب العقائد النسفية . ان أوصافه من العلم والقدرة وغير ذلك أجل وأعلى مما فى مخلوقاته بحيث لا مناسبة بينهما ...

فان العلم منا موجود وعرض ومحدث وجائز الوجود ومتجدد فى كل زمان فلو أثبتنا العلم صفة لكان موجودا وصفة وقديما وواجب الوجود وصفة وقديما وواجب الوجود دائما من الأزل والى الأبد فلا يماثل علم الخلق بوجه من الوجوه ...

فالماثلة عندنا انما تثبت بالاشتراك فى جميع الأوصاف حتى لو اختلفنا فى وصف واحد انتفت الماثلة (٢٥) فان القدرة فى الشاهد لا يتصور فيها الايجاد بخلافها فى الغائب والارادة لا تخصص بخلاف

---

(٢٣) سورة الأعراف : الآية ١٨٠ .
(٢٤) نهاية الاقدام : الشهرستانى ، ص ١٢٨ ، ١٢٩ .
(٢٥) العقائد النسفية : النسفى ، ص ٦٧ ، ٦٨ .

ارادة الغائب وكذا الحال فى باقى الصفات فاذا وجد فى احدهمالم يوجد فى الآخر فلا يصح القياس أصلا (٢٦) .

فان الله سبحانه وتعالى يجب أن يتصف بكل كمال وينزه عن كل نقص بل انكار هذه الصفات انكار للصانع وجحود له (٢٧) لأن صفات الله التى تعددت فى عقيدة الاسلام لا تعدو أن تكون نفيا للنقائض التى لا تجوز فى حق الاله وليس تعدد النقائص مما يفضى بتعدد الكمال المطلق الذى ينفرد ولا يتعدد فان الكمال المطلق واحد والنقائص كثيرة ينفيها جميعا الكمـــال الواحد وما ايمان المسلم بأن الله عليم قدير فعال لما يريد كريم رحيم الا ايمانا بأنه جل وعلا قد تنزه عن نقائص الجهل والعجز والجحد والغشم فهو كامل منزه عن جميع النقائص (٢٨) .

ولو لم تكن أسماؤه تعالى مشتملة على معان وصفات لم يسع أن يخبر عنه بأفعالها فلا يقال يسمع ويرى ويعلم ويقدر ويريد فان ثبوت احكام الصفات فرع ثبوتها فاذا انتفى أصل الصفة استحال ثبوتها (٢٩) ولو لم تثبت له جميع الصفات ونفيناها عنه لوجد له مثيل ونظير وهو العدم المحض وكان العدم المحض أولى بهذا المدح منه (٣٠) .
ويعتبر ابن تيمية .

هذا كله الحاد فى أسماء الله وآياته تعالى « ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه » (٣١) واذا كان الالحاد انكار اسمه « الرحمن » كما قال تعالى « واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن » (٣٢) وقال تعالى « قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما

---

(٢٦) المواقف وشرحه : الايجى ، ص ٤٥ جـ ٨ .
(٢٧) مدارج السالكين : ص ١٥ جـ ١ .
(٢٨) حقائق الاسلام : العقاد ، ص ٣٨ .
(٢٩) مدارج السالكين : ص ١٦ جـ ١ .
(٣٠) حادى الأرواح الى بلاد الافراح : ابن القيم ، ص ٢٠٩ .
(٣١) سورة الأعراف : آية ١٨٠ .
(٣٢) سورة الفرقان : آية ٦٠ .

تدعوا فله الأسماء الحسنى » (٣٣) وقال تعالى « وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربى لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب » (٣٤) .

فاذا كان اسمه « الرحمن » قد أنزل فيه ما أنزل فكيف انكار سائر الأسماء ومعلوم انّ اللفظ اذا كان علما محصنا لم ينكره أحد ولو كانت اعلاما لم يفرق بين الرحمن والعليم والقدير (٣٥) .

ويلزمهم الشهرستانى الحجة ويبادلهم انكارا بانكار فيقول :

كما أنكرتم اثبات صفات أزلية أنكرنا عليكم اثبات موصوف بلا صفة انكارا بانكار واستبعادا باستبعاد (٣٦) .

والعصمة النافعة فى هذا الباب أن يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تفصيل ومن غير تكييف ولا تمثيل بل يثبت له الأسماء والصفات وينفى عنه مشابهته للمخلوقات (٣٧) .

---

(٣٣) سورة الاسراء : آية ١١٠ .
(٣٤) سورة الرعد : آية ٣٠ .
(٣٥) جامع الرسائل لابن تيمية المجموعة الأولى : ابن تيمية ص١٧١ ، ١٧٢ .
(٣٦) نهاية الاقدام : الشهرستانى ، ص ٢٠٠ .
(٣٧) مدارج السالكين ، ص ١١٦ ج ١ .

الفصل الثاني

منزلة النبى والامام والفرق بينهما عند الباطنية

النبى هو شخص فاضت عليه من السابق بواسطة التالى قوة قدسية صافية مهيأة لا تتنتقش عند الاتصال بالنفس بما فيها من الجزئيات كما قد يتفق ذلك لبعض النفوس الزكية فى المنام حتى تشاهد من مجارى الأحوال فى المستقبل اما صريحا بعينه أو مندرجا تحت مثال يناسبه مناسبة ما تفتقر فيه الى التعبير الا أن النبى هو المستعد لذلك فى اليقظة فلذلك يدرك النبى الكليات العقلية عند شروق ذلك النور وصفاء القوة النبوية كما ينطبع مثال المحسوسات فى القوة الباصرة من العين عند شروق الشمس على سطوح الاجرام السفلية وزعموا أن جبريل عبارة عن العقل الفائض عليه وأما القرآن فهو عندهم تعبير محمد ﷺ عن المعارف التى فاضت عليه من العقل الذى هو المراد باسم جبريل ويسمى كلام الله مجازا فانه مركب من جهته وانما الفائض عليه بواسطة جبريل بسيط لا تركيب فيه وهو باطن لا ظهور له وكلام النبى وعبارته ظاهر لا بطون له وزعموا أن هذه القوة القدسية الفائضة على النبى لا تكتمل فى أول حلولها كما لا تستكمل النطفة الحالة فى الرحم الا بعد تسعة أشهر فكذلك هذه القوة كما لها فى أن تنتقل من الرسول الناطق الى الأساس الصامت وهكذا تنتقل الى أشخاص بعضهم عن بعض فيكمل السابع (١) الذى يعتبر القائم منهم وكل قائم من هؤلاء القائمين يفيض عليه ما فاض على من سبقه فهو المظهر الأكمل لكل رسالة سبقته نبوة أو علم وكل ناطق يحمل ما حمله من

---

(١) الباطنية : ص ٤٣ .

قبله من الناطقين ومن القائمين حتى يصل الى أكمل الصور الكونية وانتهت دائرة الناطقين الأولين بمحمد بن اسماعيل وانتهى دور هؤلاء السبعة ليبدأ دور السبعة المستورين وهكذا دواليك فكل نبى لشريعته مدة فاذا انصرمت مدته بعث الله نبيا آخر ينسخ شريعته ومدة شريعة كل نبى سبعة أعمار وهو سبعة قرون فأولهم هو النبى الناطق ومعنى الناطق أن شريعته ناسخة لما قبله ومعنى الصامت أن يكون قائما على ما أسسه غيره ثم انه يقوم بعد وفاته ستة أئمة امام بعد امام فاذا انقضت أعمارهم بعث الله نبيا آخر ينسخ الشريعة المتقدمة .

فكان أول ناطق آدم عليه السلام .

وكان أساسه شيث عليه السلام .

وانتقل الى دار كرامة الله تعالى وجرت الامامة متسلسلة من امام الى امام الى وفاء دوره وقام بعده الناطق الثانى وهو نوح عليه السلام وقيامة عن أمر امام زمانه وهو هود عليه السلام وضده عوج بن عنق ففتق قوانينا وشرع شرعا غير ذلك الأول .

ثم أقام وصية ساما عليه السلام خلفا له فى أمته ثم نص عليه وانتقل الى دار كرامة الله وجرت الامامة متسلسلة الى تمام دورها وقام ابراهيم عليه السلام عن أمر امام زمانه الذى هو صالح عليه السلام فكان ضده النمرود بن كنعان ففتق القوانين .

وأقام وصيه اسماعيل وانتقل الى دار كرامة الله تعالى وجرت الامامة متسلسلة فى عقبة الى وفاء دوره وقام موسى عليه السلام عن أمر امام زمانه وكان ابليسه فرعون ففعل كما فعل من كان قبله الى وفاء دوره وقام محمد ﷺ عن أمر امام زمانه الذى هو أبو طالب عليه السلام وانتقل الى دار كرامة الله تعالى .

وقام أمير المؤمنين الى وفاء دوره ونص على ولده الحسن مستودعا ثم على ولده الحسين مستقرا وجرت الامامة متسلسلة كذلك الى دور الاتماء

بمحمد ابن اسماعيل ثم قام دور أئمة الخلفاء وهو عبد الله بن محمد وانطرد كذلك الى وفاء دورهم الى المعز لدين الله الى وفاء دورهم الى الطيب أبو القاسم أول دور الابدال وهو الطيب ويطرد الأمر كذلك الى وفاء دورهم بسابعهم وقا ثم حجة القيامة (٢) .

ومعنى القائم انه يبعث برسالة وبشريعة جديدة ينسخ بها شريعة محمد ﷺ وأن محمد بن اسماعيل من أولى العزم وأولو العزم عنــدهم ســبعة .

نوح وابراهيم وموسى ومحمد ﷺ وعلى ومحمد بن اسماعيل (٣) وزعموا أن محمد بن اسماعيل أفضل على سائر من تقدمه من المرسلين (٤) وأنه عند بعضهم مازال حى فى بلاد الروم لم يمت ولا يموت حتى يملك الأرض وانه هو المهدى الذى تقدمت البشارة اليه واحتجوا فى ذلك بأخبار رووها عن أسلافهم يخبرون فيها أن سابع الأئمة قائمهم (٥) وهو محمد أبن أسماعيل .

وهذه المزاعم تقودنا الى البحث عن الفرق بين النبى والامام عندهم ؟ النبى فى عرفهم هو الناطق ؟ والامام هو الصامت ؟

النبى صاحب التنزيل والامام صاحب التأويل .

يقول الدكتور محمد كامل حسين . ان الباطنية قد جعلوا محمدا هو صاحب تنزيل القرآن وجعلوا عليا صاحب تأويل القرآن الكريم أنزله الله على محمد ﷺ بلفظه ومعناه الظاهر للناس اما أسرار الدين وأسرار التأويل الباطن فقد أنزلت على محمد ولكنه خص بها عليا وأبناءه من بعده دون غيرهم من البشر وان عليا وأبناءه من الأئمة هم الذين يدلون الناس على هذه الأسرار (٦) .

---

(٢) تأويل الدعائم : النعمان .
(٣) فرق الشيعة : النوبختى ، ص ٩٤ ، ٩٥ .
(٤) تأويل الدعائم : النعمان ، ص ٥٢ .
(٥) مقالات الاسلاميين : الاشعرى .
(٦) أدب مصر الفاطمى : محمد كامل حسين ، ص ٢٥ .

والأنبياء الناطقين (عموماعندهم) يدعون للامام ولهذا كان الامام أفضل من النبي وكان محمد بن اسماعيل أفضل من المرسلين جميعا ؟

وعلى هذا يكون النبى كما يقول كوربان مبلغا للشريعة (باعتباره ناطق) فهو لهذا يشغل مهمة الداعى الذى يدعو نحو الامام الذى يمثل المعنى المستور لهذه الشريعة (٧) .

والامام لهذا وتطبيقا لنظرية المثل والممثول يمثل فى عالمنا العقل الأول فى العالم العلوى ولهذا يطلقون عليه كما يقول الدكتور محمد كامل حسين وجه الله ويد الله وجنب الله (٨) وأنه هو الذى سيحاسب الناس يوم القيامة فيقسم بين الجنة والنار (٩) .

ولهذا يقول بعض أئمتهم فى الفرق بين النبى والامام .

يمر الأنبياء ويتغيرون اما نحن فانا الباقون (١٠) ومن مات ولم يعرف امام زمانه مات ميته جاهلية (١١) وكما فرقوا بين الامام والنبى من حيث الدعوة والفضل فرقوا بينهما من حيث التكوين الجسدى فجسد الامام عندهم كما يقولون ليس جسدا مكونا كبقية أجساد الناس الاخرى من اللحم وانما هو ينتج من مغناطيس كونى يمارس عمله على أجساد المستجيبين ثم تتصاعد بقاياه الاثيرية الى السماء ثم تنزل مطهره مع اشعاعات قمرية لا يرها الادراك النظرى ثم تلتصق على وجه الماء أو على بعض الثمار حتى اذا أكل منها او شرب امام الفترة هو وزوجته يتحول الندى السماوى الى برعم لطيف هو جسد الامام الجديد (١٢) .

ويا ليت الباطنية وقفت أو توقفت فى حماقاتها عند هذا الحد بل بالغت وكفرت واعتبرت رسول الله ﷺ قد خرج من الرسالة فى حياته وسلم الأمر لعلى بن أبى طالب يوم غدير خم وليس معنى اكتمال الدين

---

(٧) تاريخ الفلسفة : كوربان ، ص ١٦٦ .
(٨) أدب مصر : ص ٢٨ .
(٩) طائفة الاسماعيلية : محمد كامل حسين ، ص ١٥٦ .
(١٠) تاريخ الفلسفة : كوربان ، ص ١٦٢ .
(١١) الكافى : الكلينى ، ص ؟؟؟ ؟
(١٢) تاريخ الفلسفة : كوربان ، ص ١٥٣ .

الذى أشار اليه القرآن الكريم بقوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم) (١٣) هوما ذهبت الـ يه أهل السنة من كمال الشرع وتمام العقيدة . ولكن اكتمال الدين الذى بعثه الله لاقامته (كما يتصوره الباطنية) . يعنى اكتماله باقامة وصية (على ابن أبى طالب) فلما فعل ذلك ﷺ مال الى النقلة عن دار الدنيا الى معاده فكان بين ذلك وبين وفاته سبعون ليله .

وانقطعت عنه الرسالة فى حياته فى اليوم الذى أمر فيه بنصب على بن أبى طالب للناس بغدير خم فصارت الرسالة فى ذلك اليوم فى على بن أبى طالب واعتلوا فى ذلك بقول رسول الله ﷺ « من كنت مولاه فعلى مولاه » (١٤) .

وأولوا هذا القول على أنه خروج من الرسالة والنبوة وتسليم منه فى ذلك لعلى بن أبى طالب بأمر الله عز وجل أن النبى ﷺ بعد ذلك أصبح مأموما لعلى محجوجا له .

وعليه فلا يصح عندهم اقرار بنبوة محمد ﷺ الا لمن أقر بأن عليا وصيه من بعده بل ولا يؤتى النبى الا من قبل وصيه كما قال ﷺ « أنا مدينة العلم وعلى بابها فمن اراد العلم فليأت الباب » (١٥) .

كما زعموا أن على بن أبى طالب امام رسول ومحمد بن اسماعيل ابن جعفر أيضا هو الامام القائم المهدى وهو رسول .

وقالوا أنه ينسخ شريعة محمد ﷺ واعتلوا فى نسخ شريعة محمد ﷺ وتبديلها بأخبار رووها عن جعفر الصادق — منها . لو قام قائمنا علتم القرآن جديدا . وأنه قال أيضا بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا فطوبى للغرباء (١٧) .

بهذا التصور الساذج حلق الباطنية بأمتهم فى أجواء ليست هى بأجواء البشر .

---

(١٣) سورة المائدة : آية ٣.
(١٤) تأويل الدعائم : النعمان ، ص ٣٨ .
(١٥) سبق الكلام عنه .
(١٦) تأويل الدعائم : النعمان ، ص ٣٦ .
(١٧) فرق الشيعة : النوبختى ، ص ٩٤ .

ولذا يقول الدكتور محمد كامل حسين رغم دفاعه الشديد عنهم فى كل موقف . ان الاسماعيلية جعلوا للائمة صفات لم تعرفها فرق الشيعة الأخرى وهى صفات باطنية بحيث أصبح الأئمة عندهم فى مرتبة لا تمت الى البشر بصلة (١٨) .

وهو ما يتناقض تمام التناقض مع الاسـلام ومع صريح النصوص الاسـلامية .

فالاسلام لم يشر من قريب أو من بعيد لا بالتصريح ولا بالاشـارة الى نسخ شريعة محمد ﷺ بل والذى قرره ونحن نؤمن به .

أن شريعته ناسخة لجميع الشرائع وهو خاتم الأنبياء والمرسلين . ومن لم يعتقد هذا فهو جاحد للنص خارج عن الاسلام قال تعالى : « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين (٢٠) .

وفضلا عن عدم وجود نص لدى الباطنية على مدعاهم فان معتقداتهم هذه تقود الى الكفر الصريح لما يأتى :

١ ــ ينسخون شريعة محمد ﷺ بغية التشكيك فيها وصرف الناس عنها بدعوا أن محمد بن اسماعيل هو خاتم الأنبياء وأنه جاء بشريعة نسخ بها شريعة محمد ﷺ .

٢ ــ دعواهم أن عليا بن أبى طالب رسول وهذا لم يقل به أحـد ولم يرد به نص بل ويتعارض مع النص الصريح فى ختم الرسالة بمحمد ﷺ .

٣ ــ دعواهم أنه لا يصح اقرار بنبوة محمد ﷺ الا بعد الاقرار بامامة على بن أبى طالب .

بهدف تشكيك الناس فى معتقداتهم وجعل الامامة أفضل من النبوة بل وتشكيك الناس فى صريح النصوص وصرف العقول عنها . فضلا عن التخبط فى التأويلات الشنيعة .

---

(١٨) فرق الشيعة : النوبختى ، ص ٩٥ .
(١٩) طائفة الاسماعيلية : محمد كامل حسين ، ص ١٥٦ .
(٢٠) سورة الأحزاب : آية ٤٠ .

الفصل الثالث

القيامة والميعاد عند الباطنية

ترتكز عقيدة الباطنية وفلسفتها فى تأويل معنى القيامة والميعاد على انكار ما صرحت به نصوص الشرع الحكيم واكده الحق جل وعلا بقوله تعالى : وأن الساعة آتية لا ريب فيها » (١) .

وأن القيامة حق وصدق ولا ينكرها الا مكابر وكافر وأنه بقيام القيامة تنتهى هذه الحياة ويبعث الله ـ س من قبورهم لتبدأ حياة جديدة .

وأمام وضوح قول الحق وصراحة النص تتسربل الباطنية بسربال الكفر المقنع هروبا من تهمة الكفر الصريح بتأويل النصوص الصريحة فى هذا المعنى وتحويلها الى رموز واشارات لا تمت الى النص بأى صلة .

بدعوى أن الدنيا لا تنتهى وانها تمر بأدوار وكلما انتهى دور تلاه دور آخر الى ما لا نهاية . وفلسفتهم فى تعاقب الادوار وتكورها ترتكز كما يقولون على السقطة التى نزل بها العقل الثالث (الذى هو آدم) من مرتبته الى مرتبة العقل العاشر وذلك حينما رفض مرتبة الثانى وأراد أن يتخطاه فضل وسقط فهو فى حركة دائبة للرجوع الى مرتبته وهى حركة لا تتوقف فى تصاعدها حتى يعود الملاك الثالث الذى جمده ضلالة وأنزله الى مرتبة العاشر .

ولما كان دور الأئمة فى الحياة عندهم هو انعكاس وامتداد لهذا الدور فكذلك الأئمة يدورون فى أدوار وأكوار وكلما انتهى دور من هذه الأدوار

---

(١) سورة الحج : آية ٧ .

بسابع الائمة يبدأ دور جديد حتى يأتى السابع فيبدأ دور جديد آخر فهى فى تعاقب مستمر .

يقول كوربان : وكذلك الأمر مع الأئمة الذين خلفوا آدم فى هذا الدور الكشفى الاول وقد تلى هذا الدور من الكشف دور الستر وتلى دور الستر دور الكشف وهكذا وتظل هذه الادوار فى التعاقب (٢) .

وبمطابقة هذا النص بما يقوله النعمان يتضح معنى دور الكشف عندهم وهو فى نظرهم هو عمر الدنيا الذى ننظر اليه نحن على أنه نهاية الحياة وهم ينظرون اليه على انه نهاية دور وبداية دور جديد فى الحياة الدنيا أيضا يقول النعمان :

فعند وفاء مدة الدنيا التى هى دور الكشف يقوم قائمهم (الذى هو الامام السابع) استخراجا من دعوة أبيه (ويقيم الموازين ويحاسب الناس ثم اذا وافاه أجله انتقل الى العالم العوى ولو أنهم توقفوا بعد هذا أو ادعو أن الحياة تنتهى لتبدأ حياة جديدة من غير تحديد لمكانها لما انكشف أمرهم ولكنهم يجزمون بأن الحياة الجديدة أو الدور الجديد يبدأ فى الدنيا وعلى هذه الأرض وبقيادة ابن الامام لأن الامام حينما ينتقل يترك من يقوم مقامه (٣) أى يترك الامام من ينصبه للامامة بعد أن يصعد الى العالم العلوى وهذا القول واضح الدلالة أنهم يجعلون الأدوار تدور وتتكور الى ما لا نهاية وحينما تتكور هذه الأكوار والأدوار وفى كل دور يختتم الدور سابع الائمة قائم القيامة وكل امام سبقه (من أئمة الدور يرتفع الى العالم العلوى) ينتظره فى مقام الملاك العاشر كما يقول كوربان وعندما يترك امام من الأئمة هذا العالم يرتفع هيكله معه الى أحشاء الملاك العاشر ثم ينتظرون هناك جميعا القائم أو امام القيامة الذى يختتم الدور ليرتفعوا معه عند مجيئه لخلافة الملاك العاشر (٤) ثم يبدأ الدور الآخر بالامام الجديد الذى يتركه الامام الذى ارتفع .

---

(٢) انظر تاريخ الفلسفة : كوربان ، ص ١٥٤ .
(٣) تأويل الدعائم : النعمان ، ص ٢٩ .
(٤) تاريخ الفلسفة : كوربان ، ص ١٥٤ .

وتماديا فى ضلالهم يؤلون النصوص ويستدلون على هذا بقوله تعالى « قل ان الأولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم » (٥) فهو الميقات المجتمع اليــه الأولون والآخــرون وهــو المجمع لهم وهــو اليوم المعلوم وهــو دوره أعنى دور الكشــف الذى هو خمســون ألف سنة وعندها قيام هذا القائم الذى يقع الحساب بين يديه واليه الثواب والعقاب ثم يستخرج من دعوته من يخلفه ويقوم مقامه وهو ولده من بعده فيقع فى الدعوة ضعف لأن دوره دور الكشف قد انتهى الى أمده وبلغ الكتاب أجله وبنهايته وحده يكون الأئمة فى غاية التقية والستر (٦) لأن الدور الجديد الذى يبدأ بعد هذا هو دور الستر

وكما يبد الامام الجديد فى قيادة الدعوة وفتح دور جديد يصعد الامام السابق ويلتقى بأئمة الدور الذى انتهى وينتقل بهم فى العالم العلوى من عقل الى عقل كما يقول النعمان حتى يصل الى العقل الثانى ورتبته جنة المأوى وأما رتبة العقل الأول فهى سدرة المنتهى (٧) .

ويبرز هذه الحقيقة كوربان أيضا حينما يقول . ولدى كل قيامة كبرى من اللاتى يختتمن دور ستر أو دور كشف يأخذ الامام الأخير هيكله ويرتفع الى عالم الابداع حيث يخلف الملاك العاشر آدم الروحانى أما الملاك العاشر فيصعد مرتبة فى عالم الابداع الذى يجتذبه اليه ...... وهكذا فان كل قيامه كبرى وكل ختام دور يسمح لملاك الانسانية أن يقترب بنفسه ويرهطه من مرتبته رمرتبتهم الأصلية (٨) .

وحتى نحسم القول ونكشف فى صراحة ووضوح عن حقيقة انكارهم للقيامة والميعاد نضع أمام القارىء هذه الحقائق التى يتفق عليها الباطنية لنصل الى النتيجة .

---

(٥) سورة الواقعة : آية ٤٩ ، ٥٠ .
(٦) تأويل الدعائم : النعمان ، ص ٤٣ بتصرف .
(٧) تأويل الدعائم : النعمان ،
(٨) تاريخ الفلسفة : كوربان ، ص ١٥٥ .

اولا : يعتقد الباطنية أن الحيـــاة لا تنتهى وان الأدوار تتعاقب الى ما لا نهاية وانه بتمام كل دور تقوم القيامة (يعنى قائم القيامة هو الامام السابع) وعلى هذا فقد انتهت الأدوار بالفعل وصعد أئمتهم بتمامهم الى العالم العلوى ثم الى الجنة وعليه فان القيامة قد قامت أكثر من مرة فى شـــكل قائم القيامة . ويؤكد هذا : ان الحسن الصباح فى ١٧ رمضان عام ٥٥٩هـ الموافق ٨ آب ١١٦٤م أعلن قيام القيامة أمام المستجيبين المجتمعين فى قلعة الموت .. (ويعلن هذا الاعلان) عن مجيىء اسلام روحى خالص متحرر من كل ذهن تشريعى ومن كل عبودية للقانون فهو دين شخصى للقيامة التى هى ولادة روحية (٩) .

ثانيا : يعتقد الباطنية أن محمد بن اسماعيل سابع النطقاء وقائم دور الأئمة فالأئمة عندهم بعد الوصى على بن أبى طالب سـبعة يبدؤون بالحسن وينتهون الى محمد بن اسماعيل ويسمى هذا الدور دور الأتماء ثم يليهم دور الخلفاء ويبدأ هذا الدور بعبد الله بن محمد بن اسماعيل وينتهى بالمعز لدين الله وبعد هؤلاء يبدأ دور الاشهاد من العزيز بالله حتى أبى القاسم الطيب بن الآمر بالله وهم أئمة دور الابدال (١٠) .

ثالثا : الامام السابع قائم القيامة حينما يظهر يقتل اعدائه كما يقول النعمان وتجتمع الارض على طاعته . ثم يدخل أتباعه الجنة وهى الدعوة اذ ليس هناك جنة حقيقية سوى الدعوة ولهذا يسقط فيها التكاليف الشرعية ويرفع الامام عن أتباعه نصب الاعمال كما يقول النعمان : اذ لا ينفع حينئذ من العمل الا ما تقدم (١١) .

ويؤكد هذا ما صرح به عبيد الله المهدى جد المعز لدين الله فى رسالته لابى طاهر الجنابى والذى يحثه فيها على الاباحة واسقاط الفرائض فيقول :

---

(٩) تاريخ الفلسفة : كوربان ، ص ١٥٨ .
(١٠) انظر تأويل الدعائم : النعمان ، ص ٤٤ .
(١١) انظر تأويل الدعائم : النعمان ، ص ٥٣ .

وهل الجنة الا هذه الدنيا ونعيمها ؟ وهل النار وعذابها الا ما فيه أصحاب الشرائع من التعب والنصب والصلاة والصيام والجهاد والحج (١٢) .

فالجنة هى الدعوى وليس معنى خروج آدم من الجنة كما يقول كوربان الى سقطه واما من الآن فصاعدا فليس ثمة جنة سوى (الجنة بالقوة) أى الدعوة الاسماعيلية (الباطنية) (١٣) فالدخول فى الجنة هو فى الواقع دخـول الدعـوة وقـد حـول الحسـن الصـباح هـذه النظرية الى واقع ملموس فأقام لاتباعه فى قلعة الموت جنة وكان اذا أراد أن يدخل أحدهم خدرة يشرب الحشيش ثم يأمر غلمانه أن ينقلوه الى داخل الجنة وقد عمرت بمجالس الطرب والرقص والمغنيات . ثم يخرج هـذا المخمور وهو فى غمرة سكره حتى اذا فاق تعلق بالصباح ورجاه أن يعيده للجنة (١٥) وكما أقام الصباح لاتباعه الجنة وأعلن قيام القيامة قام بمحاربة أعدائه وقتلهم وربط هذا بما كانوا يشنونه من حروب على المسلمين وتخريب بيوت الله وردم بئر زمزم وخلع الحجر الأسود وتعطيل الحج وقتل وفود المسلمين الى بيت الله الحرام يكشف كل هذا عن حقيقة عقيدتهم الفاسدة وهى أن القيامة تقوم بظهور السابع من أئمتهم وليس معنى قيام القيامة كما أسلفنا سوى ظهور هذا الامام وقتل أعدائه ودخول أتباعه الدعوة وترك العمل بالفرائض واسقاط التكاليف الشرعية .

يقول النعمان (بقيام القائم يكشف الباطن كله ويرتفع الظاهر والعمل به (١٦) .

رابعا : الباطنية لا يعترفون بالبعث والميعـاد لأنهم يعتقدون أن الأدوار لا تنتهى كما يعتقدون أن أئمتهم بعد موتهم يصعدون الى العالم العلوى ويدخلون الجنة وهذا يؤكد ما ذهب اليه الغزالى من أنهم ينكرون

---

(١٢) الفرق بين الفرق : البغدادى ، ص ٢٩٨ .
(١٣) تاريخ الفلسفة : كوربان ، ص ١٥٠ .
(١٤) المرجع السابق : ص ١٥٧ .
(١٥) انظر المرجع السابق : ص ١٥٨ .
(١٦) تأويل الدعائم : النعمان ، ص ٥٥ .

الميعاد كما ورد عن الأنبياء ولم يثبتوا الحشر ولا النشر ولكن قالوا معنى الميعاد عود كل شيء الى أصله (١٧) .

وفلسفتهم في هذا كما أسلفنا هي محاولة عودة العقل الثالث الذى أصبح عاشرا الى أصله ومعه كل مخلفاته من أبنائه من الأئمة الذين يختتمون أدوارهم في الحياة ويصعدون الى الجنة في الملأ الأعلى يقول النعمان .

عند مفارقهم وانتقالهم من هذه الدنيا يصيرون عقولا قدسانية مجردة قد جرى ما جرى فيها في العقول المجردة . فلا يكون بينهم وبين (العقل الثالث) الا مرتبة السبق لا غير (١٨) .

وبالكشف عن هذه الحقائق يتأكد فيما لا يدع مجالا للشك انكارهم للقيامة والميعاد ولذا نجد الرازى يقرر هذا ويقول . انهم لا يعترفون بالقيامة (١٩) .

ويقول الغزالى : انهم اتفقوا عن آخرهم على انكار القيامة وان هذا النظام المشاهد في الدنيا من تعاقب الليل والنهار وحصول الانسان من نطفة والنطفة من انسان وتولد النبات وتولد الحيوانات لا ينعدم أبدا وأن السموات والأرض لا يتصور انعدام أجسامها .

وأولوا القيامة وقالوا انها رمز الى خروج الامام وقيام قائم الزمان وهو السابع الناسخ للشرع المغير للأمر (٢٠) .

وبمطابقة هذه الحقائق التى تدين بها الباطنية بفلسفتهم التى أسلفنا القول عنها وهى فلسفة تعاقب الأدوار والأكوار الى ما لا نهاية .

يتضح أنهم ينكرون القيامة والميعاد بل ويسبغون على الامام دور الهيمنه على الحياة ورسم سياستها واباحة المحرمات واسقاط التكاليف وقتل المخالفين .

---

(١٧) فضائح الباطنية : الغزالى ، ص ٤٥ .
(١٨) تأويل الدعائم : النعمان .
(١٩) اعتقادات فرق المسلمين : الرازى ، ص ٧٦ .
(٢٠) فضائح الباطنية : الغزالى ، ص ٤٤ .

والذى اعتقده وأدين لله عليـــه أن الباطنية فـــوق كفرهم الصريح ومجافاتهم لروح الاسلام قد خالفوا الاسلام مخالفة صريحة أهم مظاهرها ما يأتى :

١ — أن الذى يتكفل بالحساب هو الله سبحانه وتعالى وليس الامام كما يزعمون كما أنه لا يفتح أدوار أخرى للحياة على الأرض بعد الحساب والا لما كان للحساب معنى .

٢ — ليست الدعوة هى الجنة كما يتصورون والعذاب هو العبادات والفرائض . ولكن الله ســـبحانه وتعالى وعدنا بأن هناك جنة حقا ونار حقا وثواب وعقاب ووعد الله حق لا يتخلف ومنكره كافر وأما قول الباطنية فهو زريعة للاباحة الملذات لأنفسهم .

٣ — ينكرون البعث وينكرون الحياة الآخرة ويؤلونها الى رموز .

٤ — لو صح ما يقولون بأن الامام هو الذى يحاسب الناس لما كان للحساب معنى ولا للقيامة مغزى لأنه شىء يتداوله الناس ويمر بهم على رأس كل سبعة أئمة ولو صح زعمهم فقد قامت القيامة اكثر من مره ولم يتمكن الامام من قتل كل أعدائه المخالفين له كما لم يمكنه السيطرة على الحياة وهذا يدل على عجز الامام وقوة المخالفين وغلبتهم عليه وهذا لا يجوز اذ كيف يعلن الامام التهديد ويقيم الموازين ولا يملك التنفيذ وهل بعد هذا سخف وتلاعب بالعقول .

٥ — ينكرون ما أجمعت عليه جميع الشرائع من قيام القيامة والبعث واليوم الآخر وهذه الأمور لا ينكرها الا جاحد ولا يتشكك فيها الا كافر موغل فى الكفر .

موقف الباطنية من التكاليف الشرعية

تسقط الباطنية جميع التكاليف الشرعية وتحولها الى رموز واشارات بدعوى أن جميع الأشياء التى فرضها الله تعالى على عباده وسنها نبيه ﷺ وأمر بها لها ظاهر وباطن . وأن جميع ما استبعد الله به عباده فى

الظاهر من الكتاب والسنة أمثال مضروبة تحتها معان هى بطونها وعليها العمل وفيها النجاه وان ما ظهر منها ففى استعماله الهلاك والشقاء وهى جزء من العقاب الأدنى عذب الله به قوما اذا لم يعرفوا الحق ولم يقولوا به (٢١) يقول عبيد الله المهدى وهل الجنة الا هذه الدنيا ونعيمها ؟ وهل النار وعذابها الا ما فيه أصحاب الشرائع من التعب والنصب والصلاة والصيام والجهاد والحج ؟ (٢٢) .

ولابد من الانقياد للشرع فى تكاليفه على التفصيل الذى يفصله الامام من غير متابعة الشافعى وابى حنيفة وغيرهما — وان ذلك واجب على الخلق والمستجيبين الى أن ينالوا مرتبة الكمال فى العلوم فاذا أحاطوا من جهة الامام بحقائق الأمور وأطلعوا على بواطن هذه الظواهر انحلت عنهم هذه القيود وانحطت عنهم التكاليف العملية فان المقصود من أعمال الجوارح منبيه القلب لينهض لطلب العلم فاذا ناله استعد للسعادة القصوى فيسقط عنه تكليف الجوارح وانما تكليف الجوارح فى حق من يجرى بجهله مجرى الحمر التى لا يمكن رياضتها الا بأعمال شاقة (٢٣) .

ولهذا فقد اتضح أن الفاطميين جاءوا بعقيدة تختلف عن عقيدة أهل السنة كما يقول الدكتور محمد كامل حسين أنهم جاءوا بعقيدة تختلف عما كان عليه أكثر المسلمين فقد كان السواد الاعظم من مسلمى مصر منقسمين بين مذهب مالك وبين مذهب الشافعى وقليل منهم كان على مذهب أبى حنيفة ومهما كانت الفروق بين هذه المذاهب فكلها من مذاهب أهل السنة والجماعة التى تخالف عقائد الفرق الشيعية وتباينها (٢٤) وفلسفتهم فى هذا تعتمد على تحريف النصوص وتحميلها ما لا تحتمل ومن هذه النصوص التى ترتكز عليها فلسفتهم فى اسقاط التكاليف وهدم ظاهر الشريعة نزل

---

(٢١) فرق الشيعة : النوبختى ، ص ٩٦ .
(٢٢) الفرق بين الفرق : البغداد ، ص ٢٩٨ .
(٢٣) فضائح الباطنية : الغزالى ، ص
(٢٤) أدب مصر : محمد كامل حسين ، ص ٢١ .

الرسول ﷺ « ان بين قبرى ومنبرى الذى أهدى الناس منه لروضة من رياض الجنة » يقولون لا يمكن لهذا الحديث بالطبع ان يفهم على ظاهرة الحرفى فمنبر الهداية هو بالذات هذا المظهر الحرفى أى الشريعة مع كل ما فيها من أوامر وفرائض .

أما القبر فهو الفلسفة التى فيها يصير ظاهر الشريعة حتما الى ممات وما اليه من فساد وزوال . اما روضة الجنة التى تمتد بين المنبر والقبر فهى روضة الحقيقة العرفانية ومجال البعث والاحياء حيث يبعث المطلع الى حياة جديدة لا تزول (٢٥) .

ومن هذا يتضح أن العقيدة عندهم يجب أن تموت ، وأن ما بين الشريعة والقبر يجب أن يبقى وهو الحقيقة وهى الدعوى ، والدعوة عندهم كما أسلفنا هى الجنة ، ولهذا فالداخل فى الدعوة وجب عليه أن يقطع الشريعة الظاهرة ولا يعمل بها .

ويوضح هذه الصورة أكثر نظرتهم الى تفسير الأسماء الحسنى .

فمن عرف الأسماء الحسنى كما يقول النشار عرف الانبياء الناطقين والأئمة الناطقين ومن عرف الناطقين رفع عنه التكليف .وهذا ما لم يناد به الا الاسماعيلية ولكنهم غضوا البصر عنه وهم فى دور الستر جذبا للاتباع وقد أدى الى أفظع النتائج (٢٦) .

ووفقا لهذاالمنهج جاءت رسالة عبيد الله القيروانى الى سليمان (أبو طاهر) القرمطى وجاء فيها انك واخوانك هم الوارثون الذين ورثوا الفردوس .

وأراد باخوانه الباطنية وزعم أنهم هم الذين يرثون الفردوس ثم فسر الفردوس فقال « هو نعيم الدنيا ولذاتها التى حرمها على الجهال الذين تمسكوا بشرائع قوم من الأنبياء هنيئا لكم الراحات التى وصلتم اليها والخلاص من التكليفات التى ابتلوا بها (٢٧) .

---

(٢٥) تاريخ الفلسفة : كوربان ، ص ١٣٧ ، ١٣٨ .
(٢٦) نشأة التفكير : د. النشار ، ص ٢٨٨ .
(٢٧) التبصير : الاسفراينى ، ص ٨٦ .

والذى يصح عندى : واعتقده .

ان الباطنية ان صح أن لهم مذهب فهو مذهب سياسى لا يتصل بالاسلام كدين من قريب أو من بعيد بل هم بهذه الأفكار يهدمون الاسلام ؟ لأن الذى يجسر على معارضة النص الصريح ومن غير دليل ثم يخرجه عن ظاهرة بتأويلات فاسدة بهدف تعطيل الأركان وهدم الدين وبث سموم الشك من حول مبادئه . لا يعدو الا أن يكون كافرا موغلا فى الكفر . والباطنية تهدف فيما تهدف من وراء اسقاط التكاليف وتشكيك الناس فى الفرائض والعبادات والعمل على الاباحة الى التحلل من الدين وانسلاخ الناس عما جاءت به الشريعة السمحة وسنرى فيما يأتى ومن خلال عرضنا لأرائهم وأفكارهم الهدامة فى الفرائض والعبادات . ما يندى له جبين الزمن ويكشف عن صريح كفرهم وجحودهم وخروجهم عن الاسلام .

الصلاة : مثلها مثل الدعوة (٢٨) .

ومعنى الصلاة موالاه امامهم (٢٩) والاتجاه القلبى للامام (٣٠) .

والقبلة ـــ مثل صاحب الزمان من كان من نبى أو امام (٣١) .

« قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها (٣٢) يعنى عليا (٣٣) .

ولهذا وتنفيذا لمخططهم فى تشكيك الناس نجد أقوالهم فى تحديد ركعات الصلاة وعددها يختلف فبينما نجد الداعية الذى التقى بحمدان قرمط فى بدء الأمر يفرض عليهم كما يقول الطبرى خمسون صلاة فى اليوم والليلة (٣٤) .

---

(٢٨) تأويل الدعائم : النعمان ، ص ١٦٢ .
(٢٩) الفرق بين الفرق : البغدادى ، ص ٢٩٦ .
(٣٠) طائفة الاسماعيلية : محمد كامل ، ص ١٦٤ .
(٣١) تأويل الدعائم : النعمان ، ص ١٧٨ .
(٣٢) سورة البقرة : آية ١٤٤ .
(٣٣) تأويل الدعائم : النعمان ، ص ٢٣٧ .
(٣٤) تاريخ الطبرى : الطبرى ، ص

نجد بعض القرامطة كما يقول الطبرى يقصرون الصلاة .

على أربع ركعات ركعتان قبل طلوع الشمس وركعتان بعد غروبها وان يقرأ فى كل ركعة الاستفتاح وهو من المنزل على أحمد بن محمد بن الحنفية والقبلة الى بيت المقدس وان الجمعة يوم الاثنين لا يعمل فيه شىء والسورة الحمد لله بكلمته وتعالى اسمه المتخذ لاوليائه بأوليائه . يسألونك عن الآهلة قل هى مواقيت للناس ظاهرها ليعلم عدد السنين والحساب والشهور والأيام وباطنها أوليائى الذين عرفوا عبادى سبيلى اتقونى يا أولى الالباب وأنا الذى لا أسأل عما أفعل وأنا العليم الحكيم وانا الذى ابلو عبادى وامتحن خلقى فمن صبر على بلائى ومحنتى واختيارى القيتة فى جنتى وأخلدته فى نعمتى ومن زال عن أمرى وكذب رسلى أخذته مهانا فى عذابى وأتممت أجلى وأظهرت أمرى على السنة رسلى — انا الذى لم يعل على جبار الا وضعته ولا عزيز الا أذللته وليس الذى أصر على أمره ودام على جهالته وقالوا لا نبرح عليه عاكفين وبه موقنين أولئك هم الكافرون . ثم يركع ويقول فى ركوعه . سبحان ربى رب العزة وتعالى عما يصف الظالمون يقولها مرتين .

فاذا سجد قال : الله أعلى الله أعلى الله أعظم الله أعظم (٣٥) .

والصلاة والزكاة (عندهم) سبعة أحرف دليل على محمد وعلى صلى الله عليهما لانهما سبعة أحرف فالمعنى الصلاة والزكاة ولاية محمد وعلى فمن تولاهما فقد أقام الصلاة وأتى الزكاة (٣٦) .

وبما أن الصلاة هى مولاه الامام فمن أراد أن يتخلص منها من الداخلين فى الدعوة فليدفع النجوى الداعى وبعد أن يدفع النجوى يأخذه الداعى الى الامام كما يقول اليمانى . فيقول الداعى للامام يا مولانا أن عبدك فلان قد عرف الصلاة ومعانيها فأطرح عنه الصلاة وضع عنه هذا الأصر

---

(٣٥) تاريخ الطبرى :

(٣٦) كشف أسرار الباطنية : اليمانى ، ص ١٢ .

وهذا نجواه اثنا عشر دينارا . فيقول : اشهدوا انى قد وضعت عنه الصلاة ويقرأ له :

« ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم (٣٧) .

فعند ذلك يقبل اليه أهل هذه الدعوة ويهنئونه ويقولون الحمد لله الذى وضع عنك وزرك الذى انقض ظهرك (٣٨) .

وبهذا الشرك الصريح يرفع الباطنية منزلة امامهم ويسبغون عليه صفات الله سبحانه وتعالى فالامام عندهم هو الذى يقر الفرائض وهو الذى يرفعها عن اتباعه فى مقابل الدراهم والدنانير ثم تتطاول مزاعمهم الى تحريف آيات الله واخراجها عن ظاهرها ليموهوا على الجهلاء صريح كفرهم وجحودهم . والذى توصلت اليه من خلال بحثى لهذا الموضوع أن للباطنية مخططها الدقيق لسلخ الناس عن الدين ؟ .

والمتتبع لمخططهم يكشف عن حقيقة أغراضهم من وراء ابطال التكاليف واسقاط الفرائض وفق خطة مرسومة ومنظمة .

ففى بدء أمرهم وتعاملهم مع أى مجتمع أو فرد يخاطبون كل قوم بما يناسبهم وتميل اليه طبائعهم حتى لا يظهر مخططهم .

ففى مجتمعات الزهد والتقشف يحتالون على الناس ويذهدونهم فى الدنيا ويغرقونهم فى العبادات مدعين أن الصلاة المفروضة خمسون صلاة فى اليوم والليلة . وهم لا يهدفون من وراء هذا الى حقيقة التعبد ولكن يهدفون الى ابطال التكاليف باستعمال سلاح ذو حدين .

أولهما — أن يتسرب الملل الى نفوس الذين ينقادون ورائهم باغراقهم واستغراق أوقاتهم فى أداء الخمسين صلاة.

ثانيهما — أن يتشكك الناس فيما هو ثابت ومقرر شرعا من أن الصلاة المفروضة فى اليوم والليلة خمس صلوات .

---

(٣٧) سورة الأعراف : آية ١٥٧ .

(٣٨) كشف أسرار الباطنية : اليمانى ، ص ١٢ ، ١٣ .

واذا ما فشلوا فى استعمال سلاح منهما فقد نجحوا فى استعمال الآخر .

ومحصلة نجاحهم فى استعمال أى ســـلاح هو تشكيك الناس فى الفرائض ودفعهم بطريق خفى الى التحلل منها .

فهم بين وقت وآخر يتحسسون مواضع الضعف فى اتباعهم فـــاذا ما وجدوا فرصتهم لاستعمال أى سلاح من أسلحتهم استعملوه فاذا أحسوا بتجاوب الناس واستماعهم لأقوالهم بدؤا فى تطوير أسلحتهم واســـتعمال أسلحة أخرى من الخبث والدهاء .

فبينما نرى بعضهم يتمسك بفرضية الخمسين صلاة ينادى البعض الآخر بأن الصلاة المفروضة ركعتان فقط فى اليوم والليلة وبين هـــذين السلاحين يقتنصون ضحاياهم من الجهلاء الذين يميلون الى التخفيف .

ويسرعون بهم الى حضرة امامهم ويطلبون منه التخفيف عنهم فاذا ما وقعوا فى الفخ وزين لهم شيطانهم التحلل من الفرائض .

القى اليهم الامام بآخر أسلحتهم المسمومة . وقال لهم أن الصـــلاة الحقيقية هى صلة الامام . وقتل فى نفوسهم القيمة الحقيقية للصـــلاة وحولها فى نفوسهم الى رمز لا قيمة له وزينها لهم .

ولنا أن نتسائل مع امامهم الذى يدعون انه يبطل الصلاة كأقوال وأفعال ويحولها الى رموز أكان رسول الله ﷺ يعلم أن الصلاة رمز أم لا ؟

فان كان لا يعلم فمن أين عرفتم هذا ؟

وان كان يعلم أنها رمز فلماذا كلف نفسه القيام طوال الليل والنهار والتهجد أكان يتعب نفسه فيما لا طائل تحته ؟ وفيما يعلم انه لا يجدى ؟ أو غير مراد ؟

وهل يقول بهذا فضلا عن أن يعتقده ويدعوا اليه سوى كافر موغل فى الكفر خارج عن الدين .

٢ ـ **الزكـاة** : الزكاة المفروضة عندهم فى كل عام مرة (٣٩) .

وهى تعطى للائمة . فالمراد بقوله تعالى « ويؤتون الزكاة » (٤٠) يعنى قبضهم اياها من أهلها (أى الأئمة) وأعطائها لمن أوجب الله لهم أخذها « وهم راكعون » أى مطيعون فهؤلاء هم الأئمة (٤١) .

وهنا يبرز التناقض فى أقوالهم فتفسيرهم لمعنى الزكاة يخالف قاعدة مذهبهم فى تأويل الظاهر وصرفه الى الباطن .

وكيف صرفتم الظاهر فى كل أقوالكم وحولتموه الى الباطن ففى الصلاة مثلا قلتم أنها صلة الامام وليست هى الصلاة ذات الأقوال والأفعال الخ .

ولم تحولوا الظاهر هنا الى الباطن أو تصرفوه عن ظاهره .

وقلتم ان المراد بالزكاة أى الزكاة الحقيقية التىيقبضها الأئمة ممن تجب عليهم الزكاة ثم هم الذين يقومون بصرفها على مستحقيها من الاتباع ولماذا لم يصرفوا اللفظ الظاهر عن ظاهره ؟ لان المقبوض هنا دراهم ودنانير ؟ والمقبوض فى الصلاة وفى غيرها من العبادات أجر وثواب من الله ؟

وكان الأجدر بكم والأولى حتى لا تتناقضوا مع قواعد مذهبكم أن تقولوا أن المراد بالزكاة هو تزكية النفس وتطيرها . وليس تحصـيل الدراهم والدنانير ؟ .

حتى لا تنكشف حيلتكم ويتضح للعامة والخاصة خبث مقصدكم .

٣ ـ **الصوم** : مثل الكتمان (٤٢)

وهو الامساك عن كشف السر (٤٣) وعدم افشاء أسرار الدعوة (٤٤) ويفسرون قوله تعالى « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » (٤٥) يريد كتمان

---

(٣٩) كشف أسرار الباطنية : اليمانى ، ص ١٢ .
(٤٠) سورة البقرة : آية ٣ ، وسورة المائدة : آية ٥٥ وغيرها ..
(٤١) تأويل الدعائم : النعمان ، ص ٢٧٩ .
(٤٢) تأويل الدعائم : النعمان ، ص ١٩٢ .
(٤٣) فضائح الباطنية : الغزالى ، ص ٥٦ .
(٤٤) طائفة الاسماعيلية : محمد كامل ، ص ١٦٤ .
(٤٥) سورة البقرة : آية ١٨٥ .

الأئمة فى وقت استتارهم خوفا من الظالمين ويتأولون قوله تعالى « انى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا » (٤٦) فلو كان عنى بالصيام ترك الطعام لقال فلن أطعم اليوم شيئا فدل على أن الصيام الصمت (٤٧) والامساك عن افشاء سر الامام دون الامساك عن الطعام .

فاذا ما عرف الداخل فى دعوتهم هذه الحقيقة طلبوا منه دفع النجوى ليرفعوا عنه الصيام فاذا دفع النجوى ذهبوا به الى الامام ويقول الداعى له .

عبدك فلان قد عرف معنى الصوم على الحقيقة فأبح له الأكل برمضان فيقول له قد وثقته وأمنته على سرائرنا فيقول نعم . فيقول قد وضعت عنه ذلك (٤٨) .

ويروى الدكتور النشار عن احد القرامطة أن من شريعته أن يصوم يومين فى السنة وهما المهرجان والنيروز (٤٩) وهذا غنى الدلالة على انهم لا يتمسكون بعقيدة معينة وان كانوا يتظاهرون بالصوم حتى لا ينكشف أمرهم وزيادة فى التمويه على الناس الا أنهم كانو من خلال ذلك ووفق خطة خبيثة يثيرون المشاكل حول الصوم وحول تحديد أيامه حتى يثيروا الشكوك فى حقيقة الصوم .

ومن أهم المسائل التى أثارت سخط المسلمين على الفاطميين تحديد بدء الصوم ذلك أن الفاطميين لا يبدأون صوم رمضان برؤية الهلال على ما يذهب اليه جمهور أهل السنة فقد وجد الفاطميون ان الهلال اذ غم فى بلد بسبب سحاب أو غيره فقد يظهر فى بلد آخر قريب فلا يصوم أهل البلد الأول على حين يصوم أهل البلد الآخر وكثير ما يحدث اضطراب فى بدء الصوم فى البلد الواحد ومن ثم لجأ الفاطميون الى الفلك والحساب .

---

(٤٦) سورة مريم : آية ٢٦ .
(٤٧) كشف أسرار : اليمانى ، ص ١٣ .
(٤٨) انظر كشف أسرار : اليمانى ، ص ١٣ .
(٤٩) نشأة التفكير : د. النشار ، ص ٤٤٨ .

يقول الدكتور محمد كامل حسين جعلوا قول النبى الكريم « صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته » انها رؤية استبصار لا رؤية ابصار هذا التقويم الفاطمى (جعل بعضهم) . يصومون قبل جمهور أهل السنة بيوم أو يومين ويبدأون عيد الفطر قبل جمهور أهل السنة بيوم أو يومين (٥٠) ولاعتمادهم على الفلك شوهوا النصوص وحولوها وفق هواهم الى رموز لا تعبر عن روح الاسلام بل تتنافر معه .

واذا كان الصوم هو كتمان سر الامام وعدم افشاء سره كما تدعى الباطنية زورا وبهتانا لتسقط بهذا الادعاء فريضة الصوم وتقتلها فى نفوس الناس وتبيح لاتباعها الافطار فى رمضان .

فماذا يقولون فى قوله تعالى : « شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه . ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر (٥١) .

فهل تمشيا مع مذهبكم نفهم أن الله يأمرنا بكتمان سر الامام فى شهر رمضان فقط على أن نكشف سره فى غيره من الأشهر ؟ .

وان كان الصوم الذى هو عدم افشاء سر الامام كما تدعون فرض ففى افشاء هذا السر هدم للفريضة . وها قد انتشرت أسرار أئمتكم بل وافتضحوا ؟ فهل هدمتم هذه الفريضة وكشفتم عن أسرار أئمتكم ؟ وعلى فرض التسليم لكم جدلا بأن الصوم هو كتمان سر الامام فماذا تقولون أيضا فى قوله تعالى « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » ؟

فمن لم يشهد سر الامام ممن هم فى البلدان البعيدة ولم يشهدوا حضرة الامام ولم يعرفوا أسراره فهل يصومون يعنى يكتمون سر الامام ولا سر عندهم يكتمونه لعدم وصول شىء اليهم أصلا أماذا يفعلون ؟ وهل هؤلاء مكلفين بالصوم عندكم أم لا ؟

---

(٥٠) أدب مصر الفاطمية : محمد كامل ، ص ٣٠ ، ٣١ .
(٥١) سورة البقرة : آية ١٨٥ .

ثم ماذا تقولون فى قوله تعالى : « ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر » انفهم من هذا حسب ادعائكم أن المريض يباح له أن يفشى سر الامام وكذلك المسافر .

وعلى فرض انه لا يباح له أن يكشف سر الامام فلماذا قيد الله سبحانه وتعالى عليه القضاء بأيام اخر ؟ اذ لو كان الأمر لمجرد أن أخطأ مريض أو مسافر وصرح بسر الامام لكان الأولى ان يأمره الله بالامساك المطلق . ولا يقيده بأيام . اذ معنى تقيده بأيام محدده تعنى أن يعود بعد هذه الأيام الى ما كان عليه فهل يجوز عندكم ان يعود مرة أخرى ليكشف عن سر الامام . أعتقد انكم ستقولون لا وبهذا يظهر التخبط والتناقض فى دعواكم ويكشف عن الجحود والكفر الصريح وعلى فرض التسليم لكم جدلا بأن الصوم هو كتمان سر الامام فبماذا تفسرون حرص الرسول الكريم وحرص على رضى الله عنه من تدعون أنه يعلم حقيقة التأويل فضلا عن حرص جميع الصحابة على أداء الصوم والتمسك به .

وهل كان الرسول ﷺ يعلم أن الصوم الذى هو الامساك عن شهوتى البطن والفرج من طلوع الفجر الى غياب الشمس غير مراد وأن المراد هو عدم افشاء سر الامام .

ثم يخدع نفسه ويعذبها بالصوم وهو غير مراد .

واذا كنتم أجزتم لأنفسكم التحلل من الدين فلماذا تحملون الدين ما لا يحتمل وتشوهون نصوصه بتأويلات فاسدة تنطق بالكفر الصريح وتكشف عن سوء مخططكم وضد الاسلام والمسلمين .

٤ ـ **الحج** : عندهم هو الوصول الى معرفة صاحب الزمان والكون فى جملة أوليائه (٥٢) وزيارة الامام (٥٣) وادمان خدمته (٥٤) .

فالكعبة عندهم هى النبى والباب على والصفا هو النبى والمروة على

---

(٥٢) تأويل الدعائم النعمان ، ص ٣٠٣ .
(٥٣) طائفة الاسماعيلية : محمد كامل حسين ، ص ١٦٤ .
(٥٤) الفرق بين الفرق : البغدادى ، ص ٢٩٦ .

والميقات هو الاساس والتلبية اجابة الداعي والطواف بالبيت سبعا الطواف بمحمد الى تمام الأئمة السبعة .

ومن منطلق هذه العقيدة وعلى ضوء ما تناقلته لنا كتب التاريخ وما تصرح به الباطنية من جعل الحج هو زيارة الامام ومحاربتهم للطريقة التى يؤديه بها كافة المسلمين اقتداءا برسول الله وتأسيا بطريقته وطريقة أصحابه الأجلاء فى أداء الحج يتضح لنا بجلاء معنى الحروب التى كانت تشنها الباطنية على الحجاج وترتكب فى هذا أبشع الجرائم مما يندى له جبين الزمن وتشيب من هوله الولدان .

وحتى لا نطيل على القارىء فاننا نكتفى بتقديم ما حدث من فرد واحد منهم هو أبو طاهر بن سعيد الجنابى الذى حكم البحرين والاحساء من بين العديد من الباطنية الذين لو أردنا أن تعدد مسالبهم ومواقفهم المخذية ضد الاسلام والمسلمين لما وسعنا هذا الكتاب ولا العديد من الكتب لأن تاريخهم ملىء بالمخازى حافل بالجرائم ملطخ بالدم .

يقول أبو المحاسن : وفى عام ٣١٧ سير المقتدر ركب الحج مع منصور الديلمى فوصلوا الى مكة سالمين فوافاهم يوم الترويه عدو الله أبو طاهر القرمطى فقتل الحجيج قتلا ذريعا فى فجاج مكة وفى داخل البيت الحرام (٥٥) فكان الناس يفرون منهم فيتعلقون بأستار الكعبة فلا يجدى فيقتلون فى الطوائف وقد كان بعض أهل الحديث يومئذ يطوف فلما قضى طوافه أخذته السيوف فلما وجب أنشد وهو كذلك :

ترى المحبين صرعى فى ديارهم كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا (٥٦)

وقتل ابن محارب أمير مكة (٥٧) وهدم قبة زمزم وأمر بقلع باب الكعبة ونزع كسوتها عنها ومزقها بين أصابعه وأمر رجلا أن يصعد الى ميزاب الكعبة فيقتلعه فسقط على أم رأسه فمات الى النار .

---

(٥٥) النجوم الزاهرة : أبو المحاسن ، ص ٢٢٤ .
(٥٦) البداية والنهاية : ابن كثير ، ص ١٦٠ جـ ١١ .
(٥٧) النجوم الزاهرة : أبو المحاسن ، ص ٢٢٤ .

فعند ذلك انكف الخبيث عن الميزاب ثم أمر بقلع الحجر الأسود فجاء رجل فضربه بمثقل في يده وقال :

أين الطير الأبابيل ؟ أين الحجارة من سجيل ؟

ثم قلع الحجر الأسود وأخذه حين راحوا معهم الى بلادهم (٥٨) (هجر بالبحرين) ثم رد منها الى الكوفة ورد بعد ذلك من الكوفة الى مكة على يد اسحاق ابراهيم بن محمد بن يحى النيسابورى فى سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة (٥٩) فى خلافة المطيع .

وجلس أبو طاهر على باب الكعبة والرجال تصرع من حوله فى المسجد الحرام يوم التروية الذى هو أشرف الأيام وهو يقول :

انـا لله وبالله انـا يخلق الخلق وأغنيهم انا

ويقدم ابن كثير فى البداية والنهاية ص ١٦٠ ج ١١ رواية أخرى لهذا البيت تتمشى وعقيدة الباطنية فيقول :

انـا الله وبالله انـا انا أخلق الخلق وأفنيهم أنا

ودخل رجل الى حاشية الطواف وهو راكب سكران فبال فرسه عند البيت ثم ضرب الحجر بدبوس (٦٠) .

وقيل أنهم قتلوا ثلاثة آلاف وأخرج منها سبعمائة بكر (٦١) .

فلما قضى القرمطى لعنه الله أمره وفعل ما فعل بالحجيج من الافاعيل القبيحة أمر أن تدفن القتلى فى بئر زمزم ودفن كثير منهم فى أماكنهم من الحرم وفى المسجد (٦٢) وكان يتغنى بعد أن اقتلع الحجر الأسود وهو فى طريق عودته الى بلاده بهذه الأبيات :

---

(٥٨) البداية والنهاية ، ص ١٦١ ج ١١ .
(٥٩) الفرق بين الفرق : البغدادى ، ص ٢٩١ .
(٦٠) النجوم الزاهرة : أبو المحاسن ، ص ٢٢٤ .
(٦١) الفرق بين الفرق : البغدادى ، ص ٢٩١ .
(٦٢) البداية والنهاية : ابن كثير ، ص ١٦٠ ج ١١ .

لو كان هذا البيت لله ربنا لصب علينا النار من فوقنا صبا
لانا حججنا حجـــة جاهلية مجاله لم تبق شرقا ولا غربا
وأنا تركنا بين زمزم والصفا جنائز لا تبغى سوى ربها ربا (٦٣)

وروى أن القرمطى قال بعد أن قتل :

يا حمير ورفع صوته بذلك اليس قلتم فى بيتكم هذا « ومن دخله كان آمنا » فأين الأمن (٦٤) .

ومن خـــلال ما تفوه به القرامطة من عبـــارات . مثل أين الطير الأبابيل ؟ أين الحجارة من سجيل ؟ أين الأمن ؟

يبدو الكفر الصراح والتحدى لرب البيت وتكذيب القرآن وانكار المعجزات . وهل بعد هذا كفر ؟ ولذا يقول ابن كثير : القرامطة شر من اليهود والنصـــارى والمجوس بل وعبدة الأصـــنام وأنهم فعلوا بمكة ما لم يفعله أحـــد (٦٥) .

ولنا أن نتساءل عن الدوافع التى دفعت أبى طاهر للقيام بهذا العمل الشـــنيع ؟

ونجد أمامنا رأيان : الأول للدكتور النشار والثانى لابن كثير ومن خلال عرضهما سوف تتضح البواعث . يستبعد الدكتور النشار أن تكون دوافع مجوسية هى التى حركت أبا طاهر لهذا العمل فيقول : انه من البعيد أن تكون هذه غاية أبى طاهر فلم نسمع انه أقام فى الكعبة شعائر أو طقوسا مجوسية ، كما انه لم يفكر فى هدم الكعبة .

ثم يقول : كانت غاية أبى طاهر اذن أن يوقف فريضة الحج وأن يسرقلها ذلك لأن الحج اذا تؤدى على طريقة أهل السنة .

وباسم الخليفة العباسى عدو آل البيت وكان أبو طاهر وأتباعه على يقين من أن دور الامام المنتظر سواء أكان هو أو أحد افراد البيت العلوى

---

(٦٣) كشف أسرار الباطنية : اليمانى ، ص ٢٠ .
(٦٤) البداية والنهاية : ابن كثير ، ص ١٦١ جـ ١١ .
(٦٥) البدايه والنهاية : ابن كثير ، ص ١٦٢ جـ ١١ .

قد اطل زمانه ، والحج عند الشيعة وكل اجتماع خطبة وصلاة لجمعة انما هو باسم الامام ولما كان الامام لم يظهر بعد فلا حج ولا جماعة .

هذا هو السبب الحقيقى لنقل الحجر الأسود الى هجر ثم الى الكوفة وان كان هذا السبب لا يمنع من أن عددا لا يستهان به من أتباع أبى طاهر كانوا مجوسا وكانوا يرون فى نقل الحجر الأسود انتقاما من الاسلام وقبية ومحاولة للقضاء عليه وعلى طقوســه ولكن لم تكن هذه أبدا غاية أبى طاهر (٦٦) .

ومن هنا اختلف مع الدكتور النشار وخلافى معه فى تبريره عمل أبى طاهر وغايته فهو يرى انه لم تكن غاية أبى طاهر سوى تعطيل الحج لأنه يؤدى بطريقة أهل السنة . ولا يرى فى هذا جرما أو اعتداء على الاسلام فى صورة الاعتداء على أهل السنة ؟

اذ لو كانت غايته مجوسية لهدم الكعبة أو أقام طقوسا مجوســية فيها ؟

ولهذا انكر على الدكتور النشار دفاعه عن أبى طاهر وتبريره فعله وكيف أجاز لنفسه أن يدافع عن هذا الانحراف بهذا المنطق ؟

أليست الطريقة التى يؤدى بها الحج والتى يريد أبو طاهر تعطيلها هى ما شرعه الله وأمر به ؟ وليس لأهل السنة شأن فى هذا الا انهم يحرصون على أداء الفريضة كما جاء بها رسول الاسلام ؟

وهل يجوز شرعا أن يعطل الباطنية فريضة الحج لأنها تؤدى عــلى طريقة أهل السنة ؟ وهل هى طريقة خارجة عما جاء به الشرع ؟

أليست هى الطريقة التى كان يؤدى بها رسول الله ﷺ الحج ؟

وهل تبرر لهم فعلهم الشنيع الذى يهدمون به الدين لمجرد أنهم يعادون أهل السنة ؟

---

(٦٦) نشأة الفكر : د. النشار ، ص ٤٥٥ جـ ٢ .

وهل يجوز لانســـان ما أن يكفر ويهجر الدين لأن عـــدوه يعتنق الدين ؟

ان جاز هذا فأنت محق فى دفاعك وتبريرك ؟

ولكن هب ان لهم طريقة أخرى غير أهل السنة وغير الطريقة التى كان يؤدى بها الرسول الكريم الحج ؟

وهى زيارة الامام والحج اليه كما يدعون ؟ ولهذا فهم يعطلون الحج والطواف بالكعبة والوقوف بعرفة والسعى ورمى الجمـــار لأنها تخـــالف طريقتهم .

فأين دليلهم على صدقهم وعلى صحة طريقتهم ؟

وكيف يجوز لنا أن نخالف الطريقة التى حددها لنا الشرع وادى بها الحج رسول الله ﷺ ثم نعمل بطريقتهم التى لم يقم عليها دليل ولم نسمع بها الا منهم ؟

وعـــلى فرض أن لهم طريقة غير طريقة أهل السنة فلماذا يهدمون ويخربون فى بيت الله الحرام ويقتلعون الحجر الأسود ؟ وهل طريقتهم تأمر بهـــذا ؟

فاذا كانت تأمر بهذا فهى خارجة عن الاسلام ولهذا لم يفعل هـــذا الفعل الشنيع على بن أبى طالب رضى الله عنه لايمانه أن هذا الفعل خروج عن الاسلام . واذا لم تكن طريقتهم تأمر بهذا أكان فعلهم هذا خـــــروج عن الاسلام أم لا ثم خروج ثانيا عن طريقتهم .

ولهذا فان فعل الباطنية هذا عندى أنشد من كفرا وجحودا من عبدة المجوس ؟ وان جاز لك أن تبرر طريقتهم فى القتل والتعطيل ؟ فكيف تبرر ما تفوهوا به من عبارات ناطقة بالكفر والالحاد مثل قولهم أين الطير الأبابيل ؟ وأين الحجارة من سجيل ؟ وأين الأمن ؟ .

أليست هذه العبارات ناطقة بالكفر ؟ غنية عن التعبير فى دلالتها . ثم لماذا تبرر الدوافع التى دفعت ابى طاهر لتعطيل الحج وقتل الحجيج

وقلع الحجر وتدعى أنها ليست دوافع مجوسية فى الوقت الذى تعترف فيه بأنه كان معه عدد لا يستهان به من المجوس الطاعنون على الاســلام والمتربصين للنيل منه ؟

ولماذا لا يكون هذا العدد من المجوس أثر على أبى طاهر وصبغ سلوكه بالصبغة المجوسية ؟ فكان رد الفعل منه مجوسيا ؟ .

وعلى فرض أنه لا يعتقد المجوسية الا بتأثره بمن معه من المجوس قد أتى بأفعال أشد كفرا والحادا من المجوس ؟

وأخيرا . ألا ترى أن أبا طاهر بهذا الفعل الشنيع ارتكب جرما يخرجه من الاسلام ؟

ألم يعطل الفريضة ؟ ألم يقتل النفس التى حرم الله قتلها الا بالحق ؟ ألم يتحــدى رب الســماء ويقتل فى بيته ليتحدى بهذا قــوله تعــالى « ومن دخله كان آمنا » (٦٧) ثم يعلن جهارا وأمام الجميع أنه يتحدى الخــالق ؟

أما الرأى الثانى فيقدمه لنا ابن كثير فيقول : ان الذى حمل هؤلاء على هذا الصنيع انهم كفار زنادقة وقد كانوا محالفين للفاطميين الذين نبغوا فى هذه السنة ببلاد المغرب ويلقب أميرهم بالمهدى (٦٨) .

وتأكيدا لما ذهبنا اليه وذهب اليه ثقاة علماء الاسلام من أنهم كانوا يهدفون الى هدم الفريضة وتعطيلها وليس لمجرد معاداة أهل الســنة ولكن لحقدهم على الاسلام والمسلمين . نضع أمام القارىء ما كشف عنه على بن فضل الجدنى (٦٩) حينما أمر اتباعه بقطع الحج وقال لهم :

حجوا الى الحرف ... واعتمروا الى الثانى ... موضوعان معرفان هناك (فى اليمن) (٧٠) ثم أعلن الوهيته وتسمى « رب العزة كما تسمى

---

(٦٧) سورة آل عمران : آية ٩٧ .

(٦٨) البداية والنهاية : ابن كثير ، ص ١٦١ جـ ١١ .

(٦٩) من القرامطة الذين حكموا اليمن .

(٧٠) كشف أسرار الباطنية : اليمانى ، ص ٣١ وما بعدها .

ابنه باسم » ابن رب العزة كما أعلن انتهاء الشريعة الاسلامية وأحكامها (٧١)

٥ ــ **كلمة التوحيد** : لا يعتبرون الشهادة من دعائم الاسلام (٧٢) .

وحتى تكتمل الحلقة سوف نكشف عن مخازيهم بعرض بعض النماذج الدالة على الاباحة وتحليل الحرام عندهم فيما يأتى .

١ ــ **الخمر** : الخمر وما جانسها من الأشربة المسكرة التى تجعل العقول مثلها فى الباطن مثل العلوم الغامضة التى لا يحتملها ولا يعقل حقائقها من سمعها ممن لم يبلغ حدودها (٧٣) .

ولما كانت الخمر عندهم حلال حاولوا أن يلصقوها باسماعيل امامهم ليحلوا لأنفسهم شربها كما يقول الدكتور النشار بدعوى ان الامام وأتباعه لا يخضعون للتكاليف الشرعية (٧٤) ويحرفون فى هذا معنى الآيات ويستدلون بقوله تعالى « فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى » (٧٥) وذكر الله تعالى أن هذا كله فى الجنة (٧٦) .

ويتأولون تفسير معنى الخمر والميسر اللذين نهى الله سبحانه وتعالى عنهما بأنهما كما يقول عنهم اليمانى أبو بكر وعمر لمخالفتهما « على » وأخذهما الخلافة دونه وأما ما يعمل من العنب والزبيب والحنطة وغير ذلك فليس حرام لانه مما تنبت الأرض متأولين قوله تعالى « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا » (٧٧) .

---

(٧١) انظر نشأة التفكير : د. النشار ، ص ٤١٠ ، ٤١١ ج ٢ .
(٧٢) انظر تأويل الدعائم : النعماء ، ص
(٧٣) المرجع السابق : النعمان ، ص ١٣٣ .
(٧٤) نشأة التفكير : د. النشار ، ص ٣٥٠ .
(٧٥) سورة محمد : آية ١٥ .
(٧٦) تأويل الدعائم : النعمان ، ص ١٣٥ .
(٧٧) كشف أسرار الباطنية : اليمانى ، ص ١٣ .

ويكشف صراحة عن حقيقة هذا الاعتقاد عندهم النعمان فيقول :
الخمر كالعلوم الغامضة فمن الناس من يتحملها ومنهم من لم يتحملها فهى حرام على من لا يتحملها ويقول :

جـاء فى القرآن صفة الخمر فكان كذلك كما وصفنا فى باطنه . انه يكون فى حالة من أحواله ماء وفى حالة خمرا يحل ذلك العلم الذى هو فى باطنه لقوم وهم الذين يحتملونه ولا يغير حالهم فيكون مثله مثل الماء ويحرم على من لا يقوم به ولا يحتمله (٧٨) .

ونحن نعلم من ديننا ونؤمن بما نعلم أن الخمر التى تعرض لذكرها القرآن الكريم وأخبر انها ستكون فى الجنة غير الخمر التى يصنعها الناس بأيديهم وشتان بين الخمرة التى يصنعها الصانع من البشر وبين صنعة الحكيم لأن الخمر والمأكولات فى الجنة تخالف مخالفة تامة كل ما هو موجود فى دنيانا اليوم ولهذا كانت خمرة الجنة حلالا . لأن صفتها وطعمها وتركيبها يختلف عن خمرة الدنيا ولا تشترك معها خمرة الدنيا الا فى الاسم فقط .

ولهذا كانت خمرة الدنيا حرام وحرمتها مؤكدة بنص الشارع الحكيم ولا خلاف فى هذا الا لمن تسول له نفسه الانسلاخ عن الدين .

ولو كانت الخمر حلالا كما تدعى الباطنية مثلها مثل العلوم الغامضة أى العلوم الباطنية التى يدعون أنها أشرف العلوم .

فهل يعقل وهل يتناسب هذا مع وصف الله تعالى لها بأنها رجس من عمل الشيطان وفوق هذا يأمر عباده باجتنابها .

فلو كانت حقيقة الخمر أو العلوم الغامضة حلال ومن أشـرف العلوم لما وصفها الله تعالى بهذا الوصف ولما أمر الناس بالابتعاد عنها فى قوله تعالى .

(انما الخمر) الى آخر الآية .

واذا كان الله سبحانه وتعالى أمر باجتنابها ونص على هذا فلماذا

---

(٧٨) تأويل الدعائم : النعمان ، ص ١٣٥ .

تبيحونها وأين دليلكم ؟ واذا كانت علومكم الغامضة كالخمر من حيث الحكم ؟ فحكم الله فى علومكم هو حكمة فى الخمر وهو حرمتها والأمر باجتنابها .

وان كنتم أنتم أبحتم لأنفسكم ما حرمه الله وكفرتم وأنكرتم النص . فنحن لم نفعل أكثر من اننا نفذنا وننفذ فى ايمان وصدق ما أمر به ربنا ونص عليه وهو اجتناب الخمر وتحريمها .

٢ — **الطهارة** : هى طهارة القلب لأن المؤمن طاهر بدنه والكافر نجس لا يطهره الماء ولا غيره (٧٩) وهى التطهر بالعلم وما يوجبه العلم من احداث النفوس (٨٠) ومن أمثلتهم المخزية فى الطهارة قولهم . مثل الغائط مثل الكفر والذى يطهر منه من العلم الايمان بالله ومثل البول مثل الشرك وهو درجات ومنازل والذى يطهر منه من العلم توحيد الله ونفى الاضداد والاشباه والشركاء عنه ومثل الريح تخرج من الدبر مثل النفاق الذى يطهر منه من العلم التوبة والاقلاع عنه واليقين . والاخلاص والتصديق بالله وأنبيائه وأوليائه وأئمة دينه . ومثل النوم مثل الغفلة فانها حالت بين المرء وبين أن يفعل شيئا من أمر دينه وجب عليه التطهير منها بالعلم (٨١) .

٣ — **الجماع** : فى الباطن اجتماع المستفيد مع من يفيده العلم والحكمة وسماعة ذلك منه فتلك المجامعة الباطنة مثل لسان المتكلم فيها مثل الذكر ومثل الأذن مثل الفرج ومثل الماء الدافق الذى يكون فى الظاهر عن الجماع مثل العلم الذى يخرج عن اللسان الى الاذنين (٨٢) .

وعندهم — أن المنى ليس بنجس فمنه خلق الله الأنبياء والأولياء وأهل طاعته وكيف يكون نجسا وهو مبدأ خلق الانسان وعليه يكون أساس البنيان فلو كان التطهير منه من أمر الدين لكان الغسل من الغائط والبول

---

(٧٩) كشف أسرار الباطنية : اليمانى ، ص ١٤ .
(٨٠) تأويل الدعائم : النعمان ، ص ٧٢ .
(٨٠) تأويل الدعائم : النعمان ، ص ٧٩ .
(٨٢) تأويل الدعائم : النعمان ، ص ٧٩ ، ٨٠ .

اوجب لأنهما نجسان وانما معنى « وان كنتم جنبا فاطهروا » (٨٣) معناه فان كنتم جهلة بالعلم الباطن فتعلموا واعرفوا العلم الذى هو حياة الأرواح كالمـــاء الذى هو حياة الأبدان قـــال تعالى « وجعلنا من الماء كل شىء حى » (٨٤) وقوله فلينظر الانسان مم خلق ، خلق من ماء دافق » (٨٥) فلما سماه الله بهذا دل على طهارته (٨٦) .

وبهذا فلا غسل من جنابة كما يقول النشار (٨٧) والزنا عندهم افشاء سرهم بغير عهد وميثاق (٨٨) ومعنى الجنابة عندهم مبادرة المســتجيب بافشاء سر اليه قبل أن ينال مرتبه الاستحقاق ومعنى الغسل — تجديد العهد على من فعل ذلك ومجامعة البهيمة عندهم معالجة من لا عهد عليه ولم يؤد شيئا من صدقة النجوى وهى مائة وتسعة عشر درهما عندهم ولذلك أوجب الشرع القتل على الفاعل والمفعول به والا فالبهيمة متى وجب القتل عليها ...

والزنا . هو القاء نطفة العلم الباطن فى نفس من لم يسبق معه عقد العهد والاحتلام هو أن يسبق لسانه الى افشاء السر فى غير محله فعليه الغسل أى تجديد العهد (٨٩) .

والذى اخلص اليه من هذا أن الباطنية بلغت بهذه السخافات حدا من الاسفاف والمجون والخلاعة والتحلل من الدين لم يصل اليه من يدعى الكفر صراحة ودعوتهم هذه بتفاهتها غنية عن الرد عليها لأن الذوق الســليم فضلا عن الدين القويم يرفض الخوض معهم فى هـــذه السخافات التى لا يتفوه بها الا متحلل كافر مارق من الدين .

---

(٨٣) سورة المائد : آية ٦ .
(٨٤) سورة الأنبياء : آية ٣٠ .
(٨٥) سورة الطارق : آية ٦ .
(٨٦) كشف أسرار الباطنية : اليمانى ، ص ١٤ .
(٨٧) نشأة الفكر : النشار ، ص ٤٤٩ .
(٨٨) الفرق بين الفرق : البغدادى ، ص ٢٩٦ .
(٨٩) فضائح الباطنية : الغزالى ، ص ٥٥ ، ٦٥ .

٤ ــ الاباحة عند الباطنية :

يصور لنا اليمانى الحوار الذى يدور بين الداعى والضحية التى يزينون لها الاباحة والدخول فى دعوتهم فيقول : يقول الداعى لمن يريد اغواءه أتحب أن تدخل الجنة فى الحياة الدنيا فيقول وكيف لى بذلك فيتلو عليه قوله تعالى « وان لنا للآخرة والأولى » (٩٠) ويتلو عليه قــوله تعالى « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة (٩١) .

والزينة هاهنا ما خفى على الناس من أسرار النساء التى لا يطلع عليها المخصوصين بذلك وذلك كقوله « ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن » (٩٢) والزينة المستورة غير مشهورة ثم يتلو عليه قوله تعالى « وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون » (٩٣) فمن لم ينل الجنة فى الدنيا لم ينلها فى الآخرة لأن الجنة مخصوص بها ذووا الالباب وأهل العقول دون الجهال لأن المستحسن من الأشياء ما خفى ولذلك سميت الجنة جنة لأنها مستخفية .

ثم يطلب منه الداعى أن يدفع النجوى وهى اثنى عشر دينارا لكى يباح له ما يباح فى الجنة ثم يمضى به الى الامام فيقول يا مولانا أن عبدك فلانا قد صحت سريرته وصفت حيرته وهو يريد أن تدخله الجنة وتبلغه جد الاحكام وتزوجه الحور العين فيقول قد وثقته وأمنته فيقول يا مولانا قد وثقته وأمنته وخيرته فوجدته على الحق صابرا ولأنعمتك شاكرا فيقول علمنا صعب مستصعب لا يحمله الا نبى مرسل أو ملك مقرب أو عبد امتحن الله قلبه بالايمان فاذا صح عندك حاله فاذهب به الى زوجتك فأجمع بينه وبينها فيقول سمعا وطاعة لله ولمولانا فيمض به الى بيته فبيت مع زوجته حتى اذا

---

(٩٠) سورة الليل : آية ١٢ .
(٩١) سورة الأعراف : آية ٣١ .
(٩٢) سورة النور : آية ٣١ .
(٩٣) سورة الواقعة : آية ١٣ .

كان الصباح قرع عليهم الباب وقال قوما أن يعلم بنا الخلق المنكوس .

ثم يقول . فاذا خرج من عنده تسامع به أهل تلك الدعوة الملعونة فلا يبقى منهم أحد الا بات مع زوجته كما فعل ذلك الداعى الملعون (٩٤) .

ويروى ابن الأثير رواية شبيهة بهذه الرواية فيقول :

وحكى انسان منهم يقال له ابراهيم الصائغ انه كان عند أبى سعيد الجنابى وأتاه يحى (كان يدعى بن المهدى) فأكلوا طعاما فلما فرغوا خرج أبو سعيد من بيته وأمر امرأته أن تدخل الى يحى والا تمنعه ان اراد فانتهى هذا الخبر الى الوالى فأخذ يحى وضربه وحلق رأسه ولحيته وهرب أبو سعيد الجنابى الى جنابا (٩٥) .

وكانوا يطلقون على الاجتماع الاباحى الكبير فى بيت الامام بالمشهد الأعظم يقول فى ذلك اليمانى كان الداعى يقول للمغرور لابد أن تشهد المشهد الأعظم عند مولانا فادفع قربانك فيدفع اثنى عشر دينارا ويصل به ويقول يا مولانا ان عبدك فلان يريد أن يشهد المشهد الأعظم وهذا قربانه حتى اذا جن الليل ودارت الكؤوس (لأن الخمر عندهم غير محرمة) وحميت الرؤوس وطابت النفوس أحضر جميع أهل هذه الدعوة الملعونة حريمهم فيدخلن عليهم من كل باب وتطفأ السرج والشموع وأخذ كل واحد منهم ما وقع عليه فى يده ثم يأمر المقتدى زوجته أن تفعل كفعل الداعى الملعون وجميع المستجيبين فيشكره ذلك المخدوع على ما فعل له فيقول له ليس هذا من فضلى هذا من فضل مولانا الامام فأشكروه ولا تكفروه على ما أطلق من وثاقكم ووضع عنكم أوزاركم وحط عنكم أحباركم ووضع عنكم أثقالكم وأحل لكم بعض الذى حرم عليكم .

« وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم » (٩٦) .

---

(٩٤) انظر كشف أسرار الباطنية : اليمانى ، ص ١٥ .
(٩٥) الكامل لابن الأثير : ص ٤٩٤ ، ٤٩٥ .
(٩٦) سورة فصلت : آية ٣٥ .

ويحكى أن عليا بن فضل بعد أن انتصر فى حروبه فى اليمن واستولى عليها عاد الى مذيخرة قاعدة ملكه كما يقـول اليمانى فأخذ يحل المحـرمات ويرتكب الفواحش وأمر الناس باستحلال البنات والاخوات وكان يجمع أهل مذهبه فى دار واسعة وتجتمع فيها الرجال والنساء بالليل ويأمرهم باطفاء السرج وأخذ كل واحد من وقعت يده عليه وروى أن عجوزا محدودبة الظهر وقعت مع رجل منهم فلما تبين بها خلاها فتعلقت بثيابه وقـالت دويد من ذى حكم الأمير — فجرت مثلا وفى نسخة البهاء الجندى مؤرخ اليمن . دويد ذى حكم الأمير . ثم قال دو بمعنى لا فى بعض لغـات اليمن وذى بمعنى الذى (٩٧) .

ويبدو ان جنتهم هذه والتى يبدأ الدخول فيها بالاجتماع للاباحة فى بيت الداعى ثم تتطور الى أن تصل الى الاجتماع الموسع فى بيت الامام حيث يجتمعون جميعا يتناهبون المحرمات فيما بينهم تصورا منهم أن هذه هى جنتهم .

تبدو هذه الصورة بصورة متطورة لدى الحسن الصباح زيادة فى التمويه اذا أقام قلعة الموت فى الجبل جنة كما يقول العقاد لانه كان يدير عليهم دواخين الحشيش ثم يدخلهم الى حديقة عمرت بمجالس الطرب التى يتغنى فيها الفتيات وتتلاعب فيها الراقصات ثم يخرجهم فى غيبوبة المخدر ويقع فى وهمهم ساعة يستيقظون انه نقلهم الى جنة الفردوس وأنه قادر على مراجعتهم اليها حيث شاء (٩٨) .

من هنا نرى أن الباطنية قد احتالوا على الناس ودخلوا عليهم من كل طريق لافساد معتقداتهم باستمالة قلوب الناس كما يقول الاسفراينى فأباحوا لهم جملة الملذات والشهوات وأباحوا لهم نكاح البنات والاخوات واسقطوا عنهم فرائض العبادات (٩٩) وينقل لنا البغدادى رواية أخرى يؤكد ذلك فيقول :

---

(٩٧) كشف أسرار : اليمانى ، ص ١٥ ، ١٦ .
(٩٨) فاطمة الزهراء : العقاد ، ص ١١٣ .
(٩٩) التبصير : الاسفراينى ، ص ٨٥ .

أن الغلام الذى ظهر منهم بالبحرين والاحساء بعد سليمان بن الحسن القرمطى (أبو طاهر) سن لأتباعه اللواط وأوجب قتل الغلام الذى يمتنع على من يريد الفجور به وأمر بقطع يد من اطفأ نارا بيده وبقطع لسان من أطفأها بنفخة وهذا الغلام هو المعروف بابن أبى زكريا الطامى وكان ظهوره سنة تسع عشرة وثلاثمائة وطالت متنته الى أن سلط الله تعالى عليه من ذبحه على فراشه (١٠٠) وينقل لنا البغدادى أيضا بعض العبارات التى وردت فى رسالة عبيد الله بن الحسين القيروانى الى أبى طاهر سعيد الجنابى والتى يقول فيها :

وما العجب من شىء كالعجب من رجل يدعى العقل ثم يكون له أخت أو بنت حسناء وليست له زوجه فى حسنها فيحرمها على نفسه وينكحها من أجنبى ولو عقل الجاهل لعلم انه أحق بأخته وبنته من الأجنبى وما وجه ذلك الا أن صاحبهم حرم عليهم الطيبات وخوفهم بغائب لا يعقل (١٠١) .

ولقد صور أبو طاهر الجنابى هذا فى قصيدة شعرية كان يتغنى بها شاعرهم فى الجند فوق المنبر منها :

خذى الدف يا هذه والعبى	وغنى هزاريك ثم اطربى
تولى نبى بنى هاشم	وهذا نبى بنى يعرب
لكل نبى مضى شرعه	وهذى شرائع هذا النبى
فقد حط عنا فروض الصلاة	وحط الصيام ولم يتعب
اذا الناس صلوا فلا تنهض	وان صوموا فكلى واشربى
ولا تطلبى السعى عند الصفا	ولا زورة القبر فى يثرب
ولا تمنعى نفسك المعروسين	من أقربى ومن أجنبى
فكيف تحلى لهذا الغريب	وصرت محرمة للأب
أليس الفراش لمن ربه	وسقاه فى الزمن المجدب
وما الخمر الا كماء السماء	حلالا فقدست من مذهب (١٠٢)

---

(١٠٠) الفرق بين الفرق : البغدادى ، ص ٢٨٦ .
(١٠١) الفرق بين الفرق : البغدادى ، ص ٢٩٧ .
(١٠٢) كشف أسرار الباطنية .

ويذكر لنا ابن الأثير روايات غريبة من تصرفاتهم فيقول : افتقدت امرأة ولدها فبحثت عنه فوجدته فى معسكر القرامطة وحينما رآها أنكر عليها دينها قال لها :

أخبرينى ما دينك فقالت اما تعرف دينى ، فقال لها اما ماكنا فيه فباطل والدين ما نحن عليه اليوم .

والأغرب من هذا انه تصادف فى أثناء تواجد هذه المرأة عند القرامطة أن رأت امرأة تلد وسألتها عن حالها فقالت لها انا امرأة هاشمية أخذونا هؤلاء الأقوام فذبحوا أبى وأهلى جميعا وأخذنى صاحبهم فأقمت عنده خمسة أيام ثم أمر بقتلى فطلبنى منه اربعة أنفس فوهبنى لهم كنت معهم فوالله ما أدرى ممن هذا الولد (١٠٣) .

الرد على الباطنية :

ويجدر بنا فى نهاية ما ذكرناه من فضائحهم أن نضع امام القارىء شهادة رجل عاش معهم ودخل فى مذهبهم وعرف أسرارهم ثم خرج عليهم وفضحهم وهو محمد بن الحماد اليمانى فهو يقول هذا ما اطلعت عليه من من كفرهم وضلالتهم والله تعالى بهم بالمرصاد والله تعالى شهيد بجميع ما ذكرته مما اطلعت عليه من فعلهم وكفرهم وجهلهم والله يشهد على بجميع ما ذكرته عالم به ومن تكلم عليهم بباطل فعليه لعنة الله ولعنة اللاعنين والملائكة والناس أجمعين وأخزى الله من كذب عليهم وأعد له جهنم وساءت مصيرا ومن حكى عنهم بغير ما هم عليه فهو يخرج من حول الله وقوته الى حول الشيطان وقوته فأديت هذه النصيحة الى المسلمين حسب ما أوجبه الله على من حفظ هذه الشهادة فان الله سبحانه وتعالى يقول « ستكتب شهادتهم ويسئلون » (١٠٤) .

---

(١٠٣) الكامل لابن الأثير : ص ٥١٠ ج ٧ ملخصا .
(١٠٤) كشف أسرار : ص ١٦ ،
سورة الزخرف : آية ١٩ .

وفضلا عن تهافت هذه الدعوة وفسادها ومجافاتها للقيمة الحقيقية للانسان واهــدار آدميته وانسانيته واثارة الغرائز البهيمية فى الناس واهدار كرامتهم ونشر الفساد والاباحة بينهم فانها لا تستند الى دليل وتتنافر كل التنافر مع مبادىء الدين .

ولهذا فاننا نقرر : ان هذه الادعاءات الباطلة التى تدعو الى التحلل ونشر الاباحة والفساد واســقاط الفرائض لا أساس لها فى الدين بل تتنافر كل التنافر مع أبسط مبادىء الدين والدين منها براء لأنها تتصادم مع نصوصه وتتنافر مع روحه وما جاء به محمد ﷺ كما تكشــف نصوصهم المزورة عن تناقض حاد بين ما يدعونه من معتقدات وما كان يحرص عليه ويتجمل به على رضى الله عنه والذى يدعون زورا انه امامهم ويفترون عليه وينسبون اليه الكثير من أقوالهم وهو منهم ومن أقوالهم وأفعالهم بريىء .

فبينما يجمع الكل حتى الباطنية انفسهم ان على بن أبى طالب كــان حريصا كل الحرص على تنفيذ ما جاء به الاسلام مقتديا فى ذلك برسول الله ﷺ ولم يؤثر عنه يوما انه تكاسل فى أداء فرض ، كما لم يؤثر عنه انه أحل حراما أو حرم حلالا لا قولا ولا فعلا بل كان مثال الزهد والورع والتقوى والاقتداء برسول الله والتأسى به .

فمن أين عرف الباطنية هذه الخرافات ؟

واذا كان على رضى الله عنه لم يؤثر عنه شىء مما تدعيه الباطنية ؟

فأين دليلكم على أن الصلاة فى الحقيقة هى صلة الامام ؟ وان الحج هو زيارة الامام ؟

والصوم كتمان سره ؟ الخ ...

واذا كانت هذه الأشياء مما يجب على الاتباع نحو الامام فمن باب أولى هى لا تجب على الامام لانها فى زعمكم شرعت من أجله فكيف يزور نفســه الخ .

فعلى رضى الله عنه كان يحرص كل الحرص على أداء الفرائض وأنتم تحيلونها الى رموز من أجله فلماذا كلف نفسه التعب والنصب وهل كان يعلم أن العبادات رموز ثم كلف نفسه التعب ؟ أم كان لا يعلم ؟

فان كان يعلم أنها رموزثم خالف وسار على نهج محمد ﷺ فهو آثم وأنتم لا تقولون بهذا ونحن معكم لا نقول بهذا .

وان كان لا يعلم . وسار على نهج محمد ﷺ لانه لا يعرف من دينه سواه فهو محق فى سيره ولم يفعل أكثر مما كلفه به ربه كمسلم .

وأما هذه البدع وتلك التأويلات التى تدعونها فهوى لا يعرف عنها شيئا وهذا هو الواقع الذى اثبته البحث وكشف عنه سجل النور الذى سطره على بأعماله وأمجاده وحرصه على الدين .

فهو برىء مما تدعيه الباطنية وهذا ما نعتقده ويكفى ردا على الباطنية فى هذا تناقضهم واتهام أحد أئمتهم لهم بالكفر والضلال يقول حميد الدين الكرمانى :

ان أعظم الفرق ضلال فرق الغلاة ضلت وأضلت غيرها فانسلخت عن جملة أهل الديانة . ويقول أيضا . استعيذ بالله من قوم يقولون بأفواههم انهم شيعة وهم من طلائع الكفر والالحاد شر طليعة يستوطئون مراكب الاباحة ويميلون ميل الراحة ويحتجون بأن الصلاة اشارة الى حد من حدود الدين فاذا عرف سقطت الصلاة وان الزكاة اشارة الى مثله فاذا عرفت بطلت الزكاة وأن الصوم هو السكوت عن افشاء سرهم الى غير أهله فاذا سكتوا لم تبق بهم حاجة الى الصوم واحتمال كده وان النهى عن شرب الخمر هو مولاه بعض الاضداد فاذا هم كفوا كان شربها حلالا سهل القياد ولا يزالون كذلك حتى يحلوا تكاليف الشريعة ...

وهؤلاء أضر بالدين وبالمؤمنين ممن شهر سيفه (١٠٥) .

---

(١٠٥) أدب مصر الفاطمية : محمد كامل حسين ، ص ٣٥ .

ومن الغريب بعد هذا الوضوح وبعد شهادة أحد أئمتهم عليهم ان نجد الدكتور النشار يحاول مستميتا الدفاع عن القرامطة الباطنية وينفى عنهم تهمة الاباحة ويستبعد هذا ويستبعد وقوعه وحجته فى هذا أنهم كانوا يعيشون فى مجتمع « سنى » .

وبناء على هذا السبب يكذب هذه التهمة (١٠٦) .

فى الوقت الذى يؤكد فيه د. محمد كامل حسين أول صديق لهم فى مصر والذى أظهر قدرا كبيرا من معلوماتهم وكتبهم . ان القرامطة استباحوا المحرمات ونادوا بالاباحة (١٠٧) .

ولهذا أتساءل مع الدكتور النشار لماذا كل هذا الدفاع عن الباطنية القرامطة ألم يكن المجتمع المصرى يوم ان طغى وبغى وداس فيه الكرامات « فاروق » مجتمعا سنيا . وهل لمجرد كون المجتمع سنيا لا تقع فيه أمثال هذه الحوادث ؟ وهل عصم المجتمع السنى فى مصر « فاروق » ومنعه من الفجور الا تدرى أن للسلطة أفاعيلها وأساليبها فى ضغطها بالقمع والارهاب أتذكر أن الكثيرين فى مجتمعك « السنى » كانوا يلقبون « فاروق » بالملك الصالح وكان يومها فى قمة العربدة والفساد . وهب أن التاريخ أنسانا هـذا .

ألا ترى ما يحـدث فى بعض الملاهى وبعض البراجات من تحلل وانحـراف .

الا ترى صـورة انصـاف الرجال وهم يتخنفسون وينسلخون عن آدميتهم ورجولتهم ؟

أليس كل هذا يحدث فى مجتمع « سنى » وهل أقامت الباطنية أو فعلت أكثر أو أقبح من هذا ؟

وأخيرا تبقى حقيقة نتفق عليها نحن والباطنية ولا تختلف عليها . .

---

(١٠٦) نشأة التفكير : د. النشار ، ص ؟

(١٠٧) أدب مصر : محمد كامل حسين ، ص ٣٤ .

وهى أن رسول الله ﷺ لم يؤمر بتبليغ علوم غامضة أو سرية أو رمزية ولم يفعل الا ما أمره الله به .

واذا كان ذلك كذلك وان رسول الله ﷺ لم يؤمر بهذه الرموز ولم يكلفه الله بها وهى للباطنية من دون الناس .

فنحن مع محمد ﷺ لا ندين ولا نصدق ولا نعمل الا بما جاء به ولا نكلف أنفسنا بشىء لم يفعله رسولنا أو تكلفه السماء به .

أما أنتم وقد خرجتم عن دعوة محمد ﷺ فافعلوا ما يفعله غيركم من الكافرين حتى يأتى أمر الله .

والذى انتهى اليه من هذا أن الباطنية سلكت هذا السبيل ضد الاسلام لتحقق الآتى :

١ ــ خلق مجتمع اباحى داخل المجتمع الاسلامى باستثارة الغرائز البهيمية لتقتل فى نفوس الناس الكرامة والحمية الاسلامية وتميت روح الدين بنشر الفساد والاباحة .

٢ ــ التشكيك فى الفرائض وحمل الناس على التحلل منها .

٣ ــ اثارة الفتن واحياء العصبيات والعادات الجاهلية القديمة وحمل السلاح وقتل النفس التى حرم الله قتلها الا بالحق لتبدأ فترة جديدة فى المجتمع الاسلامى يلطخها الدم وهم يهدفون من وراء هذا الى :

(أ) شغل المسلمين فيما بينهم بالحروب الداخلية بدعوى أنهم يطالبون بالامامة الى آل البيت .

(ب) تعطيل المناسك وقتل الحجاج لتصرف الناس عن الحج بالسلاح ويفرضون نظامهم بالقوة .

واذا كانت هذه هى حقيقة دعوة الباطنية فما هو موقف الشرع منهم هذا ما سنفصله فى الباب التالى .

الباب الخامس

موقف الشرع منهم

الفَصَلُ الأوّل

موقف الشرع من الباطنية

استعمل الباطنية كل أسلحتهم الخبيثة لحرب الاسلام واستعملوا فيما استعملوا للدفاع عن دعوتهم سلاح التأويلات الفاسدة واستدلوا على ما زعموا بأقوال مكذوبة يزعمون أنها لأئمتهم واستعمل علماء الاسلام فيما استعملوا من أسلحة للدفاع عن الاسلام معجزة الحق القرآن الكريم واستدلوا على صدق ما اعتقدوا بما جاء به الصادق المعصوم محمد ﷺ وشتان ما بين ما أخبر به الصادق وبين ما تمليه أهواء الباطنية .

والباطنية وان اختلفت معنا وأنكرت أغلب الحقائق الا أنها لا تنكر أن القرآن معجزة محمد ﷺ وان محمد عليه الصلاة والسلام صادق فيما جاء به وبلغه عن ربه واذا كان صدق محمد ﷺ مؤكد منا ومنهم وقامت عليه المعجزة .

ودعوة الباطنية وتأويلاتهم وأقوالهم فضلا عن تهافتها وتناقضها ومجافاتها لروح الاسلام لا تعتمد على دليل صحيح ولا تستند الى سبب مقبول سوى الكذب والتلفيق والافتعال ويكفى هذا أرضية صلبة ومنطلقا للحوار معهم ورداً لافتراءاتهم ..

وقد رأيت قبل أن أبدأ الحوار معهم لرد مزاعمهم وتقرير الحكم عليهم وحتى لا يلتبس الموقف على القارىء الكريم ان أحدد ما هو المراد بالشرع وبالموقف هنا ؟ وما معنى موقف الشرع منهم ؟

أولا : المراد بالشرع هنا . هو الشريعة الاسلامية كما صرح بها القرآن وارست دعائمها وصورتها السنة المحمدية .

لان الشرع أو الشريعة كما يقول الامام الأكبر الشيخ شلتوت هى النظم التى شرعها الله أو شرع أصولها ليأخذ الانسان بها نفسه فى علاقته بربه وعلاقته بأخيه المسلم وعلاقته بأخيه الانسان وعلاقته بالكون وعلاقته بالحياة (١) .

ثانيا : المراد بالموقف . هو الحكم :

واذا كان المراد بالشرع هوشريعة الاسلام والموقف هو الحكم . فهل يمكن أن نحكم على مجرد الاختلاف أو التضاد أو التوافق والاتحاد بين الأشياء على أنها مواقف ؟ لكل منها من الآخر . وان جاز هذا بين الاشخاص المعينة فهل يمكن أن نطلق على ما يحدث بين الاتجاهات المتعارضة أو المختلفة مواقف وهل لمجرد مخالفة بعض المبادىء أو تضادها مع مبادىء الشرع يعتبر هذا موقفا من الشرع ضدها وبالتالى موقفا منها ضده ؟

وان جاز هذا فهل أصول الاسلام وقواعده ومبادؤه تحتوى مبادئهم بمعنى أن مبادئهم لها جذورها الاسلامية وتتوافق مع قواعد الاسلام وأصوله وان اختلفت من حيث الشكل ام لا ؟ وعلى كل فان لمبادىء الشرع وأصوله الصفة الاعتبارية والتى على أساسها تمثل الشرع وعلى ضوئها يمكن تحديد نوع الحكم بينها وبين غيرها من المبادىء التى يراد تحديد علاقتها بها من خلال الأصالة والاختلاف والتنافر أو الاتحاد والتوافق .

فكلما جمعت بينهما خصائص واحدة كلما اقتربا . وكلما تباعدت بينهما الخصائص والأصول كلما ابتعدا حتى يصلا الى درجة التنافر والرفض .

وكلما تنافرت المبادىء أى كانت مع المبادىء الاسلامية كلما اتضح أنها ليست اسلامية ويكون موقف الاسلام منها هو الرفض وموقف معتقدها هو الكفر .

---

(١) الاسلام عقيدة وشريعة : الامام الأكبر الشيخ شلتوت ، ص ٨٠ .

وعليه يتحدد معنى موقف الشرع منهم . وهو حكم الشرع عليهم وعلى مبادئهم وحتى لا نتجنى على الاسلام ونضيف اليه ما ليس منه أو أن نظلم الباطنية أو نحيف عليهم اذا حكمنا عليهم دون غربلة لآرائهم وتمحيص لها لأن رسالتنا هى البحث عن الحقيقة وتجليتها للناس حتى لا ينسب الى الاسلام زورا ما ليس منه أو أن نبعد عنه ما هو منه .

ولهذا آثرت أن يكون القراء طرفا فى الحكم عليهم من خلال تنفيذهم لما أمر الله به وجاء به محمد ﷺ أو عدم تنفيذهم وعنادهم وكفرهم ؟

ومن خلال قرب مبادئهم أو بعدها عن روح الاسلام ؟

وليس من الغريب أن يقف الدين موقف الدفاع عن نفسه وعن مبادئه يقول فتحى عثمان أن معانى وقف الدين موقف الدفاع ان الله لا يتعامل مع خلقه بالجبر ولو على الخير وانه يقدس حريتهم ويقرر مسئوليتهم ...

ومن معانى وقوف الدين موقف الدفاع اعلان الثقة بالانسان وعقل الانسان أن الانسان ليس الها حكيما وليس نبيا معصوما وليس ملكا مطهرا ومع ذلك فان الانسان قد خاطبه الله بالبرهان وجاءت الرسالات والنبوات من أجله وأرسل الله الملائكة فى خدمته (٢) .

وهذا يدعونا لتحديد أهم المبادىء التى ترتكز عليها العقيدة الباطنية . ومطابقتها مع مبادىء الشريعة الاسلامية — لمعرفة أوجه الشبه أو التناقض . حتى لا نخطىء فى تقرير الحكم ولما كانت هذه المبادىء قد تم عرضها فى الكتاب فاننا نوجز القول عنها هاهنا بالقدر الذى يتيح لنا تحديد السمات الأساسية لها من غير تطويل :

أولا : تتستر الباطنية فى الانتساب الى آل البيت وتدعى أن الامامة اختصهم الله بها دون غيرهم من البشر وقد ثبت كذبهم فى هذا الادعاء .

ثانيا : نظرية الامامة :

١ — يدعون وجوبها على الله . ولو وجبت عليه تعالى لفعلها وأمر بها فى نص صريح لا يحتاج الى تأويل كالصلاة والصوم مثلا .

---

(٢) الدين فى موقف الدفاع : فتحى عثمان ، ص ٢٤ ، ٢٥ .

٢ ــ يدعون وجوب النص عليها وعصمة الامام ووجوب التعلم منه ؟

٣ ــ يدعون أنها فرض ودعامة من دعائم الاسلام بل وهى عندهم أفضل الدعائم كلها وبدون اعتقادها لا تقبل الاعمال .

قال المؤيد فى الدين هبة الله الشيرازى فى مجالسه « فلو أن رجلا عمل بفرائض الله تعالى وسننه التى جاء بها رسوله كلها ، ثم لم يقترن بعمله اعتقاد ولاية الرسول عليه الصلاة والسلام الآتى بها لم يغن عنه عمل فتيلا ولم يتبع غير أهل النار سبيلا » (٣) .

ويترتب على هذا الاعتقاد ما يأتى :

١ ــ أن الامامة ركن من أركان الدين من لم يعتقدها لا يقبل منه عمل ومات ميته جاهلية كما يقول النعمان .

٢ ــ رمى بالجهل والكفر لكل من لا يعتقد بفرضية الامامة ووجوبها على الله وقصرها فى أبناء الحسين واستمرارها فيهم دون غيرهم . وبهذه البساطة يخرجون جماهير المسلمين الغفيرة عن دائرة الاسلام فى مفهومهم .

٣ ــ ضرورة التعلم من الامام لانه معصوم ــ وكل العلوم والمعارف التى تؤخذ من غيره تعتبر عندهم باطلة .

ويترتب على هذا الاعتقاد ما يأتى :

١ ــ التشكيك فى أقوال الصحابة والطعن فى النقل عنهم .

٢ ــ اتهام الصحابة بالخروج عن الدين لانكارهم هذه الفريضة وعدم العمل بها حقدا على الامام على رضى الله عنه .

وهدفهم من هذا كما حدده الغزالى هو :

١ ــ كسر شوكة الصحابة والسلف فى نفوس المسلمين ليصلوا بذلك الى :

٢ ــ صرف عقول الناس عما نقله السلف والصحابة من الأحاديث

---

(٣) أدب مصر : ص ٢٢ .

الصـــحيحة ليســـهل بذلك استدراجهم لما يريدون من الانخلاع عن الدين وتشكيكهم فى المنقول اليهم عن طرصيق السلف ليشروا بحاجتهم الى هؤلاء الدعاه ليشرحوا لهم ما التبس أمره وعند تفهمه عليهم (٤) .

٣ ـ التشكيك فى القرآن والسنة لانهما وصلتا الينا عن طــريق الصحابة ولم تصلانا عن طريق أمامهم المعصوم ؟ .

ثالثا : التاويل :

زعموا أن الله اختص محمدا ﷺ بالتنزيل واختص عليا بالتأويل . وقد توارث الأئمة علم التأويل وهو سر لديهم لا يعرفه أحد غيرهم ويترتب عليه ما يأتى :

١ ـ أن محمدا صلى الله ﷺ لم يؤمر باعلان التأويل لأنه سر يخص الامام ولا يخص النبى .

٢ ـ لما كان الأنبياء حملة التنزيل والأوصياء خزنة التأويل . كان الأنبياء مبلغين عن الأئمة وممهدين لهم الطريق .

٣ ـ الظاهر وهو التنزيل كالقشر والتأويل هو اللب .

٤ ـ ان المراد بالحقيقة هو التأويل .

٥ ـ التشكيك فى القرآن الكريم وصرف الناس عنه الى التأويلات الفاســدة .

ولما كان التأويل سر خاص بالأئمة ولا يجوز لأحد غيرهم معرفته ولا الاعلان عنه حتى الانبياء ، لزم أن يكون ما عليه جماهير المسلمين من التقيد بظاهر الكتاب والسنة هو التعبد بالشقشة والقشر فقط وهو غير مراد.

ويهدفون من وراء هذا كما يقول عنهم ابن تيمية الى :

١ ـ الطعن فى خيار الأمة وفيما عليه السلف وأهل السنة .

٢ ـ الطعن فى أصول الدين وقواعد الملة .

٣ ـ تحريف القرآن وادعاؤهم ان هناك باطنا امتازوا به واختصوا به عن سواهم (٥) .

---

(٤) الباطنية .

(٥) مجموع فتاوى : ابن تيمية ، ص ١٠٢ ج ٤ ص ٣٩٨ .

رابعا : يعطلون الذات ولا يسبغون عليها شيئا من الصفات بدعوى كمال التنزيه ويطلقون الأسماء الحسنى على العقل الأول ويصفونه بجميع الصفات .

خامسا : ينكرون القيامة والميعاد ويحولونها الى رموز تدل على القائم منهم مما دعاهم الى التعسف فى تأويل الآيات التى وردت بشأنها وتحريفها بدعوى أن المراد بها هو قيام القائم منهم فعندهم على رأس كل دور يقوم قائم القيامة .

١ — وقائم القيامة أى الامام : هو الذى يقوم بوضع الموازين وحساب الخلق وتقدير الجزاء وقتل الاضداد وهم الأعداء الذين لم يدخلوا الدعـوة .

٢ — اباحة قتل المسلمين الذين لا يدينون بدعوتهم بحجة قيام القائم ووجوب قتل الأعداء وأعدائهم هم المتمسكون بظاهر القرآن الكريم .

٣ — اسقاط التكاليف عن اتباعهم وراحتهم من عناء التكاليف . واباحة الملذات والشهوات لهم فهم فى الجنة التى هى الدعوة .

٤ — الجنة هى الدعوة فليست هناك جنة سوى الدعوة وليست هناك نار وعذاب سوى ماعليه أصحاب التكاليف من التعب والنصب . ويترتب على هـذا :

(أ) انه ليس هناك قيامة بالمفهوم الشائع لدى جماهير المسلمين ولكنه رمز لقيام صاحب القيامة وهو رأس كل دور ومختتمه منهم .

(ب) ليس هناك ميعاد بدليل أن أرواح الأئمة تصعد الى العالم العلوى وتستقر فيه وهى جنتهم . أما المخالفون فان الأدوار التى تتبذل عليهم ويقومون بها وما هم فيه من التكاليف هو النار بالنسبة لهم والعذاب .

فأدوارهم تتكور وتدور الى ما لا نهاية وكلما انتقل منهم امام صعد الى العالم العلوى . وهم بهذا يصطدمون مع النصوص الشرعية الصريحة ويصدمون عقيدة الجماهير الغفيرة من المسلمين ويتهمونهم بالكفر والالحاد والخروج عن الدين .

وكما تأولوا ألفاظ القرآن والسنة . على وجه يعطل النصوص ويدعوا الى الانسلاخ من الدين تأولوا العبادات على وجه يخرجها عن كونها أفعالا أو أعمالا الخ . الى رموز تعبر عن صلتهم بالامام ولهـذا نادوا باسقاطها والعمل على تركها .

فالصلاة . عندهم هى صلة الامام .

والصوم : عدم افشاء سر الامام .

والحج . زيارة الامـام .

الشهادة : ليست عندهم من دعائم الاسلام .

والزكاة : ما يدفع للامام .

والطهارة : لا تكون بالماء وانما بالعلم .

٥ ـ الاباحـة :

(أ) الخمر : حلال كماء السماء يقول شاعرهم .

وما الخمر الا كماء السماء   تقدسـت من مذهب

(ب) الزنا واللواط حلال حتى ان ابن أبى زكريا الطامى سن لأتباعه اللواط .

(جـ) اباحة نكاح البنات والأخوات .

(د) الاجتماع فى قصر الامام واطفاء الشموع والسرج ويتناهبون الحريم فيما بينهم ويعتبرونها حلالا كالصيد .

متأولين فى هذا ان المراد بالجماع هو :

اجتماع المستفيد مع من يفيده العلم والحكمة وسماعه ذلك منه فتلك المجامعة الباطنة ومثل لسان المتكلم فيها مثل الذكر ومثل الأذن مثل الفرج ومثل الماء الدافق مثل العلم الذى يخرج من اللسان الى الأذنين .

ومن خلال هذا العرض الموجز لأهم مبادىء الباطنية اعتقد أنه قد وضحت الصورة وتعرت الباطنية من قناعها وظهرت حقيقة دعوتها الخبيثة وأهدافها الهدامة .

ومخازى الباطنية ومبتدعاتهم لا تقف عند حد وفضائحهم أكثر من أن تحصى أو تعد وما أوردناه هنا هو أهم المبادىء التى تختلف كل الاختلاف مع الاسلام وتتنافر مع مبادئه وأسسه .

وقد آثرنا ذكرها هنا وبهذا الايجاز حتى تكون لدى القارىء صورة كاملة عن مخازيهم وفضائحهم خاصة ونحن على ابواب اصدار حكم الشرع عليهم وحتى لا يكون هناك انفصالا فى ذهن القارىء الكريم بين مبادئهم وما سوف نقرره من الحكم عليهم .

وأعتقد أن القارىء — وقد وضحت صورتهم أمامه — وقد توصل الى الحكم بنفسه ولم يبق عذر لمؤيد أو حجة لمعاند فان ما أوردناه من ادلة فى الأبواب السابقة وما صرحت به الباطنية وكشفت عنه بنفسها غنى عن الحكم ناطق بالنتيجة . وهى الخروج عن دائرة الاسلام والكفر الصريح بجميع الأديان .

ولهذا آثرت عدم الرد التفصيلى على ما أوردته من مبادئهم هنا لما سبق من الرد عليها تفصيلا فى الأبواب السابقة من الكتاب .

والذى يعنينا هنا هو ابراز أهم مبادئهم وتشخيصها ، وقد قمنا بهذا تمهيدا لتقرير الحكم والرد عليهم .

وحتى تكتمل الصورة ونصل الى نقطة الحسم والقول الفصل وتقرير حكم الشرع ثم حكم الامانة العلمية فى البحث وذلك دون مقدمات طويلة قد تفقد الموضوع حيويته .

رأيت قبل أن أسجل حكم الشرع ورد علماء الاسلام عليهم ... أن أقدم أقوى دليل وأعظم مستند وأدق برهان على كذب الباطنية وخروجهم عن دائرة الاسلام بشهادة أبرز أئمتهم عليهم وهى شهادة جعفر الصادق . والذى ينسبون اليه أغلب أقوالهم .

وبتسجيل شهادة جعفر الصادق عليهم انما نسجل عليهم بعدهم عن الاسلام وبراءة جعفر الصادق منهم وادانتهم والحكم بالاعدام عليهم على مبادئهم . وذلك من رجل من أبرز أئمتهم قبل الحكم عليهم من جانبنا .

ونحن نرتضى بهذه الشهادة ونقر هذا الحكم . وهذا ما سنوضحه فى الفصل التالى .

الفَصْلُ الثّانِي

حـــكم أئمة الباطنية عليهم

يقول جعفر الصادق الذى ينسبون اليه معظم أقوالهم ويلفقون اليه الكثير من مبتدعاتهم زورا على الرجل وتزويرا لاقواله وبهتانا على الله وافتراءا عليه بتحريف آياته ثم نسبة هذا التحريف الى الصادق والصادق من أقوالهم ومنهم برئ .

ان « العيص » بن المختار دخل عليه فقال . جعلت فداك ما هذا الاختلاف الذى بين شيعتك ؟ فقال أى اختلاف يا عيص بينهم قال ربما أجلس فى حلقتهم بالكوفة فأكاد أن أشك لاختلافهم وحديثهم فارجـــع الى « المفضل » فأجد عنده ما أريد فأسكن اليه فقال أبو عبد الله آجل هو كما ذكرت « يا عيص » ان الناس أغروا بالكذب علينا حتى كأن الله عز وجل افترضه عليهم لا يريد منهم غيره وانى لأحدث أحدهم الحديث فلا يخرج من عندى حتى يتأوله على غير تأويله وذلك انهم لا يطلبون دينـــا وأنتم تطلبون دينا وانما يحب كل واحد منهم أن يكون رأسا .. أى عيص ليس من عبد رفع رأسه الا وضعه الله وما من عبد وضع نفسه الا رفعه الله وشرفه (١) .

ومن هذا الحوار مع الصادق يتضح الآتى :

١ ــ ان شيعتهم كانوا يتأولون أحاديث الصـــادق على غير وجهها الصحيح وينقلون ذلك للناس مما يشكك بعضهم فى بعض وفى صـــحة هذه الروايات .

٢ ــ يؤكد الصادق غريزة الكذب فى كثير ممن حوله . ومن يدعون أنهم شيعته وكأن الكذب مفترض عليهم من الله .

---

(١) دعائم الاسلام : القاضى النعمان ، ص ٥٠ ، ٥١ .

٣ — الذين يغرمون بالكذب على الأئمة ليسوا طالبى الدين ولكنهم طالبوا الدنيا كما يقول الصادق وهم الذين يحبون أن يكونوا رؤساء .

وهذه الحقائق التى كشف عنها الصادق تبعث على الشك فى أقوال الباطنية وتكشف عن الآتى :

١ — انه فى زمن الصادق كانت هناك موجه من الكذب والافتراء على الأئمة ومحاولة الانتساب اليهم طلبا للرئاسة .

٢ — حارب الصادق هذا الانحراف بين من يدعون أنهم شيعة حتى أنه تبرأ من أبى الخطاب كما أسلفنا وكان من أجل دعاته .

وهذا بدوره يدعونا الى التساؤل اذا كان هذا حال الشيعة فى حياة الصادق من الانحراف والتأويل والكذب حتى على الصادق نفسه ورغم دماعه ومحاربته لهم ظهر انحرافهم وكذبهم عليه فمن الذى يضمن لنا عدم الكذب وعدم نسبة التأويلات الباطلة اليه بعد وفاته ؟

بل ومن الذى يضمن لنا سلامة هذه التأويلات خاصة وقد اختفى الأئمة فى غياهب الستر واختلطت الأمور ؟

وعلى فرض أن الشيعة لم تنحرف كلها وا نه كان هناك أئمة وكان هناك مخلصون . وقد ثبت كذب بعضهم وتجنيهم على الصادق فى حياته وقد شهد الصادق عليهم بهذا ؟ فمن الذى يرجح ويغربل لنا هذه الأفكار السائدة عندهم ويعزل لنا الصواب من الخطأ ؟ والكل يدعى أنه منتسب ؟ وفرق الشيعة فضلا عن اتهامنا لهم بالكذب هم يتهمون بعضهم بالكذب ؟

وليس معنا اليوم الصادق ليفرز لنا أقوالهم ويحدد الحكم عليهم ؟

وعلى فرض أن بعض أقوالهم صادرة عن الأئمة أليست هذه الاقوال مزيجا من أقوال الأئمة وأقوال الكذابين الذين أشار اليهم الصادق واذا كان ذلك كذلك الا يدعو كل هذا الى الشك فى اقوالهم ؟ وهل هى من أقوال الأئمة ام من اقوال غيرهم ؟

وهل هذه التأويلات وتلك الرموز من اقوال الصادقين ؟ ام من اقوال الكذابين الذين أغرموا بالكذب على الأئمة وانتسبوا اليهم طلبا للرئاسة ؟

وان كان الصادق ليس معنا اليوم الا أنه ترك لنا زخيرة من الأقوال تصلح دستورا للتفريق بين شيعتة وبين الكذابين وحدد الاسلوب الذى ينبغى أن تسير عليه الشيعة فى التمسك بكتاب الله من غير تحريف أو تأويل يقول الصادق .

أن سديرا الصيرفى سأله فقال له جعلت فداك أن شيعتكم اختلفت فيكم فأكثرت حتى قال بعضهم ان الامام ينكث فى اذنه وقال آخرون يوحى اليه وقال آخرون يقذف فى قلبه وقال آخرون يرى فى منامه وقال آخرون انما يغنى بكتب آباته . فباى قولهم جعلت فداك . فقال لاتاخذ بشىء من قولهم ياسدير نحن حجة الله وامناوءه على خلقه حلالنا من كتاب الله وحرامنا منه (٢) ومن هذا الحديث نقترب من غرض الصادق وعلى غرارب يمكننا آبائه تحديد بعض معالم شيعته .

١ — فشيعتة ليسو الكذابين الذين يتأولون الكلام على غير معناه كما فى الحديث الاول .

٢ — الائمة لايوحى اليهم بهذه الصور وانما احكامهم التى يأخذونها من كتاب الله ولا يجوز لهم الخروج عنه .

٣ — حلالهم وحرامهم من كتاب الله وليس مما يدعونه زورا انه من تأويلائهم السرية .

وبهذه الصراحة وهذا الوضوح يضع الصادق الحد الفاصل بين شيعتة الذين يتمسكون بكتاب الله ولا يخرجون عليه وبين الكذابين الذين يتركون كتاب الله ويهملونة ويدعون ان لديهم ما يغنيهم من التأويلات وهم الباطنية الذين ظهرت بوادر كفرهم وخروجهم على الامام الصادق فلعنهم وتبرأ منهم وحذر منهم وصرح بهذه الأقوال لتكون شهادة قاطعة عليهم بالكذب والافتراء والخروج عن الدين وبمطابقة أقوال الصادق وما تدعيه الباطنية من أقوال يتضح أن الباطنية هم أضل الفرق وهم الذين عناهم الصادق وشهد عليهم ونعتهم بالكذب للآتى :

---

(٢) دعائم الاسلام : النعمان ، ص ٥٩

١ ــ الباطنية لا تخضع فى معتقداتها الى نصوص القرآن وانما الى ما يدعونة منَ تأويلات فاسدة فحلالهم وحرامهم ليس من كتاب الله وانما مما تملية عليهم اهواءهم .

٢ ــ لا يهمهم الدين بقدر ما تهمهم الرئاســة ولقد تســتروا فى الانتماء الى آل البيت ، وأعلنوا الحرب على الاســلام والمسلمين ، وعطلوا الشرائع . حتى توصلوا الى اقامة دولة الفاطميين .

٣ ــ الباطنية يدعون أنهم يوحى اليهم وانَ كانو لا يرون الملك الا انهم يسمعونه (٣) وهذا ما يخالف مخالفة ظاهرة شيعة جعفر ويخالف الاسلام والمسلمين .

والذى اخلص اليه من هذا ان الذين عناهم الصادق ووصفهم بالكذب هم الباطنية والذى حذر منه هى تأويلاتهم وأقوالهم الفاسدة بل واخيرا حسم الموقف ووصفهم بالشرك والخروج عن الاسلام .

ولتأكيد هذه الرواية نسوق رواية أخرى عن جعفر الصادق أيضا .

عن جعفر بن محمد أنه كتب الى بعض اوليائة من الدعاه وقد كتب اليه بحال قوم قبله ممن انتحل الدعوة وتعدو الحدود واستحلــوا المحارمَ واطرحواْ الظاهر . فكتب اليه ابو عبد الله جعفر بن محمد بعد أنَ وصف حال القوم ... (فقال له) ذكــرت أنه بلغك انهم يزعمون ان الصلاة والزكاة وصوم شهر رمضان والحج والعمرة والمسجد الحرام والبيت الحرام والمشاعر العظام والشهر الحرام انما هو رجل .. والاغتسال من الجنابة رجل وكل فريضة فرضها الله تعالى على عباده فهى رجل وانهم ذكروا أنه من عرف ذلك الرجل فقد اكتفى بعلمه عن ذلك من غير عمل وقد صلى وادى الزكاة وصام وحج واعتمر واغتسل من الجنابة وتطهر وعظم حرمات الله والشهر الحرامَ والمسجد الحرام ــ وانهم زعموا أنَ من عرف ذلك الرجل وثبت فى قلبه جاز له أن يتهاون وليس عليه أن يجهد نفسه وان من عرف ذلك الرجل فقد قبلت منه هذه الحدود لوقتها وان هو

---

(٣) سبق الكلام عليه فى باب الرابع فى الفرق بين النبى والامام .

لم يعملها وانه بلغك انهم يزعمون ان الفواحش التى نهى الله عز وجل عنها من الخمر والميسر والزنا والميتة والدم ولحم الخنزير أشخاص وذكروا أن الله عز وجل حرم من نكاح الأمهات والبنات والأخوات والعمات والخالات ما حرم على المؤمنين من النساء انما عنى بذلك نكاح نساء النبى ﷺ وما سوى ذلك مباح وبلغك انهم يترادفون نكاح المراة الواحدة ويتشاهدون بعضهم لبعض بالزور ويزعمون ان لهذا ظاهرا وباطنا وان الباطن هو الذى يطالبون به .

وبه أمروا بهذا الصفة التى كتبت تسألنى عنها (فمن يفعل هذا الفعل أو يأمر به) فهو عندى مشرك بالله بين الشرح فلا يسمح أحدا أن يشك فيه ألم يسمع هؤلاء قوله عز وجل « **قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن** » (٤) وقوله جل ثناؤه « وذروا ظاهر الاثم وباطنه » (٥) فظاهر الحرام وباطنه حرام ، وظاهر الحلال وباطنه حلال كله . وانما جعل الظاهر دليلا على الباطن ، والباطن دليلا على الظاهر يؤكد بعضه بعضا ويشده ويقويه ويؤيده فما كان مذموما فى الظاهر ، فباطنه مذموما ، وما كان ممدوحا فى الظاهر فباطنه ممدوح(٦) .

وهناك رواية أخرى تكشف جانب هام من عقيدتهم .

عن أبى جعفر بن محمد أن رجلا من أصحابه ذكر له عن بعض فرق من شيعته استحل المحارم وأنهم يقولون انما الدين المعرفة ، فاذا عرفت الامام فاعمل ما شئت . فقال أبو عبد الله جعفر بن محمد . انا لله وانا اليه راجعون تأمل الكفرة ما لا يعلمون انما قيل اعرف الامام واعمل ما شئت من الطاعة فانها معتبرة له منك (٧) .

ومما يدعم هذه الروايات ويجعلها حجة لا ترد امام الباطنية ان الذى

---

(٤) سورة الأعراف : آية ٣٣ .
(٥) سورة الأنعام : آية ١٢٠ .
(٦) دعائم الاسلام : النعمان ، ص ٥١ ، ٥٢ .
(٧) دعائم الاسلام : النعمان ، ص ٥٤ ج ١ .

نقلها الينا عن جعفر الصادق هو القاضى النعمان قاضى قضاة الدولة الفاطمية وأبرز دعاة الباطنية ... وهى مسجلة عليهم فى كتبهم ..

وتلك سنة الحياة اذا لانعدم أن نجد فى أكوام الأتربة بعض قطع الماس والذهب التى ربما تكون قد سقطت من أصحابها دون قصد منهم .

وهى أيضا عادة اللصوص الذين يسطون على المنازل والمتاجر اذا لانعدم أن تجد من خلفهم بعض الأشياء التى قد تسقط منهم دون وعى الا أنها تكشف عن جريمتهم وسواء أكان النعمان ذكر هذه الأشياء بقصد التمويه لأن التمويه وهو اظهار خلاف ما يعتقده وتلك قاعدة دينية عندهم كما وأن التمويه كان أحد أسلحتهم الخطيرة فى بدء الدعوة وهذا لا يشكك فى صدق هـــذه الرواية عن جعفر لانها تمثل واقعة وحرصـــه عـــلى الاسلام . أم بغير قصد . فقد شاء الله للحق أن يظهر بارداتهم وبغير ارادتهم وأن يشهدوا بأنفسهم على أنفسهم بالكذب .

ليظهر الحق ويصدق وعد الحق وهو الصادق الذى لا مرية فيه (انا نزلنا الذكر وانا له لحافظون) (٨) .

والذى يصح عندى بعد صريح قول الصادق هذا أن الصادق برىء مما تنسبه الباطنية اليه وبرىء مما تروجه الباطنية من مبتدعات باسمه كما وأن الباطنية ان صح أن للصادق شيعة ليسوا من شيعته وانما هم دخلاء كذابون على الصادق لما يأتى :

١ ــ ان شيعته ليسوا الذين يبيحون المحرمات ويسقطون التكاليف الشرعية ويتأولونها على وجه يبطلها .

٢ ــ ان شيعته لا يجوز لهم أن يترادفوا المرأة الواحدة بالزنا .

٣ ــ ليس من شيعته من يقول من عرف الامام فقد صح له أن يفعل كل شىء وسقط عنه التكليف بل هؤلاء فى عرف الصادق كافرون .

٤ ــ ان الكثير ممن يدعون أنهم من شيعته حرفو أقواله وتأولوها

---

(٨) سورة الحجر : آية ٩ .

على الكذب وخرجوا عليه . ولهذا فقد كانت شهادة الصادق حاسمة في الرد على هؤلاء الباطنية الذين تبرأ منهم في حياته ووصفهم بالشرك والخروج عن الاسلام والكفر الصريح في تأويلاتهم وأقوالهم الفاسدة وكما تبرأ منهم الصادق نتبرأ منهم ليظهر للمخدوعين فيهم أنهم بنية خبيثة لا علاقة لهم بالاسلام ولا علاقة لهم بالصادق وتلك أقوى شهادة عليهم من امام من أبرز أئمتهم . فهم كما قال تعالى (كشجرة خبيثه اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار) (٩) .

وليست هذه هي آخر شهادة ضدهم من أئمتهم ومن دعاتهم فهناك داعية من أكبر دعاتهم قد حذا حذو الصادق في رد مفترياتهم وكشف عن صريح كفرهم وبطلان مزاعمهم وهو حميد الدين الكرماني حينما يقول :

ان أعظم الفرق ضلالا فرق الغلاة [illegible] وأضا[illegible] غيرها فانسلخت عن جملة أهل الدين والديانة . ويقول المؤيد في الدين : استعيذ بالله من قوم يقولون بأفواههم انهم شيعة وهم من طلائع الكفر والالحاد شر طليعة يستوطنون ركوب الاباحة ويميلون ميل الراحة ويحتجون بكون الصلاة اشارة الى حد من حدود الدين فاذا عرف سقطت الصلاة وان الزكاة اشارة الى مثله فاذا عرفت بطلت الزكاة وأن الصوم هو السكوت عن افشاء سرهم الى غير أهله فاذا سكتوا لم تبق بهم حاجة الى الصوم واحتمال كده وأن النهي عن شرب الخمر هو عن مولاه بعض الاضداد فاذا هم كفوا كان شربها حلالا سهل القياد ولا يزالون كذلك حتى يحلو من تكاليف الشريعة كل عقد ، ووردوا من مهاوى الردى في تحليل المحرمات شر مورد ، وهؤلاء أضر بالدين وبالمؤمنين على الأئمة ممن شهر سيفه ، وشرع رمحه الى أئمتهم بالبغضاء ولم يزل من مضى من أمير المؤمنين على والأئمة من ذريته الى امام الزمان براء الى الله تعالى ممن هذه سبيله سرا وجهرا ينشرون في صحف الخزي على من دان بدينهم (١٠) .

---

(٩) سورة ابراهيم : آية ٢٦ .

(١٠) أدب مصر ، ص ٣٥ .

هكذا شاء الله أن يرد على الباطنية ويكشف عن حقيقة دعوتهم الخبيثة دأعيان من أبرز دعاتهم ، سواء أكان ما صرح به الكرماني هنا بقصد التمويه أم من غير قصد .

فانه اعتراف صارخ منه بتكفير من يتمثل بهذه الأشياء ويدعيها ولما لم يكن هناك من يدعي هذه الأشياء غير الباطنية .

فقد ثبت كذبهم وظهر كفرهم وشهدوا بأنفسهم على أنفسهم بالكفر (وكفى الله المؤمنين القتال) (١١) .

---

(١١) سورة الأحزاب : آية ٢٥ .

الفصل الثالث

حـكم علماء الاسلام عليهم

ان تحديد موقف الخصم المعاند سهل وتقرير الحكم عليه أسـهل اما أن تحدد موقف من يراوغ ويدعى أنه ينتسب اليك والى دينك ثم يعمل تحت هذا الشعار الى قتلك وهدم دينك فهذا هو الصعب والذى يحتاج الى ترو وحساب وتقدير قبل اصدار القرار وقبل الحكم .

ولهذا نجد البغدادى يقول :

ان ضرر الباطنية على فرق الاسلام أعظم من ضرر اليهود والنصارى والمجوس عليهم بل أعظم من مضرة الدهرية وسائر أصناف الكفرة عليهم بل أعظم من مضرة الدجال الذى يظهر فى آخر الزمان لأن الذين يضلون عن الدين بدعوة الباطنية من وقت ظهور دعوتهم الى يومنا أكثر من الذين يضلون بالدجال فى وقت ظهوره . لأن فتنته الدجال لا تزيد على أربعين يوما وفضائح الباطنية أكثر من عدد الرمل والقطر (١) .

ثم يعدد مواطن الخطورة فى دعوتهم ويحددها فيقول :

١ — انهم تأولو أصول الدين على الشرك .

٢ — تأولو احكام الشريعة على وجوه تؤدى الى رفع الشريعة .

٣ — ارجعوا أحكام الشريعة الى مثل احكام المجوس ولذا :

(أ) اباحوا لاتباعهم نكاح البنات والأخوات واباحوا شرب الخمر وجميع الملذات (٢) .

---

(١) الفرق بين الفرق : البغدادى ، ص ٢٨٦ .

(٢) انظر الفرق بين الفرق : البغدادى ، ص ٢٨٦ .

(ب) اباحوا قتل المسلمين وتعطيل فريضة الحج . حتى وصف فعلهم ابن كثير بالحجاج بأنهم فعلو ما لم يقبله اليهود ولا النصارى (٣) .

ولذا اعتبر الرازى . ان الفساد النازل من هؤلاء على الدين الحنيف أكثر من الفساد النازل عليه من جميع الكفار (٤) ولهذا فهم عند الملطى روافض ملحدون (٥) .

ومذهبهم ظاهرة الرفض وباطنة الكفر المحض (٦) يظهرون التشيع وان كانو فى الباطن كفار منسلخين من كل مله (٧) .

والذى يصح عند عبد القاهر (البغدادى) أنهم دهرية زنادقة (٨) .

وعلى ضوء هذا يمكن تحديد أغراضهم كما ذكرها العلماء .

١ ــ الدعوة الى دين المجوس بالتأويلات التى يتأولون عليها القرآن والسنة (٩) .

٢ ــ ابطال الشريعة بأسرها .. استعمالهم اليهود فى الوزارة مما يسهل عليهم كشف الاسرار .

٣ ــ لا يؤمنون بشىء من الملل ولا يعترفون بالقيامة (١٠) .

٤ ــ الملك والاستيلاء والتسلط على أموال المسلمين وحريمهم .

٥ ــ الانتقام منهم (أى المسلمين) فيما اعتقدوه فيهم (١١) .

---

(٣) البداية والنهاية : ابن كثير ،
(٤) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين : الرازى ، ص ٧٦ .
(٥) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع : الملطى ، ص ٢٥ .
(٦) فضائح الباطنية : الغزالى ، ص ٢٠ .
(٧) منهاج السنة : ابن تيمية ، ص ١٢٥ ج ٢ .
(٨) الفرق بين الفرق : البغدادى ، ص ٢٤ .
(٩) الفرق بين الفرق : البغدادى ، ص ٢٩٣ .
(١٠) اعتقادات فرق المسلمين : الرازى ، ص ٧٦ .
(١١) فضائح الباطنية : الغزالى ، ص ٢٠ .

والذى تخلص اليه من هذا . ان علماء الاسلام قد قرروا أن الباطنية ليسوا فرقة اسلامية بل هم خارجون على الاسلام كفار زنادقة .

وباستجلاء نقطة أخرى غاية فى الأهمية تتضح حقيقة نظرتهم للاسلام وعلى ضوئها يمكن لنا حسم الموقف (وهذه النقطة بين الظاهر والباطن) اذ يبرر البعض أن الباطنية يقولون بالظاهر والباطن وأن من يعمل بالباطن دون الظاهر أو بالظاهر دون الباطن فلا يقبل عمله .

ويذهب لتأكيد هذا المعنى القاضى النعمان والدكتور محمد كامل حسين والدكتور النشار وعارف تامر (١٢) محاولة منهم لتبرير دعوة الباطنية الى الباطن وهم متفقون فى هذا وأن اختلفت بينهم البواعث فالدكتور محمد كامل حسين والدكتور النشار يقولون هذا بدعوى التقريب بين وجهات النظر بين الباطنية وأهل السنة ولكن الملاحظة المبدئية على هذا الحكم وعلى قولهم ان من يعمل بالظاهر دون الباطن لا يقبل عمله تخرج أهل السنة وتبعدهم عن دائرة الاقتراب منهم فأهل السنة لا يعرفون الباطن ولا يعملون به ؟

كما ان الباطنية لا يعملون ولا يعترفون بظاهر ما عليه أهل السنة : ولتحقيق الموقف لنا أن نتساءل حتى ينجلى الموقف ويرتفع اللبس — هل الظاهر الذى يقصدونه هو عليه أهل السنة أم لا ؟

وباستجلاء بعض الحقائق التى يعترفون بها يتضح الموقف .

١ — ان الظاهر المراد عندهم هو ما يؤخذ من الأئمة كالباطن فهو ظاهر ما عليه الأئمة .

٢ — كل ما يؤخذ عن غير الأئمة لا يعتبر علما بالحقيقة وتسميته علما مجازا .

---

(١٢) فى مواضع مختلفة من كتبهم مثل دعائم الاسلام وأدب مصر الفاطمية ونشأة التفكير فى الفلسفة الاسلامية ومقدمة أساس التأويل .

٣ — يرفضـــون ما أخذ عن الأئمة الشـــافعى ومالك وأبو حنيفة وغيرهم . ويعتبرونهم علماء الضلال .

٤ — يتشككون فيما ينقله الصحابة وينسبون اليهم الخطأ .

٥ — يرفضون العلم الحادث بالاجتهاد والقياس والرأى ويعتبرونه ضـــلال .

٦ — ويصفون علماء أهل السنة بالعامة وان آراءهم وتفسيراتهم لا تمثل الحقيقة فى شىء .

ومن هذا يتضح أن مرادهم بالظاهر ليس هو ما عليه أهل الســـنة فهذا عندهم مرفوض لا يمثل الحقيقة وهو كالقشر بالنسبة للب أما الظاهر عندهم فهو ما عليه الأئمة وما يؤخذ عنهم ... وسواء أكان الظاهر عندهم هو ما عليه أهل السنة أو ما يؤخذ من الأئمة فان الظاهر عموما عندهم لا يمثل الحقيقة وهو غير مراد بدليل .

١ — أن الظاهر عندهم كالمشيمة بالنسبة للمولود ، ويجب طرحها ودفنها — لأنها مقززة بمجرد خروج المولود (١٣) .

٢ — يمثلون الظاهر بالنعلين اذ يجب خلعهما وطرحهما (١٤) .

٣ — عندقيام القائم يسقط الظاهر والعمل به (١٥) .

وهذا فضلا عن أن أهل السنة لا تقر لهم بهذا ولا تقول به — فان هذا التصور يباعد كثيرا من التقارب بينهم وبين أهل السنة لسببين :

الأول : على فرض اعترافهم بالظاهر والباطن وضرورة العمل بهما . فان أهل السنة لا يعملون بباطنهم ولا يعترفون به .

الثانى : لا يعتقد أهل السنة بمعتقدهم بضرورة سقوط الظـــاهر عند القائم — بل التكاليف عند أهل السنة لا تسقط عن الانسان حتى خروج الروح .

---

(١٣) تأويل الدعائم : النعمان .
(١٤) تأويل الدعائم : النعمان .
(١٥) تأويل الدعائم : النعمان .

ومن هنا يمكننا أن نقول أنهم بنظريتهم هـذه خارجون عن دائرة الاسلام كما جاء به محمد ﷺ وهم معنا معترفون بذلك — من خلال تطبيقاتهم العملية ونظرياتهم الفلسفية ومعتقدهم أنهم أهل التأويل والباطن الذى اختص به على رضى الله عنه والأئمة من بعده دون غيرهم من البشر .

فهم يدينون بعقيدة لم يأتى بها محمد ﷺ ولم يأمر بتبليغها عـلى زعمهم وانما يدينون بأوهامهم وأكاذيبهم التى كشف عنها الصادق وأنكرها عليهم .

وعليه فما يدينون به غير ما جاء به محمد ﷺ ؟

كما وأن هناك الزام آخر سجلته عليهم من خلال أقوالهم وهو ركن أساسى فى دعوتهم والزمهم به الآن ليكون آخر سهم يوجه الى نحورهم وهو . لما كان القائم منهم هو الذى سيحاسب الناس والجنة هى نعيم الدنيا وملزاتها وليست هناك جنة سوى ما تبيحه الدعوة الباطنية لاتباعها من شهوات الدنيا .

لأمكن لكثير من البشر والهروب من العذاب ولما كان للوعد والوعيد السماوى معنى لما يأتى :

١ — لما كان الامام السابع لكل دور هو الذى سيحاسب النـاس ويضـع الموازين فان كل من يرتكب الفواحش فى الفترة الطويلة بين الأئمة ثم يدركه الموت فقد نجا من حساب الامام وفلت من يده ولا عقاب عليه فيما اقترف من مخالفات .

٢ — كما يمكن لبعض الناس وخاصـة شرارهم أن يقترفوا كل المحرمات حتى مع وجود الامام السابع الذى سيحاسبهم ثم يفلتوا من عقابه بالهروب والاختفاء فى بلد بعيد عنه حتى لا يتمكن من قتلهم أو على الأقل يظهرون تبعيتهم له فلا يقتلهم .

واذا صح قولكم هذا أن الجنة هى نعيم الدنيا ولا جنة الا الدخول فى الدعوة لكان أول المتمتعين بالجنة هم شرار الناس وعصاتهم حتى وأن كانوا خارج الدعوة ، أكثر من تمتعكم أنتم بها وأنتم داخل الدعوة لأنكم تتمتعون تحت تهديد الامام وباذنه ومقابل ما تدفعونه لامامكم من الدراهم

اما أشرار الناس فانهم يتمتعون من غير تهديد بل ويأخذون على عصاياتهم من الناس الدراهم وعليه فأشرار الناس والشياطين والمنحرفين أوجدوا لأنفسهم جنة أخرى أفضل من جنتكم اباحوا لانفسهم فيها من الشهوات ما تزعمون زورا ان الأئمة قد أباحوه لكم بأمر السماء .

واذ كانت النار هى التكاليف الشرعية كما تدعون فهل حينما يأتى امامكم ليعذب الناس يأمرهم بأداء التكاليف ليثقل عليهم وطـــأة العـــذاب أم لا ؟

فان كان يأمرهم بأداء التكاليف فهو لم يفعل جديدا معهم فهم يؤدون التكاليف طوال حياتهم ولا يشعرون فى أدائها بالتعذيب .

وان كان لا يؤمرهم بأداء التكاليف . فهى اذن ليست أسلوبا من أساليب التعذيب وأنتم لا تقولون بهذا بل تدعون أنها غير مراده وتأمرون باسقاطها وتبيحون جميع المحرمات .

وعليه فان الناس جميعا بهذا المفهوم سيدخلون الجنة سواءا رضيتم أم لم ترضوا ولا فرق بين المخالفين لكم أو المؤيدين وأنتم لا تقولون بهذا بل وتقصرون الجنة عليكم .

وهنا يظهر تناقضكم وكذب ادعاءاتكم . اذ كيف تقصرون الجنة على أنفسكم وهى فى مقدور كل البشر ولو كانت دعوتكم صادقة وامامكم هو المتحكم فى الكون لامكنه السيطرة أو صنع جنة لا يمكن لأحد غير أتباعه أن يصل اليها أو يحاكيها ... ومن هنا ينفرد ويتمايز فعل الله الخالق القادر عن فعل العبد القاصر العاجز لأن القادر الصادق هو الذى ينفرد بالفعل الذى لا يمكن لأحد من البشر أن يحاكيه أو يماثله .

وهنا تكمن سر العظمة والقدرة الالهية ويظهر التمايز والاعجاز بين دعوة الحق وتهافت مزاعم الكذابين .

وأخيرا ان كنتم قد اقتنعتم ورضيتم لأنفسكم بمنزلة الشياطين وشرار الناس ورفضتم أن تسيروا مع ركب الايمان .

فاننا نرفض مزاعمكم ولا نقتنع ولا نختار الا ما اختارته لنا السماء وميزت به محمدا ﷺ ولا نتأسى الا به واما أنتم فتمتعوا بكفركم حتى يحكم الله بيننا وبينكم .

الفصل الرابع

نتائج البحث

١ ـ ثبت ان الحركة الباطنية حركة مجوسية مخططة تهدف لهدم الاسلام وتمزيق وحدة المسلمين وفق مخطط اجرامى قذر ، وقد تسلحت فيما تسلحت به من أسلحة لهدم الدين بسلاح الانتماء الى آل البيت لتموه على الناس حقيقة أهدافها ثم تنقض على الاسلام والمسلمين وهو سلاح خطير ذو حدين يعمل على التفجير والابادة من الداخل .

فاذا ما فشلوا فى استعمال حده الأول وهو تغير مبادىء الدين وصرف الناس عنه نجحوا فى استعمال حده الآخر وهو انقسام وحدة المسلمين واعلان الحرب فيما بينهم بدعوا المطالبة بارجاع حق آل البيت اليهم وهو الامامة . وهدفهم من وراء هذا ما يأتى :

(أ) تمزيق وحدة المسلمين وانقسامهم .

(ب) اعلان الحرب فيما بينهم وباحة قتل أهل السنة وقتل النفس التى حرم الله قتلها الا بالحق .

(جـ) تعطيل المناسك وابطال الحج باستعمال السيف لصد المسلمين عن بيت الله الحرام .

(د) التشكيك فى أخبار الصحابة ـ وما وصل الينا عن طريقهم . لاضعاف الثقة فيما نقل عنهم وبالتالى فى النصوص الاسلامية والاحكام .

(ز) انسلاخ الناس عن التكاليف الشرعية واباحة المحرمات والمبتدعات ونشر الفساد لقتل روح الدين فى نفوس الناس .

وهـــذا كله لا يهدف اليه ولا يعمل على تحقيقه الا كافر موغل فى الكفر .

٢ ــ ثبتت براءة آل البيت من كل ما نسب اليهم من أقوال وافعال وثبت كذب الباطنية فى دعوى انتسابهم الى آل البيت وظهر أنهم من أبناء المجوس الذين اجتمعوا فى سجن والى العراق وخططوا لهدم دين الاسلام كما ثبت أن الخلفاء الفاطميين الذين حكموا مصر من ذرية سعيد الذى كان يدعى انه المهدى وهو مجوسى من أبناء القداحين . وعليه فجميع الخلفاء الفاطميين أيضا من أبناء القداح ولا تربطهم بآل البيت أية رابطة وانمـــا تستروا فى النسب ليخفوا أغراضهم الخبيثة ضد الاسلام والمسلمين .

٣ ــ تأكد بالدليل أن الباطنية ليست فرقة اسلامية بل وكشـــفت عن حقيقة حزب سياسى خطير يعمل ضد الاسلام ركب موجة الدين متسترا واستعمل أخس الاسلحة وأخطر الأساليب لهدم الدين من خلال الاستيلاء على السلطة وبث الأفكار والآراء الهدامة التى تناقض الدين وتعمل على هدمه وانسلاخ الناس منه .

٤ ــ ظهر كذب الباطنية وفشلت كل الفشل فى الاتيان بدليل يثبت صدق ما ادعوه فى ان الامامة واجبة على الله وان لديهم النص على امامة على رضى الله عنه وأن الأئمة معصومين ولا يجوز تلقى العلم الا منهم . وظهر تهافت دعواهم وكذبها .

٥ ــ أنكرت الباطنية القيامة والميعاد وعارضة النص بدعوى أنها رمزا لقائم الزمان منهم وحرفت النصوص القرآنية ونصـــوص الســـنة المطهرة وكشفت عن صريح كفرها أكثر حينما زعمت ان الذى يضع الموازين ويقوم بحساب الناس ليس الله سبحانه وتعالى وانما هو امامهم وأسبغت عليه صفات الذات كلها والأسماء الحسنى وجردت الذات الالهية من جميع الصفات بدعوى كمال التنزيه .

٦ ــ ثبت بالبحث أن الباطنية لم يقولوا بتعدد الآلهة بل يؤمنوا بالاه واحد الا أنهم يجردونه من جميع الصفات والنعوت .

٧ — أنكرت الباطنية وجود جنة فى العالم الآخر بدعوى أن الجنة هى الدعوة ومن يدخل فى دعوتهم يباح له كل شىء وتسقط عنه الفرائض والتكاليف الشرعية . وان النار هى ما يعذب به أنفسهم المتمسكون بالفرائض والتكاليف وهى دعوة صريحة الى الكفر والخروج من الدين .

٨ — فشلت الباطنية كما ثبت كذبها فى اقامة الدليل على وجود تأويلات سرية أنزلها الله من السماء واختص بها على وبنيه وحرم من التحدث بها محمد ﷺ وثبت أن القرآن هو كتاب الاسلام الخالد الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وتكشفت خطة الباطنية الخبيثة التى كانت تهدف من وراء ترويج هذه التأويلات الفاسدة الى ما يأتى :

١ — تشكيك الناس فى القرآن .

٢ — اضعاف الثقة فى نقل الصحابة والتشكيك فى أقوالهم .

٣ — طرح العمل بالقرآن وتعطيل نصوصه .

٩ — الباطنية تبيح جميع المحرمات وتسقط عن أتباعها جميع التكاليف وتحث اتباعها على الزنا ونكاح البنات والأخوات .

١٠ — تعتمد الباطنية فى نشر مبادئها على التنظيمات السرية والدعاية المقنعة الخطيرة واحدث أسلوب ابتكرته الباطنية للدعاية هو الالتجاء الى دور النشر فى مصر حتى تروج كتبهم وتأخذ طريقها المقنع الى المجتمعات التبشيرية وتوزع عليهم من دور النشر المعربة .

وللأسف لم يتنبه لهذا الأسلوب أحد من دور النشر المصرية والأغرب من هذا اننى وجدت بمحض الصدفة كتاب دعائم الاسلام وتأويل الدعائم للقاضى النعمان كبير دعاة الباطنية ضمن قائمة كتب التفسير باحدى كليات الجامعة ... ونظرة واحدة على غلاف كتاب تأويل الدعائم تكشف عن حقيقة أسلوبهم فى الدعاية اذ يكتب محققه محمد حسن الأعظمى الداعية الباطنى الكبير تحقيق محمد حسن الأعظمى من علماء الأزهر وعميد كلية اللغة بالجامعة الشيعية بالهند .

وهذا العنوان كاف فى تقبل ورواج هذا الكتاب على ما به من دعوة للانحراف واعلان الحرب على أهل السنة وطرح الظاهر وهدم القــرآن فى المجتمعات التبشيرية خاصة وهو تحقيق عالم من علماء الأزهر وتأليف امام من أئمة الأزهر السابقين كما يدعون .

وهو يهدف من وراء هذا الى ترويج دعايتهم وبث أفكارهم المسمومة باسم الأزهر وعلماء الأزهر كما يهدف بطبع الكتاب فى مصر ان يؤكد حقيقة صدور هذا الكتاب وقبوله فى عاصمة الاسلام عاصمة الأزهر .

وعلاجا لهذا اقترح :

١ ـ أن يوجــه نــداء من الأزهــر الى وزارة الثقــافة ودور النشر حتى لا تسمح بهذه الكتب المسمومة بالخروج وهى تحمل اسم الأزهر ومن مصر عاصمة الأزهر .

٢ ـ ان تشكل لجنة فى مجمع البحوث الاسلامية لمراجعة ما يصدر من دور النشر ومعرفة ما تنطوى عليه وان تصدر نشرة تعريف بهــذه الكتب الهدامة .

ولا يفهم من هذا اننا نعارض الباطنية اذا نشرت فكرها فلها الحق فى أن تنشره فى أى مكان . ولكن الذى نعارض فيه ونرفضه أن ينشر باطلهم فى مصر ويروج تحت علم الأزهر وباسم الأزهر . والذى أراه بعد أن انتهينا من تسجيل هذه النتائج التى أفرزها البحث وحتى نستفيد مما حددته لنا من ثغرات لأن الهدف من ابراز النتائج من وجهة نظرى يكون أجدى وأنفع لو أمكننا استغلالها وتحويلها الى ايجابيات تخدم قضــيتنا وحتى تحقق أكبر قدر من الاستفادة بهذه النتائج يجب أن تغلق كل الثغرات التى تتسرب منها هــذه السلبيات وتحول كل امكاناتنا وقــدراتنا الى ايجابيات تسحق هذه السلبيات وتبيدها ولا تترك لها منفذا للتسرب أو السريان فى مجتمعنا . خاصة وأن الباطنية مازالوا يعيشون ويعملون وتتطلعاتهم لا تقف عند حد السيطرة على مجتمع دون مجتمع بل تمتد الى العالم كله .

ولهذا فاننى أضع امام الباحث والقارىء والمسئول أهم المظاهر والسلبيات التى يمكن لمبادىء الباطنية والمبادىء الهدامة الأخرى أن تنفذ منها الى تدمير مجتمعنا وذلك باضاءة نور أحمر خفيف أمام هذه السلبيات حتى لا تنزلق اليها او ينزلق اليها مجتمعنا وأهمها ما يأتى :

١ — ضرورة اليقظة والتنبه الى الفرق التى تستغل الدين لاغراض سياسية حتى لا يستغل الدين لتحقيق الاغراض السياسية التى من شأنها أن تكون على حساب الدين وباعثا على هدمه .. والتاريخ ملىء بمثل هذه المواقف المخزية ومن أبرز امثلة التلاعب بالسياسة على حساب الدين ما يفصله لنا الشيخ الغزالى عن المؤرخين فيقول أن حقد الخليفة العباسى (المهدى والد هارون الرشيد) على الملك الأموى الذى امتد شرقا وامتد غربا جعله ينسى الفوارق بينه وبين شارلمان (ملك فى غرب أوربا) ويذكر شيئا واحدا وهو ضرورة القضاء على الملك الاسلامى فى الأندلس واستعان على ذلك بالصليبيين .. ثم يعقب الغزالى على هذا بقوله :

ليست هذه سياسة يمليها دين ولكنها سياسة لا دين لها أملت بها أهواء الاستبداد فأعمت صاحبها عن طريق الرشاد (١) .

ويدعم هذا الاتجاه الاستاذ عبد المتعال الصعيدى فيقول :

وكان الواجب أن تبقى فرقا سياسة خالصة تقصر أمرها على هذا الاصلاح السياسى ولا تخلط فيه بين الدين والسياسة ولا سيما أن المسلمين كانوا قبل ظهور فرق على وفاق فى أمر دينهم ولم يظهر بينهم فساد دينى يقتضى ظهور فرق لاصلاحه ولو انهم اقتصروا على تلك الغاية السياسية لامكنهم أن يصلوا فيها الى رأى نافع ولم يتشعب بهم الخلاف الدينى الى خلافات لا تحصى ولا تعد ولم يوقعهم فى عداوات دينية كفر بعضهم فيها بعضا مع أن الخلاف بينهم كان فى أصله خلافا سياسيا ولا يقتضى تكفيرا ولا عداوة دينية (٢) .

---

(١) الاسلام والاستبداد السياسى : الشيخ الغزالى ، ص ١١٩ .

(٢) المجددون فى الاسلام : عبد المتعال الصعيدى ، ص ٧٦ ، ٧٧ .

٢ ــ عدم مجارات الشيعة عامة والباطنية خاصة والانزلاق معهم فى عقد مقارنات أو مفاوضات بين بعض الصحابة وبعضهم الآخر كما يحدث من بعض كتاب أهل السنة حينما يعقدون فصولا مطولة فى كتبهم يقارنون فيها بين أبى بكر وعلى مثلا فان من شأن هذه المقارنات أن تنزلق بصاحبها الى الافتعال والتلفيق واظهار بعض المثالب التى لا تغنى ولا تفيد الا الخصم الذى يهدف الى التشويه والتشكيك من ورائها وهم لا يفرقون بين صحابى وآخر الا من حيث اشعال فتيل الفرقة وبث سمومها فقط ولا تهمهم من وراء هذا قيمة دينية .

ولم يكن هدف الباطنية من التستر فى الانتساب لآل البيت والمطالبة بحقوقهم سوى سلاح لتمزيق وحدة الصحابة ووحدة المسلمين فقد وضح من خلال مبادئهم وما ترتكز عليه دعوتهم من أسس باطلة وما تشيعه من الاباحة والحتلل والتدبير ضد الاسلام انهم لا يعنيهم سوى هدم الاسلام . وهم لهذا لا يفرقون بين صاحبى وآخر فى الواقع حتى فى دعواهم احقية آل البيت والمطالبة بحقوقهم . وانما ادعاؤهم هذا ستارا يتسترون فيه للطعن فى الاسلام وشعارا يتباكون خلفه كما تباكى الأمويون تحت قميص عثمان رضى الله عنه تغطية لاطماعهم فى السلطة والملك .

وكما شاء القدر للعبة الأمويين أن تنطلى على الكثيرين ويصلوا عن طريق ذلك الى السلطة فقد استغل الباطنية أخس أساليب المكر والدهاء ورفعوا شعار الانتساب الى آل البيت وأخذوا يبالغون فى حق على وبنيه ويهاجمون بنية الصحابة . وانطلت حيلتهم على الكثيرين . وتصدى للرد عليهم الكثير من أهل السنة الا أنهم انزلقوا معهم الى تبادل التهم وابراز فضائل أبى بكر والتشهير بعلى .

وبدلا من الرد عليهم وتجريدهم وكشف حقيقة أهدافهم الخبيثة وتبرأة على وبنيه من أقوالهم واظهار هذه الحقيقة واستعمالها كسلاح لقطع أطماع الباطنية قبل رقابهم طاشت من بعضهم السهام ووصلت الى تجريح

على رضى الله عنه وبنيه وهم أبرياء مما ينسب اليهم وكان على رضى الله عنه حينما تطرق الحديث ايه مقصورا على الشيعة وكان أبو بكر وغيره من الصحابة مقصورون على أهل السنة ؟

وبهذه التفرقة المفتعلة وبتلك السهولة تحقق الباطنية أهدافها وتصل الى أغراضها من الباطنية لا يهمها على او غيره من الصحابة .

ولكن الشىء الوحيد الذى يهمها وتهدف اليه أن يتطرق الشك الى الصحابة والى أقوالهم وسواء أكان هذا منهم أو بالتبادل بينهم وبين أهل السـنة .

وللقارىء الكريم أن يتصور مدى خبث هذا الأسلوب وحقارته ومدى ما يتركه من أثر لو تصورنا وصول هذه الكتب المشحونة بالمطاعن والشكوك حول الصحابة خاصة الى المجتمعات التبشـيرية وماذا يكون موقفهم من الصحابة الذين نقلوا الى الناس جميعا أصول ديننا ومبادئه .. ألا يدعوهم كل هذا الى الشك فى الصحابة وبالتالى اى الشك فى مبادىء ديننا وهذا هو عين ما تهدف اليه الباطنية ؟

ولهذا أرى لزاما على كل من يتصدى لهذا الموضوع بالكتابة أو بالبحث أن يكون مسلما يعمل بروح الإسلام قبل كل شىء وان لا ينزلق الى ما يريده الخصم منه وان يركز هجومه عى الخصم ذاته وأن لا يتعرض لعلى رضى الله عنه الا بالخير لبراءته مما ينسبونه اليه .

٣ ــ ضرورة محاربة كل مظاهر الاباحة والبدع حتى لا تشوه صورة المجتمع الاســلامى وتترسب فيه مبادىء الباطنية . وســأعرض لبعض النماذج على سبيل التذكرة وفى ايجاز شديد حتى لا ينزلق اليها أحــد :

١ ــ تبيح الباطنية شرب الخمر ولا تحرمها ولكنها فى الوقت نفسه تتعاطاها فى الخفاء اما الآن وفى المجتمعات الاسلامية فانها تباع علنا وتفرد لها الحوانيت الجميلة ويتعطاها السكارى علنا .

٢ — ظلال الاباحية التى تظهر فى بعض الملاهى وتروج فى بعض البلاد الاسـلامية .

وتلبية لصوت الضمير واستجابة لدعوة الحق وتلبية لقول الرسول ﷺ . من رأى منكم منكرا فاليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان .

الخـــاتمة

وقبل أن نسدل الستار على أبشع صور الالحاد وتوارى فى الثرى مبادىء أحط العباد وأرباب الفساد .

أرى وقد كان الموضوع يتعلق بفرقة من فرق الشيعة أن أتناول فى ايجاز توضيح المراد بالشيعة ثم سبب نشأة الفرق فأقول :

اولا : المراد بالشـــيعة هم من شايعوا عليا بن أبى طالب والتفوا حوله . يقول محسن الأمين العاملى . أن لفظ الشيعة كانت تقال على من شايع عليا قبل موت النبى وبعده (١) .

ويذهب الى هذا أيضا محمد حسين الزين العاملى فيقول : ان أول اسم ظهر في الاسلام على عهد رسول الله ﷺ هو الشيعة وكان هـــذا هو لقب اربعة من الصحابة وهم أبو ذر وسلمان والمقداد وعمار .

والذى أميل اليه وارتضيه ان كلمة شيعة لم تظهر أيام الرســـول ﷺ وعلى فرض ورود هذه الكلمة فى حياة الرسول فانها لاتعنى بـــأى حال من الأحوال الاشارة الى هذه الفرقة التى تعاصرنا اليوم وهى بهذا التكوين والا كانت دعوة الى التخريب والتشرذم وهذا مانرفضه لعلمنا أن الرسول الله ﷺ يرفض مثل هذا الاتجاه وانقسام المسلمين الى فرق اذا كان يدعونا دائما الى التآخى فى الاسلام ولم يفرق بين فرد وفرد او بين ابيض وأسود الا بالتقوى والحرص على الاسلام فكل المسلمين فى ظل الاســـلام سواء والذى نخلص اليه من هـــذا ان كلمة شيعة تعنى من شايع عليا وبنوه سواءا بالالتفات حولهم فى حياتهم أو بعد مماتهم .

وهذا يدعونا الى البحث عن معرفة متى بدأ التشيع ؟

---

(١) انظر الشيعة فى التاريخ : محمد حسين الزين العاملى ، ص٢٥ ، ٢٦ .

وهنا تظهر وجهات نظر متعددة تحاول كل منها ان تجعل للتشيع بداية واسبابا وأهم هذه الأراء ما يأتى :

١ — **الرأى الأول** : يرجعون فيه بعض الباحثين بدء التشيع الى زمن الرسول صلوات الله وسلامه عليه . يقول محمد حسين المظفرى ، ان الدعوة الى التشيع ابتدأت من اليوم الذى هتف فيه المنقذ الاعظم محمد ﷺ معلنا (كلمة لا اله الا الله) .

مستدلا على ما يقول بأن الرسول صلوات الله وسلامه عليه حينما نزل عليه قوله تعالى « وانذر عشيرتك الأقربين » (٢) جمع بنى هاشم وأنذرهم ودعاهم الى اتباعه . فلم يجبه من بينهم الا على رضى الله عنه . فكانت الدعوة الى التشيع لأبى الحسن من صاحب الرسالة تمشى جنبا الى جنب مع الدعوة للشهادتين (٣) .

وهذا القول مردود لعدم توافقه وروح الاسلام ولأنه لا يعقل أن يدعو الرسول الكريم الى التحزب كما أسلفنا والا لكانت الدعوة الى التشيع تمشى جنبا الى جنب مع الشهادتين مأمور بها وهذا ما لم يقل به أحد .

٢ — **الرأى الثانى** : يرجع بعض الباحثين نشأة التشيع الى الأحداث التى جرت بعد انتقال الرسول الى الرفيق الأعلى وما دار فى ثقيفة بنى سعد فيمن يخلفه وهل هو من المهاجرين أم من الأنصار واذا كان المهاجرون احتجوا على الأنصار لقربهم من رسول الله فالهاشميين أقرب فرع فيهم الى رسول الله : يقول ابن قتيبة احتج المهاجرين على الأنصار بالقربى من رسول الله فبنوا هاشم أدنى الناس قرابة من رسول الله فلا ينبغى لسلطان محمد فى العرب أن يخرج من داره مادام فيهم القارىء لكتاب الله الفقيه فى دين الله العالم بسنن الرسول (٤) .

---

(٢) سورة الشعراء : آية ٢١٤ .
(٣) تاريخ الشيعة : المغذى ، ص ٩ .
(٤) انظر الامامة والسياسة : ص ٨ ، ١٠ جـ ١

ويذهب الى هذا أحمد أمين فيقول : بدأ التشيع من فرقة من الصحابة كانوا مخلصين فى حبهم لعلى يرونه أحق بالخلافة لصفات راوها فيه (٥).

٣ — **الرأى الثالث** : يرجع بعض الباحثين نشأة التشيع الى أواخر عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه حينما كثر الأخذ والرد والاعتراض على سياسة عثمان رضى الله عنه .

ويحصرها البعض فى دعوة ابن سبأ ومن هؤلاء الشيخ محمد أبو زهره اذ يقول : وكان الطاغوت الأكبر عبد الله بن سبأ الذى دعا الى ولاية على ووصليته والى رجعة النبى وانه فى ظل هذه الفتن نشأ المذهب الشيعى (٦)

٤ — **الراى الرابع** : يرجع بعض الباحثين نشأة التشيع الى واقعة التحكيم وخروج الخوارج وانقسام الصفوف .

والذى أميل وأقرره أن هذه الأسباب لم تكن هى الاسباب الرئيسية فى نشأة التشيع بل ولم تكن قد اختمرت بعد هذه العوامل والبواعث التى تنظم عقائد الشيعة وافكارهم كما هى الآن . وفى رأى أن هذه العوامل وما أفرزته من صور الالتفاف حول على رضى الله عنه وبينه ولم تكن بباعث عقائدى أى مذهبى بقدر ما كانت تبعثها وتثيرها مجرد العواطف الجارفة نحو آل البيت وقد انتهت هذه العـواطف بعد ان اسـتقل الحكم الى بنى امية .

وحتى هـذا التاريخ لم تتكون الشيعة كفرقة منظمة لها عقائدها وفكرها المستقل الأ أن هناك عاملا خطيراً الهب هذه العواطف وبعث هذه التراكمات التى تخلفت عن الأحداث السابقة وصهرتها فى قناة واحدة هى المطالبة بحقوق آل البيت والدفاع عن هذه الحقوق والذى أخرجها من حيز العواصف الى حيز التنفيذ والتخطيط هى مأساة كبربلاء تلك المأساة التى تعبر حجر الزاوية فى تحويل عواطف الشيعة وصهرها وتحويلها الى دعوة

---

(٥) ضحى الاسلام : أحمد امين ،ص ٢٠٩ جـ ٣
(٦) المذاهب السياسية : ابو زهرة ، ص ٤٦

قلت ركائز وخصائص ذلك أن الدماء الطاهرة التى روت رمال كربلاء صبغت حياة الكثيرين بالأسى والحزن كما صبغت رمال كربلاء بالدم .

ويذهب لتأكيد هذا العامل الكثير من الكتاب والمؤرخين يقول الدكتور حسن الخربوطلى كانت هناك نتائج دينية هامة تخلفت عن فاجعة كربلاء نحن لايمكننا لنفسر دعوة شيعة الكوفة للحسين ثم خذلانهم له الا بضعف العقيدة فى نفوسهم فى ذلك الوقت فهذه العقيدة لم تكن قد اختمرت فى نفوسهم ولا تمكنت من قلوبهم ولكن اختلف الحال بعد مقتل الحسين فقد كانت دماء الحسين ابعد اثرا من دماء على فى نمو الحركة الشيعة وازدياد انصارها بل ويمكننا أن نقول أن الحركة الشيعية بدأ ظهورها فى العاشر من المحرم وصبغت مبادىء الشيعة بالصبغة الدينية فاتجهت الشيعة بعد مقتل الحسين اتجاها دينيا بل غلب الجانب الدينى فى التشيع الجانب السياسى (٧) .

وقد ذهب الى هذا وأكده الدكتور النشار بقوله : وتكونت الشيعة حقا بعد مقتل الحسين رضى الله عنه فرقة دينية تدبر الأمر (٨) .

وفى رايى أن هذا هو التفسير العلمى لنشأة الشيعة لأن الأحداث التى سبقت هذا التاريخ لم تستطع أن تجمع الشيعة أو تنظم بينهم بقدر ما ألهبت شعورهم وجمعتهم ونظمت حركتهم مأساة كربلاء .

ثانيا : كيف نشأت الفرق والأسباب التى دعت الى هذا ؟

تنبأ رسول الله ﷺ بنشأة الفرق ونبه الى ذلك وحذر عن مغبته وأشار الى أن هذه الفرق جميعا فى النار الا واحدة وهى أهل السنة والجماعة .

أخبرنا القاضى أبو محمد عبد الله بن عمر المالكى قال : حدثنا أبى عن أبيه ، قال حدثنا الوليد ابن مسلم قال حدثنا الأوزاعى ، قال : حدثنا قتادة عن أنس ، عن النبى عليه الصلاة والسلام قال « ان بنى اسرائيل افترقت

---

(٧) تاريخ العراق فى ظل الأمويين : الخربوطلى ، ص ١٢٣ .
(٨) نشأة التفكير : د. النشار ، ص ١٨ جـ ٢ .

على احدى وسبعين فرقة ، وإن أمتي ستفترق على اثنين وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة وهي الجماعة (٩) .

ولقد صدق ما توقعه الرسول ﷺ وأخبر به .. والذى يعنينى الآن ليس التدليل على صدق هذا الحديث . فقد ثبت صدقه بالواقع الملموس والعلمى ولكن الذى يعنينا الآن هو بيان الأسباب التى دعت الأمة الى هذا الافتراق وهى كثيرة بهذا الصدد منها .

١ — أول خلاف وقع بين المسلمين وقع بعد وفاة الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه يقول الدكتور أحمد صبحى . يكاد يتفق معظم الباحثين فى العقائد والمذاهب مع الأشعرى فى أن أول ما حدث من الاختلاف بين المسلمين بعد نبيهم هو اختلافهم فى الامامة (١٠) الا أن البغـدادى فى كتابه الفرق بين الفرق يتناول أسباب نشأة الفرق بشىء من التفصيل ويعدد اسبابا أخرى لنشأة الفرق نضيفها الى السبب الذى ذكرناها سابقا وأهمها :

٢ — كان المسلمون عند وفاة رسول الله ﷺ على منهاج واحد فى أصول الدين وفروعه غير من أظهر وفاقا أو أضمر نفاقا .

٣ — أول خلاف وقع منهم فى موت النبى عليه الصلاة والسلام ..

٤ — ثم اختلفوا بعد ذلك فى موضع دفن النبى ﷺ ..

٥ — ثم اختلفوا بعد ذلك فى الامامة واذعنت الانصار الى البيعة لسعد بن عبادة الخزرجى وقالت قريش ان الامامة لا تكون الا فى قريش ثم اذعنت الأنصار لقريش لما روى لهم أبو بكر قول النبى ﷺ « الأئمة من قريش » وهذا الخلاف باق الى اليوم .

٦ — ثم اختلفوا بعد ذلك فى شأن فدك « قرية بخيبر » وفى توريث التركات عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ثم نفذ فى ذلك قضاء أبى بكر .

---

(٩) الفرق بين الفرق : البغدادى ، ص ٧ .

(١٠) نظرية الامامة : د. أحمد صبحى ، ص ٣٢ .

٧ — ثم اختلفوا بعد ذلك فى مانعى وجوب الزكاة ثم اتفقوا على رأى أبى بكر فى وجوب قتالهم .

٨ — ثم بعد ذلك اختلفوا فى قتال طليحة حينما ارتد ومسيلمة الكذاب وقتال المرتدين وقتال الروم والعجم .

٩ — ثم اختلفوا بعد ذلك فى أمر عثمان لأشياء نقموها منه حتى أقدم لأجلها ظالموه على قتله .

١٠ — ثم اختلفوا بعد ذلك فى قاتليه وخازليه اختلافا باقيا الى يومنا هذا .

١١ — ثم اختلفوا بعد ذلك فى شأن على وأصحاب الجمل وفى شأن معاوية وأهل صفين وفى حكم الحكمين أبى موسى الأشعرى وعمر بن العاص اختلافا باقيا الى اليوم (١١) .

ثم تلت هذه الاختلافات اختلافات كثيرة حتى أننا نرى الفرقة الواحدة أخذت تنقسم على نفسها حتى غدت فرقا كثيرة ودبت عوامل الفرقة والاختلافات حتى بين الفرقة الواحدة .

والذى أخلص اليه : أن هذه العوامل رغم انها أساس منشأ الاختلاف والتفرق باعتبارها العوامل الداخلية أى من داخل البيئة الاسلامية .

الا أن هناك عوامل اخرى خارجية أنضجت هذه الاختلافات وتفاعلت معها ومهدت الى ظهورها على السطح من هذه العوامل عوامل الانفتاح وتبادل الأفكار والتأثير والتأثر بالأفكار الغريبة عن البيئة الاسلامية سواءا كان للدفاع عن الاسلام أو لرد هذه الافكار الغريبة عنه . كما كان لدخول عناصر كثيرة من اليهود وغيرهم فى الاسلام أثره خاصة ولم تكتمل بعد عقيدتهم فتأثروا بعقائدهم السابقة وأثاروها فى البيئة الاسلامية وتفاعلت هذه الآراء مع الآراء الاسلامية .

لأن البيئة الاسلامية لم تكن فى معزل عن غيرها من الحضارات

---

(١١) الفرق بين الفرق : البغدادى ، ص ١١ ، ١٢ .

الأخرى بل كانت على اتصال مستمر بحضارات كثيرة وهذا كفيل فى تبادل الأفكار والآراء والأخذ والعطاء بين الافكار ولو بقصد الجدل والدفاع وهذا بدوره كفيل فى تنشيط الحركة الجدلية والتفاعل بين الآراء والتغاير أو التقارب بين وجهات النظر وفى هذا الجو بدأت الفرق تنشأ وتجد مادتها لتكوين كل فرقة شخصيتها وتستقل عن الأخرى فى الرأى .

ومن هنا تشعبت الآراء وكثرت الفرق حتى وصلت الى التعدد الذى تنبأ به صاحب الشرع محمد ﷺ .

وصدق الرسول ﷺ فيما تنبأ به .

وقبل أن نوارى فى الثرى كل خيط يربط الباطنية بنا أو يربطنا بهم اقرر الآتى :

أن الباطنية . كفرة مارقين عن الاسلام وهم من أبناء المجوس الذين أظهروا الاسلام وأضمروا الكفر ليكيدوا للاسلام والمسلمين وهم متمردون جاحدون لجميع الأديان يتسربلون بسربال الكفر المقنع ليخفوا تحته رداء الكفر الصريح ليموهوا علـى الناس حقيقتهم ليخدعوا البسطاء والجهلاء ويضمونهم الى دعوتهم المنحلة .

وقد زين لهم كفرهم أن يستغلوا الاثارة الجنسية والهاب العواطف وتحريك الغرائز البهيمية سلاحا قذرا لاكتساب البسطاء .

ولهذا أجد لزاما على أن أوجه نداء الى كل من انخدع فى دعـوتهم أو ينخدع فيها وهو مازال فيها أن يراجع نفسه ويرجع الى ربه والى حظيرة الاسلام ويتوب ويرجع عن مجارات هؤلاء الكفرة فى كفرهم .

كما أوجه نداء لكل مؤمن صادق الايمان أن يعلن للملأ حقيقة هـذه الفرقة الآثمة ويكشف عن صريح كفرها حتى لا ينخدع ويسقط فى شباكها البسطاء من الناس الذين يغريهم بريق اباحتهم ويفرحون باسقاط التكاليف عنهم وهم فى غفلة من أمرهم .

وقبل أن نسدل الستار ونوارى فى الثرى آخر خيوط ضلال الباطنية نضرع الى الله جل وعلا أن يثبتنا على الايمان وأن يزينه فى قلوبنا انه على كل شىء قدير وبالاجابة جدير . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصـحبه وسـلم .

المراجـــع

١ ـــ القرآن الكـــريم :

٢ ـــ اتعاظ الحنفاء : المقريزى ، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية .

٣ ـــ أساس البلاغة : الزمخشرى ، دار صادر ـــ بيروت .

٤ ـــ أساس التأويل : النعمان ، دار الثقافة ـــ بيروت .

٥ ـــ أدب مصر الفاطمية : د. محمد كامل حسين ، وزارة التعليم العالى ـــ الادارة العامة للثقافة .

٦ ـــ أصول الاسماعيلية : برنار لويس ، مكتبة المثنى .

٧ ـــ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين : الرازى .

٨ ـــ اعلام الموقعين : ابن القيم : مطبعة دار الكتب الحديثة .

٩ ـــ الاربعين فى أصول الدين : الرازى .

١٠ ـــ الأحكام السلطانية : الماوردى .

١١ ـــ الامامة والسياسة : ابن قتيبة .

١٢ ـــ الامام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل : الجلنيد ، مجمع البحوث الاســلامية .

١٣ ـــ الافصاح فى فقه اللغة : حسن يوسف ، الصعيدى ـــ دار الفكر العربى

١٤ ـــ الاسلام والاســتبداد الســياسى : محمد الغزالى ، دار الكتب الحديثة ـــ مكتبة المثنى بغداد .

١٥ ـــ البداية والنهاية : ابن كثير ، مكتبة المعارف بيروت .

١٦ ـــ البدو والتاريخ : المقدسى ، مكتبة المثنى بغداد .

١٧ ـــ الاتقان فى علوم القرآن : السيوطى .

١٨ ـــ التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع : أبو الحســين الملطى ، مكتبة نشر الثقافة الاسلامية .

١٩ ـ التبصير فى الدين : الاسفراينى ، مطبعة الأنوار .

٢٠ ـ التفسير والمفسرون : د. الذهبى ، دار الكتب الحديثة .

٢١ ـ الجامع لأحكام القرآن : القرطبى ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر .

٢٢ ـ الدين فى موقف الدفاع : محمد فتحى عثمان ، مكتبة وهبة ـ مطبعة مخيمر بالقاهرة .

٢٣ ـ الاسلام عقيدة وشريعة : الشيخ شلتوت ، دار الشروق .

٢٤ ـ السيرة الحلبية : ابن هشام .

٢٥ ـ الصلة بين التصوف والتشيع : د. الشيبى ، دار المعارف .

٢٦ ـ الشيعة فى التاريخ : العاملى ، مطبعة العرفان بصيدا .

٢٧ ـ الصواعق المحرقة : ابن حجر ، مكتبة المثنى بغداد .

٢٨ ـ العواصم من القواصم : أبو بكر بن العربى ، المطبعة السلفية بالقاهرة .

٢٩ ـ الفصل : ابن حزم ، محمد على صبيح .

٣٠ ـ الفهرست : ابن النديم ، بيروت .

٣١ ـ الفرق بين الفرق : البغدادى ، مكتبة محمد على صبيح .

٣٢ ـ القاموس المحيط : مجد الدين الفيروز أبادى ، مطبعة الحلبى .

٣٣ ـ الكامل (فى التاريخ) : ابن الأثير ، دار صادر بيروت .

٣٤ ـ الكشاف : الزمخشرى ، مطبعة الحلبى .

٣٥ ـ الكافى : الكلينى ، مخطوط بدار الكتب .

٣٦ ـ المجددون فى الاسلام : عبد المتعال الصعيدى ، مكتبة الآداب بمصر

٣٧ ـ المستدرك : الحاكم ، مكتبة ومطبعة النصر الحديثة بالرياض .

٣٨ ـ الخـلافة : محمد رشيد رضا .
٣٩ ـ المواقف : الايجى .
٤٠ ـ الملل والنحل : الشهرستانى ، محمد على صبيح .
٤١ ـ المقاصـد : التفتازانى .
٤٢ ـ المراجعات : عبد الحسين شرف الدين .
٤٣ ـ المجالس المستنصرية : محمد كامل حسين .
٤٤ ـ المجالس المؤيدية : محمد كامل حسين .
٤٥ ـ النجوم الزاهرة : أبو المحاسن ، وزارة الثقافة والارشاد القومى .
٤٦ ـ النظريات السياسية ، ضياء الدين الريس ، **دار المعارف بمصر** .
٤٧ ـ الهمة فى آداب الأئمة : النعمان .
٤٨ ـ تأويل الدعائم : النعمان ، دار المعارف .
٤٩ ـ تاج العروسى : السيد مرتضى الزبيدى ، مطبعة حكومة الكويت .
٥٠ ـ تاريخ الفلسفة الاسلامية : هنرى كوربان ، عويدات ـ بيروت .
٥١ ـ تاريخ العراق فى ظل الحكم الأموى : الخربطلى ، **دار المعارف** .
٥٢ ـ تاريخ الطبرى : الطبرى ، دار المعارف .
٥٣ ـ تاريخ الاسلام : الذهبى .
٥٤ ـ تاريخ الاسلام السياسى : د. حسن ابراهيم ، مطبعة مكتبة النهضة المصرية .
٥٥ ـ تاريخ الأزهر ، مجمع البحوث الاسلامية .
٥٦ ـ تاريخ الشيعة : المظفرى ، مطبعة الزهراء بالنجف .
٥٧ ـ تفسير القرطبى : القرطبى ، دار الشعب .
٥٨ ـ تفسير القرآن العظيم : ابن كثير ، **دار المعارف بمصر** .
٥٩ ـ تفسير القرآن الحكيم (المنار) : محمد وسيد رضا ، دار المنار .

٦٠ ـ تفسير الطبرى : الطبرى ، دار المعارف بمصر .
٦١ ـ تفسير الكشاف : الزمخشرى ، مطبعة الحلبى .
٦٢ ـ تهذيب اللغة : الأزهرى ، الدار المصرية للتاليف والترجمة والنشر .
٦٣ ـ تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الموضوعه : ابن عراق ، مكتبة القاهرة .
٦٤ ـ جامع الرسائل : ابن تيمية ، مطبعة المدنى .
٦٥ ـ حادى الأرواح : ابن القيم ، مطبعة الأنوار .
٦٦ ـ حقائق الاسلام وأباطيل خصومه : العقاد ، دار القلم .
٦٧ ـ خطط المقريزى : المقريزى ، كتاب الشعب ـ دار الشعب .
٦٨ ـ خمس رسائل اسماعيلية : عارف تامر .
٦٩ ـ دفاع عن العقيدة والشريعة : محمد الغزالى ، دار الكتب الحديثة .
٧٠ ـ دعائم الاسلام : النعمان ، دار المعارف .
٧١ ـ راحة العقل : الكرمانى ، مطبوعات الجمعية الاسماعيلية .
٧٢ ـ روح المعانى : الألوسى ، ادارة الطباعة المنيرة بالقاهرة .
٧٣ ـ سوسنة سليمان : نوفل بن جرجيس ، صادرة بيروت .
٧٤ ـ شرح نهج البلاغة : ابن أبى الحديد المطبعة اليمنية .
٧٥ ـ صحيح البخارى : أبو عبد الله البخارى ، مطابع دار الشعب .
٧٦ ـ صحيح مسلم : مسلم بن الحجاج ، المطبعة المصرية ومكتبتها .
٧٧ ـ طائفة الاسماعيلية : محمد كامل حسين .
٧٨ ـ ظهر الاســـلام : أحمد أمين ، مطبعة ومكتبة النهضة المصرية .
٧٩ ـ عبيد الله المهدى : د. حسن ابراهيم ـ د. طه شرف .
٨٠ ـ عقيدة الشيعة : دونالد سون ، مطبعة السعادة .
٨١ ـ عصمة الأنبياء : الرازى .
٨٢ ـ عمدة التفاســـير : ابن كثير ، دار المعارف .
٨٣ ـ عوارف العوارف : السهروردى .
٨٤ ـ غريب الحديث : ابن الأثير .
٨٥ ـ فاطمة الزهراء والفاطميون : العقاد ، دار الهلال .

٨٦ ــ فصل المقال : إبن رشد ، المكتبة المحمودية التجارية بالقاهرة .
٨٧ ــ فضائح الباطنية : الغزالى ، الدار القومية للطباعة والنشر .
٨٨ ــ فرق الشيعة : النوبختى ، المطبعة الحديثة ــ النجف .
٨٩ ــ فجر الاسلام : أحمد أمين ، مطبعة وكتبة النهضة المصرية .
٩٠ ــ كشف أسرار الباطنية : الحماد اليمانى ، مطبعة الأنوار .
٩١ ــ لسان العرب : ابن منظور ، الدار المصرية للتأليف والترجمة .
٩٢ ــ مجموع فتاوى ابن تيمية .
٩٣ ــ مختصر تاريخ العرب : سيد أمير على ، دار العلم للملايين ــ بيروت
٩٤ ــ مختصر التحفة الاثنى عشريه : غلام محمد .
٩٥ ــ مفاتيح الغيب : الفخر الرازى .
٩٦ ــ مفتاح السعادة : طاشى كبرى زاده ، دار الكتب الحديثة بمصر .
٩٧ ــ مفردات غريب القرآن : الأصفهانى .
٩٨ ــ مقدمة ابن خلدون : ابن خلدون ، لجنة البيان العربى .
٩٩ ــ مقالات الاسلاميين باختلاف المصلين : الأشعرى ، مكتبة النهضة .
١٠٠ ــ مدارج السالكين : ابن النعيم ، طبع المنار ــ مكة .
١٠١ ــ مروج الذهب : المسعودى ، دار الرجاء بالقاهرة .
١٠٢ ــ منهاج السنة : ابن تيمية ، مكتبة الرياض الحديثة ــ مكتبة الجمهورية .
١٠٣ ــ مناهل العرفان : الزرقا ، مطبعة الحلبى .
١٠٤ ــ نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام : د. النشار ، دار المعارف .
١٠٥ ــ نظرية الامامة لدى الشيعة الاثنى عشرية : د. أحمد صبحى ، دار المعارف .
١٠٦ ــ نهاية الاقدام : الشهرستانى ، مكتبة المثنى بغداد .
١٠٧ ــ نهاية العقول فى دراية الأصول : الرازى ، مخطوط بدار الكتب .
١٠٨ ــ وفيات الأعيان : ابن خلكان ، المطبعة الأميرية .

فهرس الكتاب

رقم الايداع ٨٩/٣٧٨٣

الترقيم الدولى ٣ — ٢٦٤٩ — ٢ ٠ — ٩٧٧

دار التضامن للطباعة

٢٢ شارع سامى ــ ميدان لاظوغلى

تليفون : ٣٥٥٠٥٦ ــ القاهرة